

الدكتور أحمد فايد الضايدي

المادة التاريخية في كتابات «نيبور» عن اليمن



دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المصنوع
بيروت - لبنان



المادة التاريخية

في

كتابات «نيبور» عن المين

دار الفكر
بيروت - سورية

المعاصر
بيروت - لبنان



الكتاب ١١

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل للرئي والسوم والحاسوب وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الفكر المعاصر

لبنان - بيروت - ساحة المزة - خلف الكارنتين - ص. ت ٥١٤٩٧

ص. ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) توكس : FIKR 44316 LE

إهداء

إلى الذين يقاومون موجات التردّي والانقياد بسلوكهم القويم وعشقهم
للحقيقة وتفانيهم في الواجب وتعفّفهم أمام المغريات وترفعهم عن السقوط
وحبهم المنزه لتراب الوطن وإنسانيته.
إليهم أهدي هذا الجهد المتواضع، تقرباً واعترافاً بوجودهم في عالم يبدو
كما لو أنه لم يعد يتسع لقيمهم السوية.

منذ حركة
القرن السادس عشر
تمثلت هذه الفتوح
معروفة للأوروبيين
دراسة جغرافية واج
معروفة عن هذا

ولقد كانت
البعثة العلمية الد
مختلف ميادين الم
بعصر التنوير، عص
(١٦٨٥ - ١٧٥٣)
وفولتير (١٦٩٤ - ١٧٨٨)
وكانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤)
أوروبا في القرن الث
من أبرز أحداث ال

مقدمة

منذ حركة الكشف الجغرافية، في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، والتطلع الأوروبي إلى فتوحات جديدة لم ينقطع، سواء مثلت هذه الفتوحات في الكشف عن مناطق جديدة في الكرة الأرضية، لم تكن معروفة للأوروبيين من قبل، أو تمثلت في دراسة بلدان معروفة خارج أوروبا، دراسة جغرافية واجتماعية واقتصادية وسياسية. إلخ.، تكشف عن جوانب غير معروفة عن هذا البلد أو ذاك.

ولقد كانت أوروبا في القرن الثامن عشر - وهو القرن الذي قدمت فيه بعثة العلمية الديناماركية إلى اليمن - مسرحاً لنشاط فكري وإبداعي في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية. إنه القرن الذي شهد ما اصطلاح على تسميته عصر التنوير، عصر لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) ونيوتن (١٦٤٣ - ١٧٢٧) وبركلي (١٦٨٣ - ١٧٥٣) وهيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) ومونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) ولاتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) وبيدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) وروسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) وانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤)، وغيرهم من قمم العلم والفلسفة والفن. وكما كانت أوروبا في القرن الثامن عشر مسرحاً للنشاط الفكري المستنير فقد شهدت حدثاً أبرز أحداث التاريخ، حدثاً غير وجه العالم، وهو الثورة الصناعية، التي

بدلت في ستينيات ذلك القرن في بريطانيا أولاً ثم امتدت إلى البلدان الأوروبية
الأخرى ثم إلى العالم.

وكانت أوروبا في الوقت نفسه مسرحاً للصراع العسكري والتنافس
السياسي بين القوى الأوروبية المتنافسة، داخل القارة وخارجها، حيث كانت
تدور معارك سياسية وعسكرية ذات أطراف متعددة، منها بريطانيا وفرنسا والنمسا
وبروسيا وروسيا وإسبانيا... إلخ.

وفي هذا الإطار التاريخي السائد في أوروبا؛ وفي غمار الاهتمام بالعلم
والعلماء والأدب والأدباء والفن والفنانين؛ وفي جو مفعم بالتنافس بين كثير من
الحكام والأمراء، على احتضان العلم ورعايته، وتحقيق إنجازات علمية، يعزى
تحقيقها إلى تشجيع هذا الحاكم أو ذلك، بزغت فكرة إرسال بعثة علمية إلى
(العربية السعيدة)، لدراسة هذا البلد، دراسة تاريخية، لغوية، اجتماعية،
اقتصادية، جغرافية، نباتية... إلخ.. وكان الدافع العلمي وراء هذه الفكرة نابعاً
من اهتمام عالم واحد، متخصص في اللغات وعلوم الدين، كان منهمكاً في
دراسة التوراة وتفسيرها، والخروج عن حرفة النصوص، إلى فهم أعمق؛ وقد
ترأى له أنه لن يستطيع أن يتعمق في فهم نصوص التوراة إلا إذا درسها من
خلال فهم كاف للبيئة، التي كتبت فيها. وهداه تفكيره إلى اختيار اليمن،
باعتبارها أقرب إلى بيئة التوراة من فلسطين نفسها، حيث كانت اليمن لا تزال
محفوظة بنسط قديم من الحياة، لم تؤثر فيه المؤثرات الخارجية. ومع أن دائرة
هذا الاهتمام الديني قد اتسعت، لتضم اهتمامات علمية أخرى متخصصة،
لعلماء على امتداد القارة الأوروبية، إلا أن صاحب الفكرة قد نظر إلى جميع
الاهتمامات على أنها تخدم هدفه وغايته في توضيح معاني التوراة. وانتقلت
الفكرة إلى أيدي رجال السياسة، ليضيفوا إلى الاهتمامات العلمية اهتمامات
سياسية. فقد وجدوا أن تبنيهم لمثل هذه البعثة العلمية سوف يضفي على
السلطة مظهراً تحرص على الظهور به، كراعية للعلم، إضافة إلى أن التعرف

على الحياة الداخلية لبلد يقع في منطقة استراتيجية من العالم أمر يخدم
المطامح السياسية والاقتصادية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وفي مطلع عام ١٧٦١ م انطلقت البعثة العلمية الدينماركية من
كوبنهاجن، عاصمة الدينمارك، قاصدة اليمن، مروراً ببحر الشمال فالبحر
المتوسط، حيث توقفت لبعض الوقت في تركيا، ثم اتجهت إلى مصر ومنها عبر
البحر الأحمر إلى اليمن مروراً بميناء جدة. وكان مقرراً أن تمكث في اليمن
عامين إلى ثلاثة أعوام، ولكنها لم تمكث سوى سبعة أشهر، وغادرت ميناء
المخا بعد أن فقدت اثنين من أعضائها، بسبب الملاريا، أحدهما دفن في
المخا، والآخر في مدينة يريم. ثم مات أعضاء البعثة الآخرون تباعاً، بعد
مغادرتها اليمن متأثرين بالملاريا، التي أصيبوا بها في سهول تهامة. ولم يبق
منها حياً سوى نيبور، الذي عاد إلى الدينمارك واستطاع وحده بجده ودأبه أن
يحقق جزءاً كبيراً من مهام البعثة؛ فسجل جوانب كثيرة من الحياة اليمنية،
سياسية واقتصادية واجتماعية وجغرافية وتاريخية ولغوية... إلخ، ضمنها جميعاً
يومياته، التي تم نشرها في ثلاثة مجلدات بعنوان:

Reisebeschreibung nach Arabien und den Umliegenden Ländern

(وصف رحلة إلى بلاد العرب والبلدان المجاورة) كما ضمن جزءاً هاماً من
المعلومات التي جمعها، والتي جمعها زملاؤه، قبل وفاتهم، في كتاب نشره
بعنوان: Beschreibung von Arabien (وصف بلاد العرب).

ولقد مثل مجيء البعثة الدينماركية إلى اليمن لحظة لقاء تاريخية بين
إطارين ثقافيين متباينين. وقد قدم لنا نيبور في تعليقاته على موقف اليمنيين
تجاه ما كانت البعثة تعرضه من أدوات، أو ما تقوم به من سلوك مغاير لما اعتاده
اليمنيون، صورة معبرة عن هذا التباين. فإذا بنا أمام مجتمعين مختلفين في
ثقافتهم وقيمتهم ونظرتهم إلى الحياة، تختلف استجاباتهما تجاه موضوع معين

أو سلوك محدد، اختلافاً يعبر بصورة مكثفة عن خلفيتهما الاجتماعية والثقافية والتاريخية.

ولا أريد هنا أن أستبق الأمور، فأتحدث عن أهمية البعثة الدينماركية أو عما أنجزه نيبور، إذ إنني قد خصصت جزءاً في البحث لهذا الغرض. ولكنني أود أن أشير إلى أن سر اهتمامي بما كتبه نيبور وما كتبه الرحالة الآخرون عن اليمن (*) يكمن في أن أولئك الرحالة قد حاولوا رصد وتسجيل كل شيء صادفوه أثناء تجوالهم. ومن نافلة القول أن نؤكد، أن العين الغربية تلتقط تفاصيل ودقائق في حياة البلد الذي تزوره، لا تلتفت إليها عادة عين المؤرخ أو المواطن المحلي، وذلك لسبب بسيط، وهو أن هذه الأشياء تدخل ضمن ما هو مألوف في الحياة اليومية. والمألوف، عادة، لا يلتفت الانتباه ولا يدعو إلى التوقف ولا يثير الاستغراب. ولذا فلما ينتبه أحد إلى أهمية تسجيله. ولكن كثيراً من الأشياء المألوفة والتي تشكل جزءاً من الحياة اليومية، فتبدو أشياء غير ذات بال، تصبح بعد زمن مادة تاريخية على درجة من الأهمية، قد يصعب رسم صورة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية لمجتمع ما في فترة ما من تاريخه، دون الإلمام بها. ومن هنا تنبع أهمية ما سجله الرحالة الأجانب من تفاصيل وجزئيات عن الحياة اليومية في اليمن، كانت بعيدة عن اهتمام المؤرخ اليمني.

وبما أن توجهي منذ البدء لم يكن يستهدف وضع تاريخ لرحلة البعثة الدينماركية أو إعادة تدوينها، وإنما كان هدفي هو التقاط المادة التاريخية، التي تضمنتها كتابات نيبور، والتي تسلط الضوء على فترة من تاريخنا الحديث. لهذا فإن جزءاً كبيراً من المادة العلمية التي وقفت عليها لدى نيبور، والتي تتناول، مثلاً، أنواع الطيور والنبات والحيوان إلخ.، لم تدرج ضمن دائرة اهتمامي في هذا البحث.

(*) سوف يتبع هذا البحث بحث آخر يضم بعض ما سجله الرحالة الأجانب عن اليمن، وخاصة الرحالة الألمان.

وقيل أن أسلم القارئ إلى فصول هذا البحث أود أن أشير إلى أنني قد اعتمدت في تبويب على المادة التاريخية المتناثرة، التي تضمنتها كتابات نييور نفسه. فعمدت إلى استخلاصها من صفحات كتبه، وتجميعها وترتيبها، بحسب موضوعاتها، ثم تبويب البحث وفقاً لهذه الموضوعات.

ومع أن كتابات نييور كانت هي مصادري الأساسية، فقد عملت على جمع وقراءة كلما تيسر لي العثور عليه، من كتابات حول رحلة نييور وخاصة باللغة الألمانية، وهي لغة نييور نفسه، وإلى جانب ذلك استعنت ببعض المراجع المتعلقة بتاريخ أوروبا الحديث أو بتاريخ اليمن الحديث، ولم أورد في هوامش البحث من هذه المراجع إلا ما تطلبه السياق أو اقتضاه الاستشهاد.

واستناداً إلى هذه المصادر والمراجع أمكن لهذا البحث أن يرسم صورة لعمل البعثة، منذ كانت مجرد فكرة، ثم أصبحت فريقاً علمياً في مرحلة الإعداد ثم مراحل سفرها ومعاناتها. إلخ.، ثم إنجازها وأهميته العلمية، ثم شخصية نييور ومكانته وأهمية كتاباته، باعتبارها تمثل خلاصة ما أنجزته البعثة في رحلتها. كما أمكن لهذا البحث أن يحقق هدفه في تقديم فصول عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية في اليمن القرن الثامن عشر، وأن يقدم وصفاً للمدن ونبله تاريخية لأحداث قرية العهد كانت لا تزال تروى من قبل معاصريها عند زيارة نييور.

وقد تعمدنا الإيجاز في عرض موضوعنا وقصدنا الدقة والابتعاد عن التظهير والشروح والاستطرادات. إذ إن هدفنا هو استخراج المادة التاريخية وتقديمها للباحثين والدارسين، المهتمين بتاريخ اليمن الحديث، وهي مادة رصدت وسجلت ميدانياً من قبل باحث أجنبي، تميز بدقة في الملاحظة ومنهجية في البحث.

وربما يظن البعض أنه كان من الأسهل والأفضل لنا وللقارئ لو أننا قمنا بترجمة ما دونه نييور عن هذا الموضوع أو ذاك، كالين، أو الملابس أو العملة.

... الخ. ترجمة مباشرة، بدلاً من عرض ما كتبه عرضاً يبدو كما لو كان تكراراً لما دونه نيور مع إيراد بعض عباراته بين الحين والآخر، مترجمة وموضوعة بين أقواس. ولكن مثل هذا الظن المتعجل سيتبدد إذا عرف القارئ أن نيور لم يتحدث عن الفن مثلاً في فصل واحد أو في مجموعة صفحات متلاحقة؛ بل انتشرت معلوماته هنا وهناك. وكان لا بد من تجميعها جميعاً، ثم صياغتها تحت عنوان واحد. وفي هذه الحالة يصعب اعتماد الترجمة المباشرة. لأن الترجمة تقتضي منا، إذا أردنا أن نأتي على المعلومات التاريخية كلها، أن نعتمد إلى ترجمة كل كتابات نيور. ونحن إذا قمنا بذلك، فسيغدو من الصعب على القارئ أن يلملم المعلومات التاريخية المتناثرة وينسقها ويرتبها ضمن سياق واحد ووفق منهج واضح، يؤدي إلى رسم صورة للحياة اليمنية في القرن الثامن عشر، من شأنها أن تيسر دراسة وفهم تلك الفترة من تاريخ اليمن الحديث، وهو ما قصدنا إليه.

وسوف يلاحظ القارئ، في ما سيلاحظه، أنني قد أوردت بعض الأساطير، التي تضمنتها كتابات نيور، كما سردها، رغم إدراكي أنها لا تمثل حقيقة تاريخية. فالأسطورة شيء آخر غير الحقيقة التاريخية. إنها قد تنطلق من واقعة تاريخية، ولكنها تعيد صياغتها بشكل أسطوري مما يؤدي إلى إمحائها تماماً، وسط ضباب الأسطورة؛ ويصبح أي جهد للتعرف من جديد على معالم الواقعة التاريخية ضمن غلافها الأسطوري جهداً ضائعاً. ومع ذلك فإنه يمكن للمؤرخ أن يفيد من الأسطورة، كمادة تاريخية من حيث الدلالات التي تقدمها عن المناخ الفكري للبيئة الاجتماعية، التي انبثقت منها تلك الأسطورة. كما يمكن للمؤرخ أن يفيد من الإشارات التي قد تتضمنها الأسطورة، إلى العلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد وأساليب الحياة. الخ^(١)، وفي هذه الدلالات والإشارات تكمن القيمة التاريخية للأسطورة.

(١) قارن: كولنجوود، فكرة التاريخ، ص ١٤٠.

كما سيلاحظ القارئ أنني قد وضعت فقرة خاصة، أوردت فيها بعض انطباعات نيسور عن اليمن. وهي انطباعات أورد فيها نيسور حصلاً تمثل بالنسبة لمجتمعنا قيماً تدعو إلى الاعتزاز. كالكرم والتسامح الديني ولطف التعامل. إلخ.، وهي قيم مارسها اليمنيون ولا زالوا يمارسونها؛ كما لا زال يتكرر ذكرها من قبل من يزورون اليمن من الأجانب حتى اليوم. ولكنها تمارس بتلقائية وعفوية، خارج حدود الوعي، إذا صح التعبير. مما يجعلنا نخشى أن نهمل ونترك مع مرور الزمن ومع نشوء قيم جديدة في المجتمع اليمني الحديث، بالتلقائية نفسها والعفوية التي مورست بها. ولذلك فإن إبرازها وإدخالها في إطار الوعي، كقيم تشكل جزءاً من هويتنا، وتجعل الآخرين ينظرون إلينا، ونحن نمارسها، بإكبار وإجلال، بل وتجعل تعاملنا مع بعضنا البعض تعاملًا راقياً مريحاً، هو أمر على درجة عالية من الأهمية. لأنه يجعلنا ندرك قيمتها ويحثنا على التمسك بها، وبالتالي التمسك بهويتنا، لا من منطلق التزمت والإحساس الفارغ بالتميز، كما هو الحال لدى من يعتقدون أنهم أفضل الفرق أو أفضل الأجناس، منطلقين من إحساس وهمي بالتميز المذهبي أو العرقي، وإنما من منطلق الإيمان الراسخ بأنه من خلال هويتنا فقط، يمكننا كشعب أن ندخل دائرة التفاعل الحضاري الإيجابي وأن نسهم بدور في إغناء التجربة الإنسانية.

ومن الملاحظات المنهجية، التي تجدر الإشارة إليها، أن نيسور قد حاول أن يصل إلى استنتاجات جغرافية - تاريخية، استناداً إلى بعض التشابه بين أسماء بعض المدن والقرى اليمنية وبين أسماء وردت في التوراة. فمورع مثلاً ربما تكون في تقديره هي مدينة Mesa، التي ذكرها موسى عليه السلام في كتابه العاشر^(٩). ومثل هذه الاستنتاجات المستندة إلى مجرد التشابه تقود غالباً إلى نتائج خاطئة.

وترتبط بمشكلة الأسماء وتشابهها صعوبة واجهتها في هذا البحث. فقد

(٩) انظر: الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح العاشر.

اعتمد بيور في كتابته للأسماء على السماع^(*). وهناك كثير من مخارج الحروف العربية تلتبس على الأذن الأجنبية. وهكذا نقرأ اسم رداغ، لدى نييور، على هذا النحو: Radda، واسم الروضة: Radda. ولولا السياق الذي ورد فيه كلا الاسمين، لما استطعت أن أفرق بينهما. وقد وجدت صعوبة شاقة في التعرف على بعض الأسماء، رغم استعانتني بالمعاجم والخرائط والأصدقاء.

ولا شك أن كتابة الأسماء العربية بالأحرف اللاتينية، أو كتابة الأسماء الأجنبية بالأحرف العربية يؤدي في كثير من الأحيان إلى تحويرها وتحريفها. فإذا أعيدت كتابتها من جديد بالأحرف الأصلية، استناداً إلى كتابتها بالأحرف اللاتينية، فإننا نحصل عند ذلك على أسماء مختلفة، بهذا القدر أو ذاك، عن أصلها، فمدينة عدن تصبح إيدن ورداغ رودا وصعدة سادا... وهكذا. ولذا فقد أوردت الأسماء، التي راودني بعض الشك في صحة فهمي لها، بالأحرف العربية، على سبيل الترجيح، ووضعت أمامها الاسم نفسه بالأحرف اللاتينية، كما سجلها نييور نفسه. أما الأسماء التي لم أصل إزاءها إلى أي ترجيح أطمئن إليه فقد أثبتتها بالأحرف اللاتينية دون محاولة رسمها بالأحرف العربية. هذا بالنسبة للأسماء العربية وأما الأسماء الأجنبية فقد عمدت إلى كتابة الاسم بالأحرف اللاتينية مرة واحدة على الأقل، حتى يتمكن القارئ من التعرف على الاسم بصورته الحقيقية، تجنباً للمحذور السابق. فكتابة الاسم الأجنبي بالأحرف العربية فقط، يحدث غالباً تغييراً في صورة الاسم يجعل السامع أو القارئ عاجزاً عن التعرف على الاسم الحقيقي. فاسم شخص مثل Wilhelm، الذي يُنطق بالألمانية (فِلِهلم)، يصبح لدى بعض الكتاب العرب غليوم. وفي مثل هذه الحالة فإن القارئ، مهما بلغت حدة ذكائه، لا يمكن أن يتوصل إلى معرفة الاسم بصورته الحقيقية.

(*) أشار بيور إلى أن السكان أنفسهم كانوا أحياناً ينطقون اسم منطقة أو مدينة بصور مختلفة. مما يدل على أنه كان مدركاً إشكالية كتابة الأسماء. انظر: Neibuhr, C. BVA, S. XXII.

وملاحظة منهجية أخرى وهي أن نيبور - في بعض الحالات - لم يتقيد بمنهج واحد فعند تحديده مثلاً لمواقع القرى والمدن، يذكر مرة الإسـم ويشير إلى أنها قرية أو مدينة. ومرة يفعل الإشارة، فلا يعرف القارئ إن كانت قرية أو مدينة. ومرة يذكر الاتجاه والمسافة التي تفصل القرية أو المدينة عن سواها. ومرة يذكر الاتجاه فقط. ومرة يقدر المسافة بالأميال ومرة بالساعات أو الأيام. إلخ.

وما عدا هذه الهنات المنهجية البسيطة، فإن نيبور، على وجه الإجمال، قد سار في عمله الميداني وفق منهج يمكن التعرف عليه بوضوح؛ وسوف نتعرض له في سياق حديثنا عن نيبور وإنجازاته العلمية. كما أن ما وقفنا عليه من جوانب تتعلق بشخصية نيبور، ومن ملاحظات وانطباعات، سجلها في ثانيا كتاباته عن اليمن، إضافة إلى تقييمات العلماء والباحثين لإنجازاته العلمي، نجعلنا نظمئن إلى صدقه وموضوعيته، في ما سجله من معلومات. ومع ذلك فإن اطمئناننا إلى صدقه وموضوعيته لا يعني أن نسلم بصحة هذه المعلومات دون نقاش. فمع أن صدق الكاتب وموضوعيته شرطان للوصول إلى المعلومات الصحيحة، إلا أنهما لا يعينان بالضرورة صحة ما يورده هذا الكاتب من معلومات. فللحصول على معلومات صحيحة شروط أخرى، لا بد من توفرها، إضافة إلى صدق الكاتب وموضوعيته. فالكاتب الموضوعي الصادق يسجل بتجرد ما يعتقده صحيحاً. ولكن قد يتضح فيما بعد بطلان ما اعتقده صحيحاً. وهذا لا يجرح صدق الكاتب ولا يتعلق بموضوعيته ونزاهته. ربما يتعنى بالظروف، التي أحاطت بوصول المعلومات إليه: مصدرها، طريقة وصولها إليه، بعدها أوفر بها الزمني والمكاني عن موضوعها، أي عن الحدث الذي تتعلق به. إلى آخر ذلك من الشروط، التي يعرفها المؤرخون. لهذا ومع اطمئناننا إلى صدق نيبور وموضوعيته، يجب ونحن نقف على المائدة التاريخية، التي تضممتها كتاباته، أن نضع في اعتبارنا مصدر هذه المعلومات. فالمعلومات التي سجلها بناءً على ملاحظاته المباشرة، مثلاً، يمكن الوثوق بها

كثير من المعلومات التي رويت له، والمعلومات، التي تتصل بأحداث قريبة
منه، وزيت من قبل شهود عيان، هي أكثر وثوقاً من معلومات رويت له عن
أحداث بعيدة زمنياً، ورواها له رواية لم يعيشوها. كما أن المعلومات ذات الصلة
بمحل نحصه، قد تكون أكثر صحة من المعلومات، التي تتصل بمجالات
معرفة بعيدة عن نحصه.

ولكننا نحذر أن نؤلفها في نهاية هذه المقدمة، وهي أن هذه المادة، التي
ستحصل من كتابات عنه رحالة، حاول أن يسجل بعينه الأجنبية الحساسة،
بحسب نسبة التسمية وموضوعيته الواضحة كل ما صادفه من مظاهر الحياة
التي، ثم بعد ذلك الذين ينظرون إلى التاريخ على أنه تسجيل للأحداث
التي، ثم بعد ذلك الذين ينظرون إلى التاريخ على أنه تسجيل للحركة
الحقيقية. في فترة تاريخية معينة بكل ما يرافق هذه الحركة من مظاهر وتعبيرات
سببية وفصلية واجتماعية وفكرية وروحية... إلخ، فإنهم لا شك سيجدون
في هذه الحث مادة تاريخية مفيدة، تقربهم من صورة الحياة اليمنية
في القرنين الثامن عشر.

والله من وراء القصد.

الباب الأول

تمهيد

١. أوروبا

عبر الناس
عميقة في الد
وكان الفكر أ
نفسها. ففي
يتمرد على ال
ملاحظة الطبي
للمعرفة^(١). و
الذي كانت أ
إلى جنب مع
وفي ع
الثاني (الفاتح
لهجرتهم تأثير
المؤرخين في

(١) العوا، التجو

الفصل الأول (*) خلفية تاريخية

١. أوروبا الحديثة:

عبر الفكر الأوروبي، في أواخر القرون الوسطى، عن بشائر تحولات عميقة في المجتمع الأوروبي، كانت لا تزال بداياتها تتفاعل وتشكل ببطء. وكان الفكر أسرع في التعبير عن مغزى هذا التفاعل واتجاهاته من التحولات نفسها. ففي القرن الثالث عشر مثلاً كان روجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) قد أخذ يتمرد على الطابع الديني، الذي طبع الفكر الأوروبي الوسيط، ويدعو إلى ملاحظة الطبيعة وإنكار القوى السحرية الغامضة، واعتماد التجربة كوسيلة للمعرفة^(١). وكان هذا التمرد يعبر عن تملل الجديد في قلب الإطار القديم، الذي كانت أبرز سماته، سيطرة الكنيسة على الحياة الوجدانية والعقلية، جنباً إلى جنب مع سيطرة الطبقة الإقطاعية على الحياة الاقتصادية والسياسية.

وفي عام ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني (الفاتح)، وهاجر نتيجة لذلك عدد كبير من العلماء إلى إيطاليا. وكان لهجرتهم تأثير في الحياة الثقافية في إيطاليا، بلغ درجة لم يتردد عندها بعض المؤرخين في اعتبار سقوط القسطنطينية وهجرة العلماء منها بداية التاريخ

(١) العوا، التجربة الفلسفية، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

الحديث وقد نمت تطور الحياة الثقافية في إيطاليا إلى دفع حركة التمرد على
التقديس خطوات إلى الأمام.

وفي هذا الوقت أي في حوالي منتصف القرن الخامس عشر ظهرت
الطبعة في أوروبا. فقد استطاع الألماني يوهانس جوتنبرج Johannes
Gutenberg (١٣٩٨-١٤٦٨) أن يصنع أحرفاً معدنية وأن يطبع بها كتاباً لأول
مرة عام ١٤٤٦^(١). وانتشرت المطابع بعد ذلك في أنحاء أوروبا، مسهمة في
سرعة انتشار الأفكار الجديدة، التي عبرت بها حركة التمرد عن نفسها، سواءً
على شكل تمرد ديني، مثله بصورة خاصة مارتن لوثر Martin Luther
(١٤٨٣-١٥٤٦)، الذي دعا إلى الإنصراف عن سلطة البابا والرجوع إلى
الوحدان الفردي في التدين، وإلى الإنصراف عن التقاليد الكاثوليكية والرجوع
إلى الكتاب المقدس ذاته^(٢). أو على شكل تمرد فكري، حيث أخذ المفكرون
والأدباء والعلماء يرجعون إلى التراث الكلاسيكي (تراث اليونان والرومان)
مشعوبين به، ساعين إلى تقليده، نافرين من الفكر الكنيسي، الذي سيطر على
الحياة الثقافية في العصور الوسطى. وأخذ الموقف من الطبيعة يتغير، ونزع
المنكروك إلى إعادة الاعتبار لها، فلم تعد في نظرهم مبدأ الشر، كما كانت في
الفكر المسيحي، بل رجعت إلى مكانتها الأولى، التي احتلتها عند الإغريق،
كتميز عن الخير والجمال. وعكس هذا الموقف حباً للطبيعة وإقبالاً على
الحياة^(٣).

وفي الوقت ذاته حدث تقدم كبير في مجال الكشف والعلوم. فمنذ العقد
الأخير من القرن الخامس عشر نشطت حركة الكشف الجغرافية، لتضع الإنسان
الأوروبي أمام عوالم ومجتمعات وحضارات وأديان وتقاليد لا علم له بها، ولتغير

(١) غارون: الموسوعة، ص ٦٥٩ وكذا: NUL. Bd. 2, S. 745-746.
(٢) العوا: اشجرة الفلسفة، ص ٢٧٧.
(٣) نفسه، ص ٢٧٧ وما بعدها. وكذا: ولايجري. المذاهب، ص ١٨٠.

نظرتة إلى العالم. كما أن الاكتشافات العلمية والنظريات الحديثة، كنظرية كوبرنيكوس (Kopernikus ١٤٧٣ - ١٥٤٣)، التي أكد فيها أن الأرض كروية وأنها ليست مركز العالم بل هي واحدة من الكواكب التي تدور حول الأرض، قد غيرت من نظرة الإنسان إلى العالم^(١).

لقد عبرت حركة التمرد، بمظاهرها الدينية والفكرية والعلمية، عن عناصر جديدة في الحياة الأوروبية. فقد أخذ دور المدن يتعاظم وظهرت طبقة جديدة من سكانها امتنعت التجارة والصناعة والصيرفة، وأخذت تزاخم طبقة الإقطاعيين، المدعومة برجال الكنيسة وفكرهم. وكانت هذه الطبقة الجديدة تنطلع إلى توسيع نطاق نشاطها التجاري؛ ولم يكن إطار الحياة، الذي تحميه الكنيسة وتحرس طبقة الإقطاع على ثباته واستمراره، يتسع لطموحات الطبقة الجديدة. فنشأ صراع بين القديم، بأفكاره ومصالحه ومؤسسته، والجديد، بمصالحه وطموحاته، مدعوماً بالنهضة الفكرية ويتقدم العلم، اللذين جاءا ليعززا مواقع الطبقة الجديدة ويلبيا حاجاتها.

واستفادت البرجوازية من العلم وشجعتة، وأخذت تطبق نظرياته واكتشافاته واختراعاته، في ميادين الصناعة والتجارة والتوسع^(٢). كما أخذت تحارب الحواجز الجمركية بين المقاطعات، بالدعوة إلى التوحيد القومي. واستطاعت أن توسع أسواقها خارج نطاق بلدانها، مسببة بذلك سلسلة متصلة من الحروب داخل أوروبا وخارجها.

وبينما كانت الطبقة البرجوازية تنتزع، شيئاً فشيئاً، مواقع السيطرة والنفوذ، من أيدي الطبقة الإقطاعية، محدثة بذلك تحولات عميقة في المجتمع، كانت التحولات على المستوى الفكري تبلور بصورة أسرع، وغدت

مرح فكري وصحة، نمر على ضموحات المجتمع الجديد، في كافة المواحي والاقتصاد والاحصبة والسياسة والفنوية والفكرية. وقد تبلورت الأفكار الجديدة في نيز حمل لواء مفكرو الطبقة الرجوارية، اصطلاح على تسميته بحركة النوير.

وكانت التحولات تسيرو في بريطانيا بوتائر أسرع مما في غيرها من البلدان الأوروبية. فقد أخذ الإنتاج الصناعي فيها - في القرن الثامن عشر - يتجاوز حدود الحرف اليدوية والإنتاج الصناعي المنزلي، كما يتجاوز حدود المبتكرة (المعمل الصغيرة)، التي منحها السياسة الاقتصادية الماركنتيلية (١) دعمه وحمايتها. فقد أدت قدرة السوق المحلية على استيعاب المنتجات الصناعية (٢)، واتساع السوق العالمية وطموح أصحاب الصناعات والتجار، أدت جميعها إلى التعجيل في ظهور المصانع الحديثة (٣). ومنذ اكتشاف البخار، في سنوات القرن الثامن عشر، بدأ الإنتاج الآلي في بريطانيا. وبذلك نمرز موقف الطبقة الرجوارية، الاقتصادي والسياسي، وأخذت طبقة الإقطاعيين تنزع عن مواقعها وتنهاوي. وقد حدثت مثل هذه التحولات، التي شهدتها بريطانيا، في البلدان الأوروبية الأخرى، ولكن بوتائر مختلفة.

ويحتر الإنتاج الآلي، الذي ترتب على اكتشاف البخار، والذي عرف بالثورة الصناعية، أهم حدث في تاريخ البشرية، بعد استقرار الإنسان وزراعة لأرض (٤). وقد تسهم إسهاماً حاسماً في اكتمال التحولات الاقتصادية

(١)

(٢)

EW. Bd. 2, S. 486

EW. Bd. 2, S. 485

EW. Bd. 2, S. 486 وكذا وما بعدها، ص ٧٠ مع ٩، ص ٧٠ وما بعدها، وكذا ٤٨٦

(٣) عصر النهضة الماركنتية من سدا أن ثورة البلد تقاس بحروبها من الذهب والفضة وتتضمن المرحمة المرحمة من الخنز ونسبة الإنتاج القومي وحماية الصناعات الوطنية في وجه (٤) تزايدت القدرة الثروة في أوروبا نتيجة للحركة الاستثمارية وعمليات النهب المنظمة لثروات الشعوب المستعمرة (بفتح الميم).

(١) للمزيد

(٢) للمزيد

والاجتماعية والسياسية، التي كانت عناصرها قد بدأت تتفاعل في أوروبا منذ قرون.

وسوف نسلط الضوء، في الفقرة التالية، تسليطاً سريعاً، على التحولات، التي شهدتها الدينمارك، وهي الموطن الذي انطلقت منه البعثة العلمية الدينماركية، وذلك منذ مطلع العصر الحديث وحتى زمن إرسال البعثة إلى اليمن.

٢. الدينمارك:

تتمتع الدينمارك بموقع استراتيجي هام في منطقة بحر الشرق المعروف ببحر البلطيق، حيث تطل موانئها على بحري الشمال والبلطيق، وتتحكم في الممرات التي توصل بينهما. وقد حدد موقعها هذا مكانتها وعلاقاتها الدولية^(١).

وقد نشأ صراع من أجل السيطرة على بحر البلطيق بين قوى عديدة، كالدينمارك والسويد وألمانيا وهولندا وبريطانيا وروسيا. إلخ... وكان لهذا الصراع أثره الكبير في تحديد سياسات الدول الإسكندنافية في العصر الحديث. فابتداءً من عام ١٤٢٥ م فرضت الدينمارك ضريبة مرور على السفن المارة عبر مضائق بحر البلطيق. وقد شكلت تلك الضريبة مصدر دخل رئيسي للخزانة الدينماركية لوقت طويل. وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر استطاعت الدينمارك أن تصبح الدولة ذات النفوذ الأولى في منطقة بحر البلطيق^(٢).

وشهد القرنان السابع عشر والثامن عشر انتقال المجتمع الدينماركي من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي. فقد أدت سيطرة الدينمارك على حركة التجارة في منطقة بحر البلطيق إلى ازدهار الاقتصاد الدينماركي. وإلى

Weltgeschichte, Bd 5 S. 686 ff

(١) للمزيد انظر:

(٢) للمزيد انظر: بحى، العلاقات من ٣٩٣ - ٣٩٤، ٣٩٧ - ٣٩٨

جانب ذلك غشت الدينمارك ازدهاراً نقدياً لم تعرف من قبل مثبلاً له، سواء في محال الصور والأدب أو في محال العلوم الطبيعية.

وقد أدى ارتفاع الأسعار المعروف (بثورة الأسعار)^(١)، أثناء المرحلة المركبتية، إضافة إلى البدايات الأولى للعلاقات الرأسمالية، أدى إلى حدوث تغيير في بنية الاقتصاد الدينماركي، وخاصة في قطاع الزراعة. حيث نما الاقتصاد الحيواني وراحت معدلات تصدير العجول زيادة كبيرة.

وفي عام ١٦١٦ م تم تأسيس (شركة الهند الشرقية الدينماركية)، التي استطاعت أن تسيطر على ترانكبار Trankbar في الساحل الجنوبي - الشرقي للهند، وعلى ترينكوملي Trinkomalee في سيلان. كما تم إنشاء (شركة الهند الغربية الدينماركية)، التي تمكنت عام ١٦٦١ م من بسط سلطانها على جزء من جزيرة يوجفرون Jungfern في منطقة الأرخيل الأصفر. قرب أمريكا الوسطى^(٢).

ولكن مرحلة الازدهار هذه ما لبثت أن انتهت بدخول الدينمارك في حرب الثلاثين^(٣) عاماً ضد القيصر الألماني. وقد انتهت حرب الثلاثين عاماً في عام ١٦٤٨ م بصلح وستفاليا Westfalen، الذي كان من نتائجه سيادة السويد على بحر البلطيق، وضعف الدينمارك وتراجع دورها في شمال أوروبا^(٤). ونظراً لسيطرة النبلاء الإقطاعيين على مقاليد الأمور في الدينمارك، وممارستهم الحكم فعلياً بواسطة البرلمان، وضعف الملوك، فقد واصلوا - أي النبلاء - زج البلاد في حروب متلاحقة، ألحقت الدمار بها. وقد تمكنت السويد عبر ثلاثة حروب

(١)

KEW. Bd. I. S. 238

. KEW. Bd. I. S. 238 - 239

معدتها وكذا: التاريخ الأوروبي، ص ١٨٢ وما بعدها. وكذا: الطريق، تاريخ أوروبا، ص ١٣٥ وما

وكذا

Weltgeschichte, Bd. 5, S. 698

(٢) شنت حرب الثلاثين عاماً في عام ١٦١٨ وانتهت في عام ١٦٤٨.

(١٦٤٣ - ١٦٤٥، ١٦٥٧ - ١٦٥٨، ١٦٥٨ - ١٦٦٠) أن تزيد من ضعف
الدينمارك وتتزعج أجزاء من ممتلكاتها، ومنها بعض جزر بحر لبلانج
وفي حوالي منتصف القرن السابع عشر قوي شأن لطفة - بحوارة
الدينماركية التي لم تكن الحروب قد أضعفتها كما أضعفت صفوة لسلام
الإسقاطيين. والتفت البرجوازية حول الملك فريديريك الثالث
(١٦٠٩ - ١٦٧٠)، الذي عمل على تقليص دور النبلاء. وفي عام ١٦٦٥ م تم
وضع دستور جديد للدولة، ليصبح بموجب نظام الحكم نظام ملكية وراثية
مطلقاً. وقد حرم النبلاء من ممارسة أي نفوذ على الحكومة. وتم توحيد إدارات
الدولة، وتعززت مكانة الموظفين الرسميين. وأنشئ جيش محترف. كما جرت
أول محاولة لإنشاء نظام تعليمي في البلاد.

وقد استطاعت الدينمارك أن تستعيد أجزاء من أراضيها التي خسرته في
حروبها ضد السويد من قبل. ومنها شليسويج وهولشتاين
Schleswig - Holstein (*) وذلك عام ١٧٢٠ م. بعد أن خاضت حروباً ضد
السويد بالتحالف مع روسيا.

وقد استمر نمو الاقتصاد الرأسمالي، رغم الصعوبات التي لحقت عن
السياسة المركنتيلية. كما أن التناقضات أخذت تحتد، نتيجة لسمو سريع
للقوى المنتجة في قطاع الزراعة، مع تملك ملاك الأرض لإقطاعيين. في
تعاملهم مع الفلاحين، بنمط العلاقات الإقطاعية، ومهد أعمال سخرة، التي
ظلت تفرض على الفلاحين. وابتداءً من ظهور فكرة الاستبداد المنشيري **،
وخاصة خلال عهد لوزير بيرنشتورف Bernstorff (***)، الذي امتد من عام ١٧٥٠

(*) تقع في شمال ألمانيا وتبلغ الآن ألمانيا لاتحادية

(**) سادت فكرة الاستبداد المنشيري النصف الثامن من القرن الثامن عشر وتتجلى في أنكرشي،
للشعب ولاشيء بواسطة الشعب. ومن الملوك المنشيريين في ذلك العصر فريدريش الثاني
ملك بروسيا وكاترين الثانية ملكة روسيا، وحورف الثاني ملك لبلانج. راجع لمر توفيق.

تاريخ الفكر، ص ٣٠١، ٣٢٩

(***) بيرنشتورف هو الوزير الذي أشرف على إعداد وحيول خطة لتسليم الدنمارك

في عام ١٧٧٠، وعهد نوزراء نذير أعقبوه. أدخل العديد من الإصلاحات،
دلت لنضج شرجوزي. كتحريك الملاحين والانتقال إلى الاقتصاد الفردي ليحل
محل نظرية التي كانت تمثل، وحدة اقتصادية، وتقليص امتيازات البلاء ومنع
نحوه نعيم في المستعمرات... إلخ^(١).

٢. الاهتمام الأوروبي باليمن في العصر الحديث:

لم يكن اتصال أوروبا بالمنطقة العربية في العصر الحديث حدثاً جديداً.
فقد اهتمت الحضارتان الأوروبيتان القديمتان، اليونانية والرومانية، بهذه
المنطقة، واتخذت اهتمامهما طابعاً ثقافياً آنأ، استهدف الاستفادة مما أبدعته
الحضارات التي نشأت فيها، وطابعاً توسعياً، آنأ آخر، استهدف الإمساك بطرق
التجارة الشرقية، واستنزاف خيرات هذه المنطقة. وفي العصور الوسطى نشأت
علة نقاط اتصال بين أوروبا والعالم العربي - الإسلامي، تمثلت بالأندلس
وحوض إيطاليا وبيزنطة، عبرت من خلالها علوم العرب وإسهاماتهم الحضارية
إلى أوروبا، التي كانت تعيش نهياً لغزوات القبائل الهمجية، منذ سقوط روما
وانحسار الحضارة الرومانية من أوروبا وانطواء بقاياها في بيزنطة. وقد أسهم هذا
الاتصال، الذي تم بين الحضارة العربية - الإسلامية وبين أوروبا، في نشوء
الحضارة الأوروبية الحديثة^(٢).

وفي العصر الحديث - أي منذ نهاية القرن الخامس عشر - حدثت تغيرات
جذرية في الحياة الأوروبية، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، أدت إلى
تعاظم الدور الأوروبي في العالم بأسره، ومنه المنطقة العربية، التي أصبحت
واحداً من أهم مساح التناحر الدولي في العالم. ودخلت البلاد العربية في

(١) بصره العرب.

(٢) حول تأثير الحضارة العربية - الإسلامية في الحضارة الأوروبية الحديثة انظر: سركس،
محاضرات، ص ١١٥ وما بعدها، وكندا البامي، نهج، ص ١١٩ وما بعدها.

علاقات عبر مشكوفة، طرفها: بلاد محتضرة بعد تحضر، تمتعت موقعا مدعى
عده فرب انعمه انعمه، مشكلاً بدت عقدة تصد عالمية هامة، كما تمت
ثروات طبيعية هائلة، وبلاد أحدث تنحصر بعد تحضر، وتمتلك من أسب عبوة
والتنظيم والعلم والمصانع، هائل يسبق له مثيل في التاريخ

ورغم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، في نهاية القرن الخامس
عشر، وما نتج عن ذلك من تحول طريق التجارة الشرقية التاريخي عن بلاد
العربية، ونصاف أوروبا مباشرة بالهند وبحوب شرق آسيا، وضعف أهمية البحر
العربية والبحر المتوسط وانتفا ثقل الحركة التجارية إلى بحر الشمال وبحر
السلطفي، رغم ذلك كله ظلت بلاد العربية مسرحاً لنشاطات القوى، بسب
موقعها الإستراتيجي. وكانت حملة نابليون بونابرت على مصر، عام ١٧٩٨ م،
معلماً بارزاً في ترويج العلاقات العربية - الأوروبية

وقد شمل الاهتمام الأوروبي بالبلاد العربية ثلثين كدنت بل لقد حنت
اليمن مكاناً متميزاً في إطار الاهتمام الأوروبي، بسب موقعها العجري لتتميز
في مدخل البحر الأحمر وعلى المحيط الهندي.

وعادة ما يبدأ الحديث عن علاقة الأوروبيين بالبحر في العصر الحديث
بالنشاط البرتغالي، الذي شهدته الشواطيء العربية منذ مطلع القرن السادس
عشر^(١). وكانت أبرز مظاهر ذلك النشاط احتلال جزيرة كمرون ومهاجمة عدة
عام ١٥١٣ م^(٢). وقد لحق بالنشاط البرتغالي نشاط دول أوروبا سمع به
أخرى أهمها بريطانيا وهولندا وفرنسا^(٣)، فقد استطاعت بريطانيا - بمرور
وجودها في منطقة عرب المحيط الهندي على حساب الوجود البرتغالي، وسعت

(١) انظر: ماركرو، اليمن والعرب، ص ١٩ وما بعده.

(٢) لمزيد انظر لفتاد، تاريخ البحر، ص ٩ - ١٠، ص ٧٢ - ٧٣، ص ١٠٠ - ١٠١.
بريطانيا، ص ٢٢

(٣) انظر: ماركرو، المصدر نفسه ص ٢٥ وما بعده، ٦٩، ٣٠، ١٠٠، ٣١ وما بعده، ٧٦.

إلى تأميم طرق المواصلات البحرية والتصدي لأي وجود أوروبي آخر يشكل
تهديداً لمصالحها^(١)

وبانتداء من عام ١٦١٢ م تمكن الأوروبيون، ومنهم البريطانيون، من
التجارة مع الموانئ اليمنية. وفي عام ١٦١٨ م سمحت تركيا بإقامة وكالة
إنجليزية في المخا، ولم تحاول بريطانيا احتلال مناطق يمنية حتى عام
١٨٣٩ م. عندما احتلت عدن، باستثناء احتلالها المؤقت لجزيرة بريم عام
١٧٩٩ م^(٢).

وأما الهولنديون فقد نشطوا تجارياً في الشواطئ اليمنية منذ عام
١٦١٤ م. حيث أقاموا وكالة لهم في ميناء الشحر، ثم استطاعوا فيما بعد أن
يرسعوا علاقاتهم التجارية وأن ينشئوا لهم وكالة تجارية في ميناء المخا^(٣).

وفي أوائل القرن الثامن عشر قدم الفرنسيون إلى موانئ اليمن، وتمكنوا
من عقد اتفاقية تجارية مع الإمام المهدي^(٤)، صاحب المواهب، أعطى لهم
سموحها الحق في ممارسة التجارة في ميناء المخا، وإقامة وكالة لهم فيه^(٥).

وقد مارس كل من الإنجليز والهولنديين والفرنسيين نشاطهم التجاري
سبب شركات أطلق على كل منها (شركة الهند الشرقية) مع إضافة اسم البلد.

ويذكر هاروق أبطه أن الوكالات التجارية الهولندية والفرنسية قد غادرت

١١ سنة. عدن. ص ٦٦

(٢)

Schmidt, Das Südwestliche Arabien, S. 94

(٣) مذكور. اليمن وتغرب. ص ٣٢. براور. اليمن. ص ٢٢ وما بعدها.

(٤) مذكور. اليمن وتغرب. ص ٣٩-٤٠

(٥) إمام محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بصاحب المواهب ولد عام
١١٤٧ هـ ١١٣٧ م. وتوفي عام ١١٣٠ هـ/١٧١٨ م. تولى الإمامة في الفترة من
١٠٩٧ هـ/١٦٨٦ م. وحتى ١١٢٩ هـ/١٧١٧ م. حيث اضطر إلى التنازل عنها. قارن:
التركي. الأعلام. مع ١٦ ص. ١٢. والحداد. تاريخ اليمن. ص ٣٣٠-٣٣٣. والشماحي.
اليمن. ص ١٤٦

اليمس عام ١٧٦٢^(١)، أي في العام نفسه الذي وصلت فيه العثة الدبسماركية إلى اليمس، وانفرد البريطانيون بتجارة التصدير فيها. ولكن رغم إغلاق الوكالات التجارية الهولندية والفرنسية فقد ظل الفرنسيون - كما ذكر (بيور) - يحتفظون بمباني وكالاتهم ويدفعون إيجاراتها بانتظام، رغم أن سفنهم قد انقطعت عن المجيء إلى المخا^(٢). كما أشار ماركرو إلى أن الهولنديين أيضاً قد احتفظوا بمبني وكالاتهم التجارية في المخا طوال القرن الثامن عشر، رغم إغلاق الوكالة^(٣).

وإلى جانب الدول الأوروبية الثلاث، المذكورة، دخلت إيطاليا وأمريكا أيضاً ميدان المنافسة في منطقة البحر الأحمر، وإن كان ذلك لم يتم إلا ابتداء من القرن التاسع عشر^(٤).

وإلى جانب تنافس هذه الدول في منطقة البحر الأحمر بشكل عام وعلى السواحل اليمنية بشكل خاص، كان هناك نشاط تجاري بسيط، لدول أوروبية أخرى، كالنمسا، التي مارست نشاطاً تجارياً مع المخا، في الفترة من ١٧١٩ م وحتى ١٧٢٧ م. كما قامت الدنمارك بنشاط تجاري متقطع مع المخا في القرن السابع عشر، والسويد في القرن الثامن عشر^(٥).

ضمن هذا الإطار التاريخي، المتميز بالصراع والتنافس، بين الدول الأوروبية، داخل أوروبا وخارجها، والمتميز في الوقت نفسه - بتحويلات العميقة، التي مست كافة جوانب الحياة الأوروبية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي غمرة النشاط العلمي، الذي كانت تمارسه

(١) أباطة، عدد، ص ٧٢.

(٢) Nuhrhe. (RB Bd 1, S. 444 U BVA, S. 222

(٣)

(٤) ماركرو، اليمس والغرب، ص ٣٥.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٦٠ وما بعدها، ١٣٠ وما بعده.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٤٢.

المنظمة العلمية، وكان يمارسه العلماء المنحصرين ويشجعهم الحكام.
الذين حاولوا من خلال ذلك أن يصنعوا على أنفسهم صفة رعية للعلماء.
صغر هذا الإصرار، فقلعت نخلة المنظمة النبطاوية في نهاية عام ١٧٦٣ م إلى
الفرقة السعيدة.

وكانت اليمن، عند قدومه النخلة إليها، تتمتع باستقلالها السياسي، منذ
خروج الأتراك منها عام ١٦٣٥ م. وكان يحكمها حكام عديدون، كان أقواهم
وأوسعهم رقعة هو الإمام المهدي عباس^(٥) بن الإمام المنصور. وقد كانت
لليمن في تلك الفترة التاريخية علاقات تجارية بالعالم الخارجي، عبر نوافذها
البحرية، وخاصة عبر مينائها الشهير المخا، الذي ارتبط باسمه اسم اليمن
اليمني، فقد اسم مك رمزاً لأجود أصناف البن في العالم.

(٥) الإمام المهدي عباس، من الإمام المنصور حسين، ولد عام ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م، وتوفي عام
١١٨٩ / ١٧٧٥ م، تولى الإمامة بعد وفاة أبيه عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م، واستمر في الحكم حتى
وفاته.
انظر: المصري، ص ١١، ١٩ وما بعدها.

الفصل الثاني

البعثة الدينماركية إلى اليمن وكارستن نيور

١. البعثة الدينماركية:

أ. فكرة البعثة:

ولدت فكرة إرسال بعثة إلى (العربية السعيدة) على يد البروفسور يوهن ميشائيلس (Johann Michaelis)، أستاذ اللاهوت في جامعة حوتينج (Göttingen) الألمانية، الذي كان مهتماً بدراسة التوراة، وتفسير نصوصها. فقد خرج البروفسور ميشائيلس عن النظرة الدينية التقليدية إلى التوراة، تلك النظرة التي تعتبر التوراة كتاباً كل كلمة فيه، إنما هي صادرة عن الله، ولا يجوز أن تكون موضع دراسة أو تساؤل، وأراد أن يتعامل معها، أي مع التوراة، كنصوص، يمكن أن تكون موضوعاً للدراسة التاريخية والمعينة

وبينما هو بصدد دراسة التوراة، رسخت في ذهنه فكرة، مؤداها، أن القيام برحلة إلى (العربية السعيدة)، يمكن أن يساعد في الإجابة على أسئلة كثيرة، تطرح نفسها على الباحث، حتى وهو يعالج النصوص، معالجة لغوية بحتة. فهناك نباتات وحيوانات، ورد ذكرها في التوراة، ويمكن لبعثة علمية إلى اليمن أن تقوم بدراستها، كما يمكن مثلاً القيام بدراسة جغرافية، وخاصة لموصوعات تتعلق بالتوراة، مثل حركة المد والجزر في البحر الأحمر. انني كان لها أهمية

كبيرة، بالنسبة لهروب بني إسرائيل من مصر^(١).

وقد رأى ميشائيلس. أن دراسة (العربية السعيدة) هي أكثر أهمية بالنسبة لتفسير التوراة. حتى من دراسة فلسطين نفسها، وذلك لأنه من البادر وجود شعب في العالم، حافظ على أشكال الحياة وأساليب المعيشة وأنماط التفكير القديمة، كشعب (العربية السعيدة). لذا فإن الحياة في (العربية السعيدة)، هي أقرب إلى الحياة التي عرفها الإسرائيليون، من الحياة الحالية في فلسطين نفسها، إذ إن فلسطين قد خضعت عبر القرون لمؤثرات أجنبية كثيرة^(٢).

ومن جامعة جوتنجن (Göttingen)، انتقلت الفكرة إلى حكومة الدينمارك، عبر رسالة وجهها البروفسور ميشائيلس إلى بيرنشتورف (Bernstorff)، وزير خارجية الدينمارك، والمسؤول عن إدارة شؤون إمارة شليسفيغ وهولشتاين (Schleswig und Holstein) الألمانية^(٣)، عرض له فيها أهمية القيام بمثل هذه الرحلة، حيث - كما ذكر - «إننا لا نعرف عن العربية السعيدة إلا التدر السير، وإن مثل هذه الرحلة، إذا قام بها رجل مطلع ومعد في مجال الجغرافيا وعلوم الطبيعة وعلم اللغة والتوراة، سوف تحقق الكثير»^(٤). ونسأل ميشائيلس في رسالته عن إمكانية تبني ملك الدينمارك لهذه الفكرة، على أن لا توكل مهمة القيام بالرحلة إلى أحد المبشرين أو رجال الدين^(٥). هكذا بدأت الفكرة بسيطة ومحدودة، إلا أنها تبلورت واتسعت بعد ذلك،

(١)

Hansen, Reise, S. 12 - 13.

وغيره أيضا كتب حفص. العهد القديم، سفر الخروج ص ١١٠ - ١١٢. وكذا القرآن الكريم، سورة الفرق، الآية ٥٠. سورة الأعراف الآية ١٣٨، سورة يونس، الآية ٩٠، سورة هود، الآية ٧٧، سورة الشعراء، الآية ٦٢ - ٦٦.

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

Hansen, Reise, S. 13

Lohmeier, Niebuhr, S. 10

Lohmeier, Niebuhr, S. 55.

Lohmeier, Niebuhr, S. 55

على يد بيرنشتورف^(١)، لتأخذ شكلها النهائي، بالصورة التي نعرفها عنها اليوم.

ب. أهداف البعثة:

مثمما بدأت فكرة البعثة بسيطة ومحدودة ثم اتسعت، كذلك بدأت أهدافها العلمية منحصرة في جلب المعلومات اللغوية والطبيعية والجغرافية والاجتماعية، التي من شأنها أن تساعد على تفسير وفهم نصوص التوراة^(٢)، ثم اتسعت وتعددت وأصبحت ذات طابع شمولي، تجاوز حدود التوراة، لتخدم علوماً أخرى، ولترتبط باهتمامات علماء في مختلف الجامعات الأوروبية أخذوا يتابعون إعداد البعثة باهتمام، وكل منهم ينتظر أن تخدم نتائجها مجال تخصصه، وخاصة أن البعثة في شكلها الأخير قد ضمت في عضويتها متخصصين في اللغات والجغرافيا والفلك والرياضيات والطبيعة، وإذا حاولنا هنا أن نحدد أهدافها بصورتها النهائية، استناداً إلى المصادر الأصلية، وإلى بعض المصادر الثانوية، فإنه يمكننا أن نتبين أهدافاً متعددة، لتختلف الاهتمامات:

فبالنسبة لملك الدينمارك فريدريش أو فريدريك الخامس (Friedrich V) وحكومته، أوجزت التعليمات الملكية، الموجهة إلى البعثة^(٣)، والصادرة بتاريخ ١٥ ديسمبر عام ١٧٦٠ م، في المادة الأولى، هدف الرحلة بصورة إحصائية، على النحو التالي: «على أعضاء الرحلة المذكورين أعلاه أن يتوجهوا معاً إلى العربية السعيدة وأن يضعوا جميعاً نصب أعينهم دائماً الهدف النهائي لرحلة المحدد من قبل جلالتنا، وهو القيام بأكبر قدر ممكن من الاكتشافات العلمية في هذا البلد»^(٤).

Lohmeier, Niebuhr, S. 55

(١)

Lohmeier, Niebuhr, S. 10, 55.

(٢)

Lohmeier, Niebuhr, S. 60.

(٣)

(٤) التعليمات الملكية الموجهة إلى البعثة هي أشبه ما تكون سطر داخل مكوّن من ٤٣ سطر، ينظم عمل البعثة ويحدد أدوار ومهام أعضائها. إلخ وقد شرّح ميشائيس في كتابه Fragen وأعاد نشرها Lohmeier في كتابه Niebuhr.

ويمكن أيضاً من خلال ندعية واسعة. التي رفقت بحملها المرحلة. أن
 نمنح أنفسنا حراً غير عسيرة. نرتد برعة لنملك في أن يصفي على نفسه
 صفة تشجع عنه ورغبة لعمده. وهي صفة حرص كثير من الحكام أن
 يتخلو ٠٠٠. ورفق مدعة بغيره. ودليلاً على تميزه عن معاصريه من
 الملوك والحكام ١٥. ونجرب إحدى نصحف النيسماركية. المصدرة في
 كوبنهاغن. بتاريخ ١٢ يناير عام ١٧٦٦ م (Kioenhavnske Danske
 Posttidsende. 12 1 1761). عن هذا الهدف الحملي. معانات واضحة الدلالة:
 أنه كان حالته. رغم همومه السياسية الكثيرة في هذه الظروف الصعبة.
 يضح. طموحاً لا يعرف الكلل. إلى التوسع في التعليم، ورعاية العلم.
 والابتداع محكمة شمه. من خلال عمل مبدع وعظيم. فقد قام حالته. قبل
 صفة أيام. برسال مجموعة من المندوب إلى القسطنطينية. على ظهر الباقرة
 حبرر لاند (Gronland) المنحبة إلى البحر المتوسط. حيث ستجده هذه
 لمجموعة من هناك إلى العربية السعيدة. غير مصر... (١١).

ويمكن أن نحتسب ذلك. أن نفترض وجود دوافع أخرى. سياسية
 واقتصادية. ترتد بحرفه من طموحات الدول الأوروبية. إلى توسيع علاقاتها
 ومصر عودها السياسي والاقتصادي. وهي طموحات ذات صلة مباشرة أحياناً.
 وغير مباشرة أحياناً أخرى. معطى لكتنوف العلمية والجغرافية. التي تحققت
 على أيدي الأوروبيين خارج نفوذ الأوروبية منذ مطلع العصر الحديث (١٢).

أما بالنسبة للمندوب. وأسامة الجامعات. فقد تركزت أهداف البعثة في

Hansen. Reise. S. 10

Wener. Geographie. S. 91

(١٥) صادره. على سبيل المثال. من. بوس. ودارك شامي. المعروف بريدريك الكبير. الذي
 حرص على مصفر. ع. عكر. نفسه وأهله والقر. من مختلف أرجاء أوروبا. إلى
 بلاد. من صبح بلادهم منلا بمصفر. ع. عكر. من المفكرين الأوروبيين. فغدا في نظر
 مصفر. ع. عكر. ع. عكر. ذلك مصفر. لاخرته. ودليلاً على تفوقه وقد كان فولتير
 ربح من ع. عكر. ع. عكر.

جمع أكثر قدر من المعلومات، التي يتوقع كل منهم أن تخدم محال تخصصه، وأحدته لعنمية، فانروفور ميشائيلس، على سبيل المثال، وهو الأب الروحي لعكره البعثة، كان هدفه أن يسعيد من نتائج الرحلة في دراسته التي كان يقوم بها للتوراة، وأن تحبب المعلومات، التي ستحصل عليها البعثة، على الكثير من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابات. بل وأن تعزز نتائج الرحلة نظريته المنحرفة إلى التوراة، باعتبارها خصوصاً يمكن دراستها لغوياً وتاريخياً، من خلال دراسات تاريخية ولغوية وجغرافية للبيئة التي وجدت التوراة فيها. ولأن هذه البيئة متعددة الجوانب، فإن دراستها دراسة شاملة تمثل أفضل السبل للوصول إلى معلومات تفيد في تفسير وفهم التوراة. لذا تضمنت الأسئلة التي صاغها والتي استوحاها من اهتماماته أولاً ومن اهتمامات العلماء المتصلين به ثانياً تغطية شاملة لمظاهر الحياة، من نبات وحيوان وأرض ومناخ وبشر... إلخ. ولعل هذه الأسئلة التي تضمنتها قائمة مكونة من مئة سؤال^(١)، تعبر عن الأهداف العلمية للرحلة أوضح تعبير.

وإلى جانب هذه الأهداف الشمولية، التي عبرت عنها أسئلة ميشائيلس التفصيلية الدقيقة^(٢)، كانت هناك بعض الأهداف، أو لنقل بعض الاهتمامات الجزئية المحددة، لهذا العالم أو ذاك، مثل البروفور لينني (Linné)، أستاذ فورسكال (Forskal)، الذي عبر عن هذا الاهتمام في طلبه إلى تلميذه، وهو يودعه، أن يبعث إليه بفص من شجرة البلسم، التي تحدثت عنها التوراة، لعله

Michachs. Fragen, S. 1 FF

(١) انظر:

(*) نشرت تلك الأسئلة فيما بعد في كتاب مكون من حوالي ٤٠٠ صفحة وقد كانت الأسئلة طويبة ومفصلة، حرصاً من السائل على الحصول على أجوبة تفصيلية. فأسئلة، مثلاً، عن طبيعة الجراد وأنواعها وعن الأمراض التي تصيب النبات وعن سبيل العرم... إلخ، استغرق كل منها ما يزيد على عشر صفحات. وأما السؤال المئة، وهو السؤال الأخير فقد استغرق حمسين صفحة. وهو سؤال عن أنواع مختلفة من الطيور، كالنسر والمقاب والباري والثورس والجباري والقطا والشرقراق. إلخ.

انظر مثلاً: Michachs. Fragen, S. 79 FF., 209 FF., 269 FF.

يستطيع أن يشاهدها ويدرسها ويحدد إلى أي فصيلة من فصائل النبات تنتمي،
قل أن يدرك الموت^(١).

جـ. تكوين البعثة:

تكونت البعثة من خمسة أعضاء من العلماء الشباب، اثنان منهم من
الدنمارك، واثنان من ألمانيا، وواحد من السويد، تتراوح أعمارهم بين الثامنة
والعشرين، والرابعة والثلاثين^(٢)، ويتمون إلى تخصصات علمية مختلفة:
فالبروفسور كريستيان فون هافن (Friedrich Christian Von Haven)،
الدينماركي الجنسية، متخصص في علوم اللغة. والبروفسور بيتر فورسكال
(Peter Forskal)، السويدي الجنسية، متخصص في علوم الطبيعة والنبات.
والمهندس كارستن نيبور (Carsten Niebuhr)، الألماني الجنسية، متخصص في
الرياضيات والفلك والجغرافيا. والدكتور كريستيان كارل كرامر
(Christian Carl Cramer)، الدنماركي الجنسية، متخصص في الطب، والطبيعة أيضاً.
وجيورج قلهم باورنفاند، (Georg Wilhelm Baurenfeind) الألماني الجنسية،
متخصص في الرسم^(٣). وقد خضعت البعثة لإعداد علمي خاص، امتد عدة
سنوات، كان الهدف منه استكمال جوانب النقص في تخصصات أعضائها.
فيور مثلاً كان تخصصه الأصلي مسح الأراضي، ولذا فقد كان عليه أن يتعمق
في دراسة الرياضيات والفلك والجغرافيا، حتى يصبح مؤهلاً للقيام بالمهمة
الموكلة إليه. وإلى جانب هؤلاء الخمسة ألحق بالبعثة خادم سويدي، هو
برجرين (Berggren).

وقد حددت التوجيهات الملكية المهام العلمية لأعضاء البعثة بدقة. أما
المهام الإدارية، فقد كان من المفترض أن يتولى البروفسور الدينماركي فون

(١)

(٢)

(٣)

Lohmeier, Niebuhr, S. 30. u. Hansen, Reise, S. 261.

Hansen, Reise, S. 9 - 10

Lohmeier, Niebuhr, S. 39 - 60. U. Hansen, Reise, S. 11

هذه رئاسة البعثة، إلا أن سلوكه خلال سنوات الإعداد قد أثار قلقاً لدى كل من البروفسور ميشائيلس والوزير بيرشتورف، وحسب أن تؤدي طبيعته الميل إلى الإهمال والتسويق واحتلاق الأعداء إلى فشل البعثة. وحمو من أن يؤدي تعيين شخص آخر لرئاسة البعثة إلى خلق جو من التوتر والمشاحنات، حيث كان فون هافن قد هباً نفسه لرئاستها، فقد ألعبت فكرة تعيين رئيس للبعثة واكتفي بتعيين نيبور أميناً لماليتها، وأكدت المادة السادسة من التوجيهات الملكية أن أعضاء البعثة متساوون، ولا يملك أحد منهم سلطة على الآخرين، وأن قراراتهم المتعلقة بإدارة عمل البعثة، يجب أن تتخذ من خلال مناقشة جماعية، وبأغلبية الأصوات^(١).

د. خط الرحلة:

كان من المفترض أن تتجه البعثة إلى اليمن، عن طريق الحط البحري الدائر حول إفريقيا، إلى مستعمرة ترنكبار (Trankebar) في الهند، ومنها إلى اليمن^(٢). وكان هذا هو الخط الذي اقترحه البروفسور ميشائيلس في رسالته إلى الوزير بيرشتورف. عندما طرح عليه فكرة البعثة، شككها لأولي البسيط، إلا أنه قد صرف النظر عن هذا الخط، أثناء فترة إعداد البعثة، باقتراح من الوزير بيرشتورف نفسه، كما روى ذلك البروفسور ميشائيلس. وحدد خطأً جديداً، أكثر كلفة، ولكنه بحسب رأي بيرشتورف وميشائيلس، أكثر فائدة علمية^(٣). وقد تضمنت التعليمات الملكية (المادة ٣) تحديد وصح لخط الرحلة الجديد، حيث تبدأ الرحلة من كونهنجن، عبر البحر، من القسطنطينية، فالإسكندرية، ثم براً إلى القاهرة، ومنها إلى جبل سيناء، ثم من

Lohmeier, Niebuhr, S. 58

(١)

Lohmeier, Niebuhr, S. 61 - 63

(٢)

Lohmeier, Niebuhr, S. 58

(٣)

السويس عبر البحر الأحمر إلى اليمن، لتبقى في اليمن سنتين إلى ثلاث سنوات^(١).

وحتى لا يبقى مجال للإلتباس، وخاصة أن البعثة قد أجرت أبحاثها في مصر وعلى امتداد خط الرحلة إلى اليمن، ثم واصل نيبور أبحاثه في طريق عودته إلى أوروبا عبر الهند وعمان وإيران والعراق وسورية وقبرص وفلسطين ولبنان وتركيا. إلخ... لا بد أن نؤكد هنا، أن محور الرحلة قد تركز حول إجراء أبحاث في (العربية السعيدة)، فقد كانت منذ بدء الرحلة، وحتى انتهائها. هدف الرحلة، والمجال الرئيسي لأبحاثها.

انطلقت البعثة في رحلتها من كوينهاجن في ٤ يناير ١٧٦١ م. ووصلت القسطنطينية في ٣٠ يولييه من العام نفسه، بعد أن توقفت في عدة موانئ، أوروبا وفي ١١ أغسطس غادرت البعثة القسطنطينية إلى الاسكندرية، لتصلها في ٢٦ من الشهر نفسه. ومن الإسكندرية إلى القاهرة، حيث وصلت في ١٠ نوفمبر. وبعد أن مكثت في مصر حوالي عام، غادرت القاهرة في ٢٨ أغسطس ١٧٦٢ م باتجاه السويس، لتصلها في ٣١ أغسطس. ومن السويس قام بعض أعضائها فون هافن ونيبور برحلة إلى جبل سيناء. وفي ١٠ أكتوبر غادرت البعثة مدينة السويس بحراً باتجاه اليمن، ووصلت ميناء جدة في ٢٩ أكتوبر. وغادرت في ١٩ ديسمبر، ووصلت ميناء اللحية في ٢٩ ديسمبر. ومن ميناء اللحية بذات البعثة أبحاثها في اليمن.

أما خط الرحلة، الذي سلكته داخل اليمن، فقد كان على النحو التالي :

غادرت البعثة اللحية في ٢٢ فبراير ١٧٦٣ م ووصلت بيت الفقيه في ٢٥ فبراير. ومن بيت الفقيه، قامت برحلات فرعية متفرقة، أهمها رحلات نيبور إلى غليفقة، والحديدة، وزيد، ورحلته الجبلية المشتركة مع فورسكال، باتجاه

(١)

العدين وحيلة وتعز ثم العودة إلى بيت الفقيه عن طريق (بلاد من ععلان) وحبس وفي ٢٠ إبريل غادرت البعثة بيت الفقيه إلى المخا حيث وصفتها في ٢٣ إبريل. وفي ٩ يونيه غادرت المخا إلى تعز، بعد أن دامت في المخا أول فقيد من أعضائها، وهو البروفسور فون هافن، الذي وافته الحمى في ٢٥ مايو ١٧٦٣ م، متأثراً بالمalaria. وفي ١٣ يونيه وصلت البعثة إلى مدينة تعز، وعادرتها في ٢٨ يونيه باتجاه صنعاء، عبر مدينة إب وجل سمارة، إلى يريم، التي وصلتها في ٥ يوليو، ودفنت فيها الفقيد الثاني من أعضائها، وهو البروفسور بيتر فورسكال، الذي توفي في ١١ يوليو ١٧٦٣ م. متأثراً بمرض (المalaria) أيضاً. وفي ١٣ يوليو غادرت البعثة مدينة يريم، عن طريق دمار، لتصل إلى صنعاء في ١٦ يوليو ١٧٦٣ م. وبعد إقامة قصيرة في صنعاء، قانلت البعثة في الإمام المهدي عباس، غادرتها في ٢٦ يوليو. باتجاه المخا، عن طريق مدح وبيت الفقيه. وفي ٥ أغسطس وصلت المخا، لتغادرها باتجاه الهند في ٢٣ أغسطس من العام نفسه. وفي طريق العودة قصت الملازيا على أعضاء البعثة الآخرين، ما عدا نيبور فمات الرسام جيورج قلهم وياور نفايند في ٢٩ أغسطس، ١٧٦٣ م. قرب جزيرة سقطرة، ومات خادم البعثة برجرين في ٣٠ أغسطس، أي في اليوم التالي ل وفاة ياور نفايند^(١)، وقذف بجسديهما إلى البحر. أما الطبيب كرستيان كارل كرامر فقد توفي يوم ١٠ فبراير ١٧٦٤ م في مدينة بومبي بالهند^(٢). وظل نيبور يواصل مهمة الرحلة مفرداً، ليتولى وحده في النهاية الإجابة على الأسئلة العلمية، التي كان على البعثة أن تحيى عليها مجتمعة. كل في مجال تخصصه، حيث عاد إلى الدينمارك في شهر نوفمبر عام ١٧٦٧ م.

هـ. المضاعب التي واجهتها البعثة في اليمن:

لا بد أن نقرر بداية أن المضاعب التي واجهتها البعثة في اليمن لم تترك

Hansen Reise. S. 336

(١)

Baumhauer Arabien. S. 72 u. Hansen Reise. S. 345

(٢)

لقد سحر أعضاء سيبور عن اليمن، ولم تعكس نفسها على أحكامهم، التي
صنف كتابه، وصف بلاد العرب (Beschreibung Von Arabien) ووصف رحلة
إلى بلاد العرب والهندان المجاورة (Reisebeschreibung nach Arabien und den
Umliegenden Landern). فقد كانت الحواشي الإيجازية، التي لمسها وعاشها
خلال رحلته وتحاوله في بلاد (العربية السعيدة)، أظهر من الحواشي السلبية،
حتى بلغ تأثيرها في نفسه درجة، أخذ عندها يلمس المبررات والأعذار الكفيلة
بجعل تلك السبب مجرد ظواهر عرضية، لا تؤثر في الحكم العام على اليمن
وأهله. وأخذ يقدّر المقدرات، كلما وجد فرصة في سياق كتابه، بين أهل اليمن
وعاداتهم وأخلاقهم ومعاملتهم للأجانب، وبين أهل مصر والأتراك، وهما
البلدان اللذان كان قد مكث فيهما بعض الوقت، أثناء رحلته، قبل وصوله إلى
اليمن. مل وفي مرار كثيرة، أخذ يقارن بين كرم وسماحة وترحاب أهل اليمن،
وبين الأوروبيين في بلادهم. وتنتهي هذه المقارنات، عادة، لصالح سكان
اليمن.

ولعل أبرز الصعوبات قد تولدت عن كون أعضاء البعثة قد وجدوا أنفسهم
في بيئة مختلفة تماماً عن بيئتهم، ثقافياً واجتماعياً وجغرافياً ودينيّاً. إلخ...
وكان مرض الملاريا هو أصعب الصعوبات، التي صادفت البعثة، وأجبرتها على
تغيير خططها بصورة جذرية. فقد أصيب جميع أفراد البعثة، دون استثناء،
بالملاريا في نهاية، وقضوا نجيم الواحد تلو الآخر، بسبب هذا المرض. ولم
تترك يد الموت سوى نيبور. ومع أن هذا المصير المعجيب كان كفيلاً بأن
يجعل سيبور يغير من نظره إلى اليمن، وهو أمر متوقع ومفهوم، فسيبها فقد
جميع رفق الرحلة، وعلى رأسهم أهم أعضاء البعثة، صديقه فورسكال، إلا أن
منظره يبرز في الواقع لم تتأثر بهذا الأمر، على خلاف ما ذهب إليه بعض من
ليس بها، فيزعمون، كما هو الحال بالنسبة لثوركلد هانزون Thorkild
Hansen، أن نيبور، بسبب ما واجهه في اليمن، لم يعد يستخدم في كتاباته

اسم (العربية السعيدة). واكتفى باسم (اليمس)، إذ إن هذه البلاد، لا يمكن
بالسنة له أن تبقى موطن السعادة على الأرض^(١)، أما سبور نفسه فقد دلّ له
رأي آخر. ولقرأ معاً ما كتبه في مقدمة كتابه (وصف بلاد العرب) حول هذا
الامر:

ويخطفه المرء، إذا طس أن رفاق رحلتي - نظروا ثوباتهم الواحد تنو
الأخر - قد قضاوا نحبهم بسبب وباء أصيبوا به إني أعتقد، بالآخرى، أنه نحن
أنفسنا كنا السبب فيما حصل، وأنه يمكن تغييرنا أن لا يقعوا فيما وقع فيه لقد
كانت مجموعتنا كبيرة، الامر الذي لم يمكننا من التكيف سريعاً مع طبيعة الحبة
في هذه البلاد. وفي أشهر كثيرة لم يكن نتمكن من الحصول على مشروبات
كحولية قوية، كما نحن معتودون. وفي الوقت نفسه كنا نستمرار بتناول طعامنا
المكون بصورة رئيسية من اللحم، وهو طعمه يعتبر في البلدان الحارة غير صحي.
وكنا نحد البرودة في الليل بعد نهار حار. معتقة، بحيث كنا نعبرس أنفسنا بها
بارتياح. كما أننا لم نعط اعتباراً لاختلاف الحرارة بين النجبل والشهون، وهو امر
كان يجب أن نراعيه. لقد سلكتنا طرقاً وعرة. وكانت رحلاتنا على تلك الطرق
تتم بشكل سريع، ودون توقع كاف للراحة، وذلك من أجل أن نتمكن من
التعرف على داخل البلاد. وكنا أحياناً نواجه مضايقات من الأهالي. ولكن نعل
ذلك يرجع إلى أننا لم نكون قد عرفنا أهالي هذا البلد بما فيه الكفاية. الامر الذي
كان يجعلنا غالباً نعتقد، وبدون وجه حق، أن شكراً لنا ما يبرره، دون أن
نضع في اعتبارنا، أنه حتى في أوروبا نفسها، لا يستطيع المرء دائماً أن يسلم
دون مضايقات^(٢).

والى جانب مرض الملاريا كأبرز الصعوبات التي واجهت البعثة وأثرت
في عملها وفي نتائج رحلتها، واجهت البعثة صعوبات أخرى أقل حدة، فقد

Hansen Rene S 342

Nachdr C. BVA S IX. ٧

(١)

(٢)

إقامة مريحة في النخبة. كان أعضاء البعثة فيها موضع حفاوة وتكرير مر قبل
 عامل للبحرية وتجارها ومواضيعها غادرت إلى بيت الفقيه، لتتمتع هناك بإقامة
 مريحة أبداً وتشرع الأعمال العلمية عبر رحلات قصيرة في مناطق تهامة،
 وفي مناطق النجاش القريبة. ومن بيت الفقيه غادرت إلى المخا. وفي المخا
 بدأت التصويبات تتوالى، فعامل المخا يختلف عن مثيله في كل من اللحية
 وبيت الفقيه. وموظفو الجمرك أقل نفعاً من موظفي جمركي اللحية وبيت
 الفقيه. ولذا فقد تم تفتيش أمتعة البعثة، التي كانت قد أرسلتها بحراً من
 اللحية، تفتيشاً دقيقاً، وفنحت الزجاجات التي وضع فيها فورسكال مجموعات
 البحرية، فصدرت عنها روائح مزعجة، استاء منها كل من تجمع في مبنى
 الجمرك، من الموظفين والموظفين، وكان بين الحيوانات المحفوظة بعض
 الحيات. فانتقلت الإشاعة سريعاً، بأن هؤلاء الأوروبيين يضمرون نوايا سيئة
 نحوه اليميين، وأنهم يتوون تسميمهم، بما سيستخلصونه من سم الحيات.
 وبطرح لهذا الوضع، توقف الموظفون عن فحص الأمتعة، وامتنعوا عن تسليمها
 إلى أصحابها. وعاد أفراد البعثة، ليجدوا أن صاحب البيت، الذي كان قد قبل
 تأجيرهم إليه، قد أخرج أدواتهم منه، ورفض السماح لهم بالمبيت فيه،
 تحريضاً من صديقهم صالح. وامتنع سكان مدينة المخا عن إيوائهم، حتى
 تدخل قاضي المدينة لنقل أحد السكان. وبعد ذلك عانت البعثة من عامل
 المح، الذي لم يلقف من معاملته إلا بعد أن تسلم هدية من البعثة مقدارها
 خمسين دوكتراً. وقد تطوع صديق البعثة واسمه صالح، وهو شاب كان قد رافق
 البعثة في رحلتها البحرية من مياه حلة، وواصل الرحلة مع السفينة إلى المخا
 ونجحت البعثة عن أجرة السفينة، لأنها وجدته شخصاً لطيفاً^(*)، تطوع لمضايقة

(*) كانت البعثة قد وثقت ذلك الشاب إلى درجة أنها بحثت معه معظم امتعتها إلى ميناء المخا بما
 به محررات فورسكال وذلك عندما قررت أن تنزل في ميناء اللحية وتواصل السفر براً إلى
 البحر

البعثة متحلياً عن لطفه، بعد أن يشس هو ووالده من ابتزازهما، وكان والد صالح هذا واحداً من تجار المخا.

وبعد أن دفنت البعثة أول فقيد من أعضائها، وهو فون هافن، أرادت أن تغادر المخا، باتجاه صنعاء، إلا أن عامل المخا رفض أن يسمح لها بذلك، إلا بعد وصول إذن من الإمام. وبعد جهد، ولاعتبارات صحية، سمح لها أن تغادر إلى تعز، لعل أفرادها، وخاصة نيبور وفورسكال اللذان كان المرض قد أدركهما، يجدون في مناخ تعز اللطيف، فرصة للاستشفاء؛ على أن تنتظر هناك حتى يصل إذن من الإمام بالتوجه إلى صنعاء.

ورافق البعثة، في رحلتها من المخا إلى تعز، خادماً من خدم عامل المخا، ليكون عيناً للعامل عليها. وقد سبب ذلك الخادم للبعثة الكثير من المضايقات. وفي تعز بدأ عاملها غير مكترث بوجود أعضاء البعثة، إلا أنه قد حظر عليهم الصعود إلى جبل صبر، بسبب المشاكل التي كانت ناشبة بينه وبين بعض قبائل الجبل. وفجأة طلب العامل منهم الرجوع إلى المخا، حيث وصلته رسالة من عامل المخا، يطلب فيها عودتهم. وبينما هم يحاولون إقناع عامل تعز بالبقاء لديه، حتى تصل أوامر الإمام، إذا برسالة تأتي من عامل المخا، تشعرهم أن الإمام قد سمح لهم بالسفر إلى صنعاء. ويتضح أمر الرسالة السابقة، فإذا هي رسالة مزورة، كان وراءها خادماً عامل المخا.

وبدأ عامل تعز يناور ويمارس ضغوطه عليهم، بغية إبتزازهم، فمرة يسمح لهم بالسفر، ومرة يمنعهم. ولم يكف عن ذلك إلا بعد أن تدخل قاضي تعز وكتب له: «لا تكن طماعاً مع هؤلاء، فهم أناس أغراب»^(١).

ومع بدء الرحلة. إلى صنعاء وقع فورسكال مرة أخرى فريسة لمرض الملاريا، بعد أن كان قد تماثل للشفاء. فأصبحت الرحلة، بسبب مرضه، أكثر

ت
بعد - أو
ناحية،
حصيلتها
...
ما يزيد
بالدراسة
العلماء
إلى مز
وهو واحد
العشرين
الرحلة
لم يتعر
هذا ال
الظواهر
فمن ح
إعداد
العلماء
(١)
(٢) انظر
(٣) قارن
(٤)

صعوبة فقد نعت حنثه من السوء جداً كان لا بد عده من حمله على نقاله، أو
ربطه فوق أحد الحمال. ووقع نيور بدوره فريسة للمرض أيضاً، إلا أنه استمر.
رغم ذلك، متحملاً على نفسه، يستمر دون انقطاع، عن أسماء القرى وقيس
الارتدادات، ويحدد الانحدار، ويحسب المسافات، ليحملها جميعاً في نهاية
النهار على حارسته التي كان يعمل على وضعها لليمن.

ووصلت البعثة إلى يريم، بعد عناء شديد. وفي يريم صادفت أصعب
المواقف. حيث عولت من قبل الأهالي معاملة قاسية، فرجعت نوافذ الدار التي
استأجرتها بالحجارة، وتوفي فورسكان، أكبر علماء البعثة، متأثراً بمرضه، ودفن
حنثانه في ظروف قاسية، أثناء الليل، وعلى عجل، خوفاً من الأهالي، في
قضية أرض اشترتها البعثة لدفنه. وبعد دفنه أخرجت جثته من قبل اللصوص،
وسرع الكفر عنها. ثم تركت خارج القر، فأمر العامل أحد اليهود بإعادتها إلى
القر. وسمح له أن يأخذ الصلوق. الذي كانت قد وضعت فيه كأجر له على
قبمه مدنها.

وعثر عامل يريم نفسه وريثاً شرعياً لفورسكان، وأصر على أخذ جزء من
أثوانه ومحفلاته. ولما لم تجد البعثة بداً من الإذعان لطلبه وافقت أن تسلمه ما
يريد شريطة أن يحررها استلاماً مكتوباً بذلك. فإذا به يصرف النظر عن حقه
الشرعي وقد عبر نيور عن اعتقاده أن العامل قد صرف نظره عن الإرث، لأنه
كان يعرف أن البعثة ستواصل سفرها إلى صنعاء وخشي أن تطلع وزير الإمام
على تصرفه^(١)

هذه هي الصعوبات التي تستحق الذكر هنا. وإلى جانبها كان هناك الكثير
من التسهيلات وحسن الإستقبال والمعاملة الطيبة، التي لقينها البعثة، وتحدث
عنها نيور بإعجاب وإرتياح. وسأنتهي على ذكر بعضها في سياق حديثنا عن
انطباعات نيور عن اليمن.

و. الأهمية العلمية للرحلة وأهم إنجازاتها:

تعتبر رحلة البعثة الملكية الدينماركية - أو رحلة نيور كما عرفت فيما بعد - أول رحلة أوروبية إلى اليمن، خطط لها تخطيطاً علمياً منهجياً^(١)، من ناحية، وأول رحلة ذات نتائج علمية حقيقية، من ناحية أخرى. فقد شملت حصيلتها مجالات عديدة، كالطبوغرافيا ورسم الخرائط والاثولوجيا والطبيعة. . . إلخ^(٢) ورغم أن بعض نتائجها قد صححت أكثر من مرة، على امتداد ما يزيد على مئتي عام، إلا أنها ما زالت تتمتع بمكانة مرموقة، في نظر المهتمين بالدراسات اليمنية، ولا زالت تعتبر دليلاً ومرشداً، لا غنى عنه للرحالة، من العلماء والدارسين، ومصدراً استمدوا منه معلوماتهم الأولية، التي انطلقوا منها إلى مزيد من الاكتشافات العلمية^(٣). ويذهب فون فيسمن Von Wissman، وهو واحد من العلماء الذين زاروا اليمن في الثلاثينات من هذا القرن (العشرين) ونشروا دراسات وأبحاث عنها، يذهب إلى القول، أنه لا مثيل لهذه الرحلة، لا فيما سبقها من الرحلات ولا فيما تلاها. وأن هناك مناطق في اليمن، لم يتعرض للحديث عنها أحد من الرحالة بعد نيور، وحتى الثلاثينات من هذا القرن^(٤).

لقد تكفلت جملة من الظروف والأسباب في جعل هذه الرحلة من أبرز الظواهر العلمية في عصرها، وإحلالها مكانة، لا زالت تتمتع بها حتى اليوم. فمن حيث الإعداد، لم تحظ رحلة علمية أخرى بما حظيت به هذه الرحلة، من إعداد علمي طويل، امتد أكثر من خمسة أعوام. ولم تشد رحلة أخرى أنصار العلماء الأوروبيين، وثمر اهتمامهم، كما فعلت هذه الرحلة. فقد تابعوا أخبارها

Schlöter, Die Wissensch. S. 239.

(١)

Weber, Forschungswesen, S. 4 - 5.

(٢) انظر:

Baumbauer, Arabien S. 73.

(٣) قارن:

Baumbauer, Arabien S. 21

(٤)

ويعتبر إليها من مختلف جامعاتهم بالاستفسارات العلمية، التي تمنوا أن تتمكن
من الإجابة عليها^(١).

ومن حيث النتائج، مثل فتحاً علمياً كبيراً، إذ عرفت العلماء الأوروبيين
بالعربية السعيدة، التي لم يكونوا يعرفون عنها إلا القليل. وظلت حصيلتها، كما
تقدم زاداً لا غنى عنه للمهتمين باليمن، من الرحالة والباحثين.

يضاف إلى ما تقدم المصير المأساوي لأعضاء البعثة، الذي لا شك أنه قد
ولد تعاطفاً إنسانياً تجاههم، وجعل ما أنجزوه، ودفعوا حياتهم من أجله، موضع
تقدير وإكبار. ويمكن لنا هنا أن سوق مجرد مثل سريع لهذا الإكبار من مقالة
تحدث فيها شقابين فورث Schweinfurth عن رحلته إلى اليمن عام ١٨٨٧ م:

«كان قد انقضى ١٢٨ عاماً على رحلة نيور، التي كانت رحلة العصر،
عندما وصلت في ٤ يناير من هذا العام إلى جبل برع، منطقة البن في اليمن،
وبكن ما لدي من حب استطلاع، مفعم بالفرور، تمنيت أن يُنظر إلى رحلتي
على أنها عمل لا بأس به، مقارنة بما أنجزه عالم النبات السويدي، الذي غدر
به الساح، فسقط هناك في اليمن، ولم يكديبلغ السابعة والعشرين من عمره،
بعد أن استغرق حلال رحلته، التي لم تتجاوز نصف عام واحد، أن يجمع كنزاً
من المعلومات العلمية، التي نشرها نيور بمساعدة العالم سويجا Soega،
في محله لا غنى عنه حتى اليوم، في التعرف على نباتات ذلك البلد، وسيتبقى
هذا المحل، في جميع الأزمان، مثلاً يعبر عن الاجتهاد العجيب، وعن موهبة
الملاحقة التي لا تضاهى لدى فورسكال الرائع^(٢)».

وعلى الرغم من هذه المكانة، التي احتلتها رحلة البعثة الملكية
الديساركية إلى اليمن، في نظر العلماء والباحثين والرحالة، المهتمين باليمن،

(١)

(٢)

إلا أننا نعتقد استناداً إلى ما بأيدينا من مخلفاتها، أن وفاة أعضاء البعثة جميعهم، باستثناء نيور، قد أثر تأثيراً حاسماً في نتائجها، وجعل إنجازاتها العلمية - على ضخامتها - أقل بكثير مما كان يمكن أن تنجزه، لو بقي أعضاؤها أحياء، يواصلون أبحاثهم على امتداد الرحلة، ويشغلون بدراسة ما جمعوه من مواد ومعلومات بعد انتهاء الرحلة. وتأكيداً لما ذهبنا إليه يكفي أن نلقي نظرة سريعة على مصير المجموعات النباتية والحيوانية التي جمعها فورسكال:

أرسل فورسكال من القسطنطينية أول مجموعة من النباتات والحيوانات البحرية، التي كان قد جمعها أثناء رحلته البحرية من كوبنهاجن إلى القسطنطينية، ولكنها لم تصل إلى كوبنهاجن إلا بعد عامين، وكان الكحول الذي حفظت فيه قد تبخر وفسد الجزء الأعظم منها. ومن القاهرة أرسل ثلاثة طرود ومجموعة صناديق، مملوءة بالنباتات والحيوانات والطيور المحفوظة. ولكنها لم تصل إلا وقد عبث بها الأيدي، ولحقت بها الأضرار. ومن مدينة السويس بعث بصندوق ضاع في الطريق. وفي ميناء المخا تم تحطيم جرة من الصناديق وفسدت محتويات الجزء الآخر منها، بسبب الحر الشديد، وطول الاحتجاز في الجمر، وانتهى الأمر إلى رميها في البحر^(*). ورغم ذلك فقد تمكن فورسكال أن يجمع، في اليمن قبل موته، ويحفظ من النباتات والحيوانات والبذور، قدر اثني عشر صندوقاً، حملها نيور معه إلى الهند، ومن هناك أرسلها بحراً إلى كوبنهاجن، فتحطم بعضها في الطريق، ووصل بعضها الآخر بعد ثلاثة أعوام من وفاة فورسكال أي عام ١٧٦٦ م. لقد جمع فورسكال آلاف الأصناف من النباتات والحيوانات والطيور البرية والبحرية، وبلغ ما جمعه من البذور فقط، ما يزيد عن ألفي صنف، كما يستدل من القوائم التي أثبتت فيها أسماء تلك الأصناف، وقد بعث بجزء من البذور إلى بعض الجامعات

(*) كان فورسكال قد جمع محتويات تلك الصناديق قبل وصوله اليمن وأرسلها سحراً إلى المخا - سطر هامش ص ٤٢ من هذا البحث.

الأوروبية. في كوسهاجر وندند وباريس ولابدن وغيرها، ووصل معظمها
سليماً

وقد خلف فورسكال، إضافة إلى ما تقدم، وإضافة إلى يومياته العديد من
الملاحظات المكتوبة. وتصنيفات المواد التي جمعها، وموضوعات حول
العادات والتقاليد واللغة والتاريخ والدين والزراعة والبضائع والأسعار والعملات
والأوزان إلخ. وقد آلت جميعها إلى الإهمال، ولم يستطع ميشائيلس
ولا أستاذ فورسكال - ليني - أن يقرأها من قبضة الروتين والإهمال والصراعات
والمناسبات. ولم ير النور منها إلا ما ضمنه نيبور في كتابه، أو ما تم استنباطه
من مدور في الجامعات التي أرسلت إليها، أو ما تمكن نيبور من نشره باسم
صديقه فورسكال، وكان هذا لا يمثل شيئاً، قياساً بما كان قد تم جمعه. وقد
فقدت حتى يوميات فورسكال، ولم يتم العثور عليها إلا في عشرينات هذا
القرن (أي القرن العشرين)، وتم طبعها في عام ١٩٥٠، أي بعد حوالي مئة
وسبعين عاماً من موت فورسكال^(١)، وكأنما قد تنبأ فورسكال بالمصير الذي
سنتهي إليه جهوده، ففي رسالة كتبها إلى أستاذه ليني، وهو في بيت الفقيه، في
١٨ أبريل ١٧٦٣ م. أي قبل وفاته بأقل من ثلاثة أشهر، ليزف إليه بشرى
اكتشفه شجرة اللحم. التي يسميها البينيون (أبو شم)^(٢)، وردت العبارات
التالية... حقيقة إن هذا بلد يستحق أن تأتي إليه بعثة علمية متخصصة في
علم النبات... ولكن إذا لم يقدر لي أن أعيش إلى ذلك اليوم الذي أتمكن فيه
من أن أناقش ما جمعت مع السيد أرشياتر Archiater، فإن خسارتي، وخسارة
العلم ستكون أكبر مما يستطيع الإنسان وصفها^(٣).

ولم تقتصر حسرة العلم على عدم تمكن فورسكال من مناقشة ما جمعه

(١)

(٢)

(٣)

Hansen, Reise, S. 306 ff.

Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 352.

Hansen, Reise, S. 261 - 262, 305.

بل إن موته قد حرم العلم من تسجيل أي ملاحظات جديدة حول الساتات والحيوانات وغيرها مما يدخل ضمن تخصص علماء الطبيعة^(١). ورغم الخسارة الفادحة، فإن ما بذله نيبور من جهد غير عادي بهدف تحقيق نوع من التمييز، قد أبقى هذه الرحلة معلماً هاماً في سياق الرحلات العلمية الاستكشافية، التي قدمت من أوروبا إلى المنطقة العربية، وحملها نحتل مكانتها المتميزة كما تقدم.

ولعل أهم الإنجازات التي بين أيدينا، إضافة إلى ما نبقي من مجموعات فورسكال ويوميته، وإلى ما خلفه رسام البعثة بورنفاند من رسوم، سجل فيها معالم البيئة اليمنية، الاجتماعية والطبيعية، هي ما أنجزه نيبور، وتتمثل بالخارطة التي وضعها لليمن، وتعتبر أول خارطة لليمن تتصف بقدر كبير من الدقة والتفصيل، وبكتابه الهامين: (وصف رحلة إلى بلاد العرب والبلاد المجاورة الأخرى)، في ثلاثة مجلدات. و(وصف بلاد العرب) في مجلد واحد. وسوف نتحدث عنهما فيما بعد.

ز. لماذا أسرع البعثة في مغادرة اليمن:

قبل أن نختم الحديث عن البعثة بإجمالها، نود هنا أن نسرّد الأسباب التي جعلتها تسرع في مغادرة اليمن. فقد كان من المقرر، وفقاً للتوجيهات الملكية، أن تمكث البعثة عامين إلى ثلاثة أعوام^(٢). لكنها لم تبق سوى سبعة أشهر. وقد حرص نيبور على إيضاح هذه الأسباب في كتابه (وصف رحلته إلى بلاد العرب والبلدان المجاورة الأخرى) فقال:

«لقد عوملنا في صنعاء بلطف وترحاب، أكثر مما كنا نتوقع، حتى أن العديد من الأعيان، قد بذلوا جهودهم لإقناعنا، بأن نترك السفينة الإنجليزية^(٣)»

Niebuhr, C. RB. Bd 2. Vorwort.

(١)

Lohmeier Niebuhr, S. 61.

(٢)

(٣) كانت البعثة قد عقدت العزم، وهي في المعان أن ترحل مع سفينة إبحارية. كانت راسية هناك، وتحدد رحيلها في أول سبتمبر ١٧٦٣ م.

ترحل، وأن يبقى عاماً آخر في اليمن. وعلى الأرجح فإنه كان يمكن أن يبقى عاماً آخر دون أن تصادف أية متاعب من قبل الأهالي. ولكن لأن البروفسورين^(٥) قد ماتا ولا يستطيع أحدنا أن يسجل أية ملاحظات جديدة حول اللغة والطبيعة. ولأنني كنت قد شاهدت معظم المدن الغربية، في هذه المملكة الصغيرة، ووضعت المخطط الأساسي لخارطة اليمن. ولأننا كنا قد سمعنا الكثير عن طبائع الإمام الحاكم الجشعة. ولأننا كنا قد دخلنا في شجار شديد مع كل من حاكم المخا وحاكم تعز، ولازلنا نخشى أن تقع في إشكالات جديدة معهما. ولأن المتاعب المستمرة الناتجة عن اختلاف الطقس والمياه، بين السهل والجبل، جعلتنا غير قادرين على التكيف. لهذا كله قررنا أن نرحل إلى المخا، ومنها إلى الهند، حفاظاً على سلامتنا وسلامة أوراقنا^(١).

وهكذا وجدت البيئة أن بقاءها عاماً كاملاً في اليمن، بعد أن قضت حوالي سبعة أشهر، لن يحقق فوائد علمية، تقاس بالمتاعب الصحية والإدارية المحتملة. لهذا قررت الرحيل، قبل انقضاء المدة الزمنية، التي كان مقرراً أن نمكثها في اليمن، بعد أن عاشت شهراً مليئة بالعمل والبحث والمشاق والمرض والموت في آن واحد.

٢ - كارستن نيبور Carsten Niebuhr :

أ. شخصية نيبور:

كما يصنع المحققون، عندما يريدون أن يتحققوا من صحة الرواية التاريخية، فيضعونها لعملية نقد ظاهري وباطني، تبدأ بدراسة شخصية الراوي. لما لشخصيته من تأثير على مصداقية الرواية نفسها، نجدنا مسوقون هنا إلى التعرف على شخصية نيبور لتلمس من خلال ذلك، مدى دقته

(١)

(٥) قصد البروفسورين البروفسور هون هافن والبروفسور فورسكال، وكنا الوحيديين اللذين حملنا هذا النصف العلمي من بين أعضاء البعثة.

Niebuhr, C. RB, Bd 1, S. 425.

(١) للمزيد من
وكذا:

وصدقه، في تسجيل ملاحظاته ومعلوماته.

ومن حسن الحظ أن المادة التي بين أيدينا تقدم لنا صورة واضحة عن نيبور ليس فقط من خلال معلومات عن طفولته ونشأته وتعليمه، وإنما أيضاً من خلال مواقف تدل على أخلاقه، ترتبط ارتباطاً مباشراً بالرحلة نفسها.

ولد نيبور في ١٧ مارس ١٧٣٣م في منطقة ريفية، قرب مدينة هامبورج، في شمال ألمانيا، من أسرة فلاحية، لا علاقة لها بالعلم، ولم تكن القراءة والكتابة أمراً هاماً بالنسبة لها. وتوفيت والدته وهو في الشهر السادس من العمر، وتولت مسؤولية تربيته زوجة أبيه، وبدأ يعمل في الحقل في سن مبكرة. ولم يسمح له والده بالالتحاق بالمدرسة، إلا بعد محاولات إقناع متكررة وحده كبير. ولكنه ما إن بدأ يتعلم القراءة والكتابة، حتى مات والده، وتوقف عن الذهاب إلى المدرسة، بناءً على أوامر الوصي، الذي رأى في المدرسة ترفاً لا معنى له.

كانت الأرض التي خلفها له والده لا تكفي لأن يعيش منها مستقلاً، لهذا فكر بنوع من التعليم يستطيع أن يعتمد عليه في حياته. على أن لا يشترط هذا النوع من التعليم دراسة مسبقة. وهكذا اتجه إلى دراسة الموسيقى، وبالذات إلى تعلم العزف على آلي الكمان والناي. ولكنه اضطر بعد فترة وجيزة إلى التوقف عن دراسة الموسيقى، نزولاً عند رغبة الوصي، وأخذ يعمل كفلاح أجير، لدى الوصي نفسه، حتى بلغ سن الرشد، وانتهت فترة الوصاية، عندها عاوده التفكير في تعلم مهنة يعيش منها. وقد هداه تفكيره، وهو يلاحظ أنه كلما نشب خلاف حول حدود الأراضي الزراعية يضطر المزارعون إلى استخدام مساح للأراضي من مدينة هامبورج، أن يتعلم مهنة مسح الأراضي. ولكن تعلم هذه المهنة يتطلب بعض المعارف السابقة، لذا اتجه نيبور إلى مدينة هامبورج

والتحز، وهو في الثانية والعشرين من عمره، في إحدى المدارس، ليتلقى في وقت قصير التعليم الابتدائي، الذي كان يفترض أن يتلقاه في طفولته. وقد استطاع بإصراره وجده أن يلتحق سريعاً بالثانوية العامة. وفي عام ١٧٥٧م استطاع، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، أن يسجل في جامعة جوتنجن للدراسة الرياضيات. وسرعان ما لفت انتباه أستاذ الرياضيات، البروفسور كاستنر Kästner، الذي أخذ يوليه عنايته، وبذل جهداً لتأمين منحة دراسية له.

انكب نيور على الدراسة بكل طموحه وبكل رغبته في التعلم، بعد حرمان طويل، وتركزت دراسته في البدء في الرياضيات وعلم الفلك. وفي يوم من أيام صيف ١٧٥٨م فاجأه أستاذه بؤاله عما إذا كان يرغب في السفر إلى البلاد العربية. وكان رده بالإيجاب، فليس لديه ما يربطه بأحد في قريته، ولديه رغبة جامحة للتعرف على العالم الواسع. ولما أخبره أستاذه عن البعثة المزمع إرسالها، مر قبل ملك الدينمارك أبدي تردده، إذ إن المشاركة في مثل هذه البعثة تتطلب درجة عالية من المعرفة. لكن أستاذه طمأنه وأكد له أن هناك سنوات إعداد علمي متخصص مسبق لإرسال البعثة.

وهكذا كان. أعد نيور علمياً، على أيدي أستاذه متخصصين، من أجل هدف محدد، وهو المشاركة في الرحلة إلى العربية السعيدة، في وقت كان فيه رفاق الرحلة على وشك إنهاء دراساتهم الأكاديمية المنتظمة.

بعد هذه اللحظة السريعة عن حياة نيور، منذ طفولته، وحتى التحاقه كعضو في البعثة المسكية الدنماركية - وهي بعثة نستشف منها بعض خصائص نيور الدالة على شخصيته الجادة، وعزمته القوية، وقدرته على تحديد أهدافه. والسعي دون كلل لتحقيقها، وعلى قوته الداخلية، وقدرته على التكيف - سوف نستعرض يليه، بعض المواقف، ذات العلاقة بالرحلة. وهي مواقف من شأنها أن تجعلنا نقرب أكثر من شخصية نيور وأخلاقه.

كان فورسكال قد حصل على الدكتوراه، كما منح فون هافن فرصة

للحصول على
كفل لهما من
كمقابل للأن
يرغب هو أي
على درجة
مثل هذا ال
أو كابتن لا
الكفاية في
ينظر إلى
لويتنانت (*)
dvermesser
وقد
ليكون مسؤ
فضيلتان ك

وفي
تأثيراً عميقاً
التسهيلات

(١)
(٢)
(*) ولّد لقب
لويتنانت
بمعنى قائد
بالإنجليز
أو مكان
فإن تف
قارن.
وكذا:

للحصول على الدكتوراه بشكل سريع في الفترة التي سبقت بدء الرحلة. كما
 كمل لهما مرتب تقاعدي في المستقبل ومنحا بناء على طلبهما لقب دكتور
 كمقابل للاشتراك في الرحلة. وعندما سأل بيرنشتورف نيبور فيما إذا كان
 يرغب هو أيضاً في أن يمنح هذا اللقب كزميله رد بالرفض، لأنه لم يحصل بعد
 على درجة الماجستير، فعرض عليه أن يمنح لقب (كاشن) لكنه رفض أيضاً لأن
 مثل هذا اللقب لا يتناسب مع سنه. وقد برر رفضه قائلاً: «إنني كدكتور
 أو كاتب لا بد أن أشعر بالخجل إذا تبين يوماً من الأيام إنني لم أنعم بما فيه
 الكفاية في أبحاثي الرياضية»^(١). وبعد لحظة صمت، كان فيها بيرنشتورف
 ينظر إلى نيبور متفحصاً متعجباً، قرر أن يطلق عليه لقب انجنيير
 لوينانت^(٢)، وهو لقب - كما يذكر هانزن - يعني باللغة الألمانية لاند فرميسر
 Landvermesser أي مساح أراضي^(٣).

وقد اتفق كل من بيرنشتورف والبروفسور ميشائلس، على اختيار نيبور،
 ليكون مسؤولاً عن مالية البعثة، لما لاحظاه عليه من صدق وتواضع، وهما
 فضيلتان كفيلتان بجعل المرء يعرف حدوده ويلتزم بها.

وفي ميناء اللحية استقبلت البعثة استقبلاً كريماً، أثر في نفس نيبور
 تأثيراً عميقاً، ترك بصماته في صفحات كثيرة من كتابيه. فقد أعطيت للبعثة كل
 التسهيلات، وطلب عامل اللحية منها أن تنزل في ضيافته، وأكد لها أنها تستطيع

Hansen, Reise, S. 39

(١)

Hansen, Reise, S. 39.

(٢)

(٣) ولّد لقب انجنيير لوينانت Ingenieur-Lieutenant، الذي منح لنيبور الشاب فخر المعص أن
 لوينانتات هن تعني لفتاً عسكرياً ملازم فعدا نيبور لديهم صسط البعثة في حين أن لقب
 يعني تقريباً مهندس مساح أراضي باللغة الألمانية، كما أشير هانزن وتعني Lieu
 بالإنجليزية مكان أو بدل أو محل. كما أن من معاني Lieutenant بالإنجليزية موظف محل
 أو مكان رئيسه عند غيابه وهذه المعاني تشير بشكل أو بآخر إلى المكان أو قبس المكان. بما
 فإن تفسير هانزن لهذا اللقب هو أقرب إلى الصحة
 قارن:

Hansen, Reise, S. 39

وكذا: الرعدي، من كوشهاجن، ص ٢٣، ٥٠.

ر تحدث بكل حرية وأمر. وبعث إليها رئيس من الغم، حثها بوصفها
 وقد به حد سحر هذه فحة من الغم، لوحة الغشاء. وعرض كل من
 ناعس وتحرر بدفع أجرة نسبة التي أفتت من مبداء حدة. وهنا يرفض
 بيور. هذا العرض. ويغوه دفع أجرة نسبة. باعتبارها المسؤول عن عالية
 لثة. وقد عر عن إحسانه هذه المعاملة الكريمة. بقوله: «إنه من غير
 لحنس أن تنق بعة عربية في أوروبا. من قبل الأوروبيين مثل هذه المعاملة
 تكريمة»^(١). وبعد تجمعت لثة لثخرة النحية. أراد عامل اللحية أن يدفع
 أجرة لحنس. وبعبارة أخرى استخرجت لقل لثة إلى بيت الفقيه. ولكن نيور
 رفض ذلك بصر. فثلاً. «لا أستطيع أن تقبل ذلك. فلم نأت إلى بلاد
 العرب لعيش على حساب أئمة»^(٢). ويكرر بيور مضمون هذا القول. وهو
 يتحدث عن إقامة لثة في صده. وما لاقته من حفاوة وتكريم. فيقول: «إننا
 لا نريد أن نعش على حساب أئمة»^(٣).

وأنه عرفة لثة من صده. متحذ المخا. كان الإمام قد زودها بأوامر إلى
 لحنس. على متدة الطريق. بأن يتولوا استضافتها. استضافة كاملة. أثناء
 مروره في مدينته. لأن بيور - مخالفاً بذلك رغبة مرافقي البعثة من اليمينين
 ليس كمن يرغبون في أن يتمتعوا بكرم الضيافة. ويضفوا على أنفسهم نوعاً من
 الأهمية ونسبة. وهم يحسون صيوفاً على العمال - كان يصبر على أخذ
 هو صبري لثمة لثخرة فقط. وفي الحدود الدنيا^(٤). وفي هذا الصدد
 يذكر عرب. أن لثة. عندما رحلت من اللحية إلى بيت الفقيه. حمل
 مريضه بيور لحنس من عمل اللحية. إلى المواطنين في القرى والمراكز
 لثمة لثراً لثمة. والواقعة على خط الرحلة باستضافة البعثة. وقد نفذ

(١)
 (٢)
 (٣)
 (٤)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 297

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, 310

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, 416.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, 436.

(١) فار

(٢)

(٣) أور

المواطنون تلك الأوامر، فكانوا يدسحون شاة كل مساء، لإستضافة البعثة، إلا أن
 سيور كان يستنسل يهدوء في كل مرة، ويدفع ثمن الشاة لأصحابها. ويعتق
 هانزن على تصرف سيور هذا بقوله: «لقد رحل سيور بعيداً في هذا العالم،
 ولكن ليس بعيداً إلى الحد الذي يسي عنه ما تعيه شاة، فالسبية لأسرة فلاحية
 في ريف شمال ألمانيا»^(١). ولم أجد في كتابات نيبور ما يؤكد رواية هانزن
 هذه. ولعل هانزن قد اساق إليها تحت تأثير أسلوبه الأدبي القائم على تزيين
 العبارات وتوظيف الخيال، وقد قاده توظيف الخيال مراراً كثيرة إلى تجاوز رواية
 نيبور نفسه. أما رواية سيبور في هذا الصدد فتتلخص بالآتي:

اقتضت أوامر عامل اللحية أن يقدم المواطنون شاة، لاستضافة البعثة،
 على امتداد الطريق، من اللحية إلى بيت الفقيه. وفي اليوم الأول وصلوا إلى
 إحدى المدن^(٢)، في وقت متأخر من الليل، ولذا لم يطلبوا من المواطنين تقديم
 شاة لهم ولكنهم في اليوم التالي عرفوا أن أحد مرافقيهم، من خدم عامل
 اللحية، قد استغل الموقف، واستخلص من المواطنين ثمن الشاة، وتقاسمه مع
 حامية المدينة. لذا كما يقول نيبور: «لما رأينا أن الفلاحين لا بد أن يدفعوا في
 جميع الأحوال فقد قبلنا بعد ذلك في مدينة الضحي، كل ما كان على الفلاحين
 أن يقدموه لنا، بموجب أوامر عاملهم في اللحية»^(٣).

وتكتمل الصورة لدينا عن شخصية نيبور إذا وضعنا في اعتابنا طريقة
 حياته أثناء الرحلة، وتفانيه في عمله، وحرصه على إنجاز مهمته، حتى
 وهو يصارع المرض. ولا يوازي هذا الحرص، إلا توخي الدقة، عند تسجيل
 ملاحظاته، وعدم أخذ المعلومات، من الأفراد، وتدوينها، إلا بعد أن يبذل
 جهداً، في التأكد من صحتها، وذلك بعرضها على أكثر من فرد. وعندما كان

Nienhuhr, C. RB Bd 1, S. 315 وكذا Hansen, Reise, S. 250

(١) فارن

Nienhuhr C. RB Bd 1 S. 315

(٢)

Dsajalia

(٣) أورد نيبور اسم المدينة هكذا:

لا يستطيع أن يصل في شتته، من صحة معلومة ما، إلى درجة الاطمئنان، ويجد مع ذلك ضرورة وفائدة في تسجيلها، فإنه كان يقوم بتسجيلها مع إشارات واضحة، إلى أنه لم يتمكن من التأكد من صحتها، وأنه لا يطمئن إليها كثيراً. وسنرى في الفقرة التالية طريقة عمله، ومدى الجهد الذي بذله، في توثيق الدقة.

ب. حياة نيبور اليومية وطريقة عمله:

لكي نعرف على جزء من حياة نيبور اليومية في اليمن، ليس أفضل من أن ننقل إلى العربية، فقرات من مذكراته اليومية، التي حرص على تسجيلها، يوماً يوماً، خلال رحلته. وهو هنا يتحدث عن استعداداته للسفر في رحلة قصيرة، من بيت الغفيه، إلى غليفة والحديدة: «لم أقم بتحضيرات كبيرة لهذه الرحلة. استأجرت حملاً يحملني ويحمل معي كيساً، فيه بعض الملابس والكتب، وكانت ملابس الرحلة تتكون من عمامة ومعطف دون أكمام وقميص عربي فضفاض ومقرب عريض وزوج من الثعال. ورغم أنه لا يخشى في تهامة من النصوص، إلا أن المرء يسافر عادة مسلحاً. كنت أحمل سيفاً وأضع مسدساً في حزامي. وكان صاحب الحمارة، الذي عمل خادماً ودليلاً لي في هذه الرحلة، يسير خلفي، مسلحاً بسيف ودرع، إضافة إلى الجنيبة. ويتسلح الآخرون من الفقراء العرب برمح وفأس، بدلاً عن السيف. وقد اصطحبت معي مفرشة رديئة، تخدم عدة أغراض: كغطاء للسرج عند الركوب وكمقعد وطاولة عند الجلوس، وكفراش عند النوم. اصطحبت معي مخدة، أضعها في النهار على السرج، وفي الليل تحت رأسي. وأما قطعة القماش الكبيرة، التي يضعها الهيون خلال النهار على اكتافهم، ويستخدمونها لحمايتهم من الشمس وتركها معلقة إلى السرج. ويصطحب المسافر اليمني معه عادة غليوناً، وسط كيس من المجلد. ولم أكن محتاجاً إلى هذا العيب الإضافي، لأن عادة التدخين لم تكن مسيطرة علي إلى درجة عدم القدرة على الاستغناء عن الغليون

أثناء الرحلة. لقد وطلت نفسي منذ بعض الوقت على أن أعيش الحياة البسيطة بصورة مرضية. ولذا لم أعد بحاجة إلى الملقة والشوكة والسكين إن مر بجذ نفسه قادراً على السفر بهذه الصورة، وهو مرتاح، ولا يفارقه الإحساس بالرضى. حينما لا يجد في أحد التزل شيئاً غير خبز ردي، سوف يشعر بمتعة السفر في اليمن كما شعرت بها تماماً. إن وجهاء اليمنيين يسافرون على نحو مختلف يتسم بالفخفة، إلا أن مثل هذه الطريقة، لا تتطلب فقط إنفاقاً كبيراً، ولكن أيضاً يكون السفر بها غير مريح، عندما يصطحب المسافر معه عدداً كبيراً من الخدم، وأكثر من ذلك لا يستطيع الإنسان الثري أن يسافر في جميع الأوقات، على هذا النحو، وهو ممتع بالدرجة الكبيرة من الأمان نفسها التي يتمتع بها شخص يسافر دون أن يوحى مظهره بأن لديه الكثير^(١).

وإذا كان نيبور قد وطن نفسه على أن يعيش، ويلبس ويأكل وينم، ويتنقل، كاليمنيين العاديين، لاعتقاده أن هذه هي الطريقة المثلى للسفر دون مضايقات، من ناحية، وللتعرف على الحياة بشكلها البسيط والحقيقي، وهذه هي مهمته، من ناحية أخرى، فما هي الطريقة التي عمل بها؟

كان على نيبور أولاً أن يحسب سرعة الحمار. إذ أن الحمار في اليمن - كما يقول - سيكون هو وسيلة التنقل وليس لأن الركوب على الخيل بالسهلة للمسيحيين ممنوع، كما هو الحال في القاهرة، بل لأن المرء في هذه البلاد لا يستطيع أن يجد بسهولة خيولاً للاستئجار^(٢). وقد اكتشف نيبور ميراث في الحمار، تناسب طريقته في العمل تماماً. فهو مريح في سيره، ومنظم في خطواته؛ إذ يخطو ١٧٥٠ خطوة مزدوجة في كل نصف ساعة. وقام أيضاً بحساب سرعة الجمل - رغم أن استخدامه للجمل كان نادراً - فوجد أن هناك نوعان من الجمال: صغير وكبير، فأما الصغير، فإنه يخطو ١٠٥٠ خطوة مزدوجة

في كل نصف ساعة، وإنما الكبير فيحضر في الزمن نفسه ٩٧٥ خطوة مزدوجة. أما الإنسان، فيحضر ١٥٠٠ خطوة مزدوجة. في الزمن نفسه. فإذا أصبحت السرعة معروفة، سهل بعد ذلك حساب المسافات، إديكتي، كما يقول نيبور: وأن لاحظ فقط الزمن، الذي قضاه في المسافة، من منطقة إلى منطقة أخرى، ثم أقوم بتحويل الزمن إلى خطوات مزدوجة، وهذه إلى أميال^(١). وكان الحساب يتم وفقاً للسرعة القصوى، فإذا سار حمار ورجلته إنسان، تحسب سرعة الحمار، لأن الإنسان، في هذه الحالة، سيضطر لكي يواصل السير مع الحمار، أن يزيد من عدد خطواته. وقد استخدم نيبور بوصلة جيب صغيرة، وبعض الأدوات الفلكية، لتحديد الاتجاهات، ولحساب ارتفاع الشمس والنجوم، حتى يستطيع أن يحدد موقع كل منطقة، أو مدينة أو قرية، بدقة، قبل تحميلها على الخارطة. وعادة ما كان يجري حساباته، وتحميلاته، في مساء كل يوم. وكان يدخل التصحيحات على ضوء المعطيات الجديدة، عند الانتهاء من كل رحلة^(٢). وحرص نيبور أن يحمل على خارطته أسماء القرى والمدن، التي مر بها، كما حرص أن يحمل أيضاً قرى ومدن لم يرها بل استقى معلوماتها عنها من الأهالي العارفين. وقد حمل على خارطته حتى ما نسميها بالمقاهي (نُزل المسافرين) المفردة المتناثرة على امتداد الطرق الرئيسية، ورأى ذلك ضرورياً، ليسطيع الإنسان وهو يذلل الخارطة، أن يأخذ فكرة على درجة من الصحة، عن اتساع السكاني في اليمن، وهو أمر لم يهتم به الرحالة الآخرون الذين يكتفون بملاحظة المناطق التي يمرون بها فقط^(٣).

وفي سياق عرض نيبور لطريقة عمله، ويتواضع، العالم، وبإحساسه بانقص الشئ، يعتقد عما يمكن أن يوجد في خارطته من نقص، بالعبارات التالية: «لا يستطيع المرء أن يتوقع أن تكون خارطتي، التي وضعتها لليمن،

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 311-312

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 312, U.BVA, S. XXIII-XXIV

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 313.

على المدرجة نفسها من الدقة، التي يستطيع إحرازها أولئك، الذين يقومون بين
الحين والآخر، بوصف خرائط لمناطق أوروبية، مستخدمين في قياساتهم أدق
الأجهزة^(*)، ويضيف في مكان آخر: «إن أولئك الذين يدركون كم هو صعب
وخطير، بالنسبة لرجل غريب، أن يقوم بأعمال مسح، ويجمع معلومات
جغرافية، في بلد غريب سيكونون - كما أعتقد - راضين بما عمته»^(*) وقد
حرص نيبور على وصف المدن التي مر بها، وصفاً دقيقاً. ولذا تجول فيها،
وطاف حول أسوارها، وقاس مساحاتها، وسجل أبرز معالمها، ووضع
تقديرات، لعدد سكانها استناداً إلى عدد منازلها.

وتحدث عن طريقته في وصف الأرض، وتحديد الأسماء، فأشار إلى أنه
لم يكن قد أطلع على مراجع عربية تعينه على تحديد أسماء المواقع المختلفة.
لأن لغته العربية لم تكن بالمستوى الذي يمكنه من أن يقرأ كتباً عربية^(*)، ولذا
لم يصطحب معه في رحلته سوى الكتاب الجغرافي، المعروف في أوروبا منذ
وقت طويل، لأبي الفداء^(**). وأما الكتب الجغرافية اليونانية، فإن الأسماء فيها
غير سليمة، إلى درجة أنه يصعب التعرف عليها. لهذا فقد اعتمد على مشاهداته
الشخصية، وعلى ما سمعه من الأهالي. ومن الطبيعي أن ما توصل إليه لا يمثل
معلومات جغرافية كاملة، فهناك أسماء قرى ومدن أوردها أبو الفداء والشريف
الإدريسي^(***) لم يعثر عليها، مع أنه لم يشك في وجودها. وقد تمكن من

Neubahr, C. RB, Bd. 1, S. 312

(١)

Neubahr, C. RB, Bd. 1, BVA, S. XXIV-XXV

(٢)

(*) بدأ نيبور دراسة اللغة العربية في جامعة جونز هوبكنز لكنه انصرف عنها لصعوبتها وعكس على مود
تخصصه ثم عاود دراستها أثناء إقامته بالقاهرة.

(**) الكتاب المشار إليه هنا هو تفويم البلدان الذي ترجم إلى الفرنسية على يد المستشرق روبر
انظر: الأعلام ١/ ٣١٩.

(***) استشهد نيبور مراراً بالإدريسي وهذا قد يبدو متعارضاً مع قوله إنه لم يقرأه قد ضاع عنه
زيارته وليس إلا على كتاب أبي الفداء إلا أن أبا الفداء نفسه قد أورد مشاهدات ومعارف
استند فيها إلى كتاب الإدريسي كما يمكن أن يكون نيبور قد صبح على كتاب الإدريسي بعد رجوعه
إلى أوروبا وقبل نشر كتابه.

نحصر على معيومت عن مس قديمه، وإشارات صغيرة في نيسور - لم نكر
معروفة لأوربيين حتى عصره^(١) ولم يستحسن - كما أشر - الرجوع إلى
كتب جغرافية معروفة. واستكمل المعلومات عن المصالح التي لم يرها
أنه يمكن من جمع معيومت عنها نفسه^(٢).

وقد من نيسور جهده لتحقيق من المعلومات الجغرافية المتعلقة
بمنه من أني به يشهد بذلك يستمر عنها ويعد الاستفسار لدى أكثر من
شخص ولم يكن الأمر سهلاً لأهالي ويسوا على درجة واحدة من المعرفة
سلاسل. وقد لا توفر لديهم النوع، في أن يقدموا معلومات عن بلادهم
بلاحد^(٣)، ثم كذا اسمه أحمد ونقري والجيال والوديان... إلخ. فقد
واحد صعوبة فيها. سب اختلاف نطق لأهالي لها، وهذا أمر طبيعي - كما
يقول - حتى في بلد - لأوربية. وقد كتبها بحسب السمع - وحاول قدر
الإمكان أن يكتبها من قبل أحد الأهالي - باللغة العربية^(٤).

وقد حاول نيسور أن يحجب على الأسئلة التي كان يفترض أن يجب
عليه سلا نمونين، فون هان وفورسكال. ولأن هذه الأسئلة بعيدة عن
محد حصصه. فقد حاول جهده أن يحجب عليها، مستخدماً ما توفر له من
معلومات. سدد من لأهالي. وأنتسها من ملاحظات وإجابات متناثرة، في
يوبن وفور في فورسكال^(٥) وقد اعتذر عن التفصيل بقوله: ولا يستطيع المرء

Niebuhr, C. RB, Bd. 1, S. XX

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. XXI

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. XXI

Niebuhr, C., BVA, S. XXI-XXII

(١) في حقه الأصغر من فورسكال. فون هان ما كنه حوالاً على أحد الأسئلة كان نيسور يضع في
نيسور من فورسكال حتى خلاف ما يحسم اليوم بعض الباحثين، الذين يتجاهلون قواعد
الأسئلة

أن يطلب من إجابات كاملة على هذه الأسئلة بالصورة التي كان يمكن أن يجيب بها رفيقاً رحلتي»^(١).

ولحاً في تفسير بعض الكلمات العبرية إلى بعض اليهود، ولأنه لم يكن يعرف النخاطب بالعبرية فقد كان يشير بإبهامه إلى الكلمات. ولما كان اليهود لا يعرفون لغة أورورية، بل يحاولون شرح المعنى باللغة العربية، فإن نيسور لم يستطع في بعض الأحيان أن يفهم شرحهم. ويفسر عدم فهمه بأنه، وإن كان يستطيع أن يتفاهم باللغة العربية في حياته اليومية، فإنه لا يستطيع بالدرجة نفسها أن يستخدمها في حوار علمي^(٢).

ولقراءة الخط الكوفي، الذي تمكن من نقله في بعض المساجد والقبور، استعان بالمستشرق الدكتور رايسكه Reiske، من مدينة لايبزج الألمانية، باعتباره كما يقول «يعرف قراءة الخط العربي القديم أفضل مما يعرفه العلماء العرب المعاصرين»^(٣). وقد وافاه الدكتور رايسكه بتفسير لبعض الخطوط، واعتذر عن عدم تمكنه من قراءة البعض الآخر.

وللحصول على إجابات معينة، كان عليه أن يتوجه بالسؤال إلى بعض الأهالي، وقد تطلب منه ذلك جهداً كبيراً - كما يقول - وذلك لأنه يصعب على الرحالة، الذي يمكث فترة قصيرة في منطقة ما، أن يقيم علاقات بالعلماء المحليين، وإذا استطاع، فإنه غالباً لا يتمكن من الحصول على إجابات واضحة، فهناك عادة تحفظ واضح تجاه أسئلة الأجانب. ولذا يجد المرء نفسه مضطراً إلى أن يسأل بصورة غير مباشرة، وأن يطرح أسئلته في سياق الحديث وبشكل غير محسوس. وهذا يتطلب صبراً كبيراً ووقتاً طويلاً. وبعد ذلك كله، لا يستطيع الإنسان أن يثق، كل الثقة، بصحة الإجابات التي حصل عليها ولأن

Niebuhr, C., BVA, S XVII-XVIII.

(١)

Niebuhr, C., BVA, S XVIII.

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S XXV.

(٣)

المرء يصادف في بلاد الشرق أناس لا يقنون الحقيقة، إما قصداً حتى لا يطلعوا
 الغريب على كل ما يريدون معرفته، أو أنهم جاهلون، ورغم ذلك يعطون
 إجابات ليظهروا بمظهر من يعرف كل شيء^(١). ولم يتوقف نيبور عن
 استفساراته، بعد مغادرته اليمن، بل استمر يحاول استيفاء الإجابات، على
 الأسئلة التي بين يديه، أثناء تجواله في البلاد العربية، وهو في طريق عودته إلى
 أوروبا. ورغم أنه كان يفحص كل إجابة يحصل عليها، بالاستفسار لدى أناس
 آخرين، مراراً عديدة، إلا أنه مع ذلك ظل يعبر عن شكه في أن يكون قد تلقى
 إجابات صحيحة^(٢).

أما بالنسبة لجمع المعلومات المتعلقة بتاريخ اليمن، فقد اعتمد نيبور
 على ما رواه له رجل هولندي، أحب فتاة في مدينة المخا، وأراد أن يتزوجها،
 إلا أن مسيبت حالت دون ذلك. فأسلم وأشهر إسلامه، وكان والد الفتاة ينتظر
 مه أكثر من محرد إشهار إسلامه. ولما كانت حالة الهولندي المادية لا تسمح
 بإرضاء والد الفتاة. فقد امتنع الوالد عن تزويجها به، فغادر المخا. وعاش - كما
 يقول نيبور - في منطقة حاشد ويكيل^(٣)، واختلط بالعلماء، وتفقه، ودرس
 التاريخ. وقد نقل نيبور ما سمعه منه، بعد أن سعى إلى التأكد من صحته،
 عن طريق طرح أسئلة تاريخية محددة، على علماء يمينيين، صادفهم أثناء
 رحلته^(٤). ولم يتوقف عن طرح الأسئلة التاريخية، حتى بعد مغادرته اليمن،
 ففي الهند استطاع أن يحصل على معلومات عن القضاء في اليمن، من عالم
 هندي، كان قد قضى سنوات في أكاديمية زيد^(٥)، كما استطاع في مسقط أن

(١)

Niebuhr, C., BVA, S. XVIII.

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. XVIII.

(٣)

Niebuhr, C., BVA, S. 191 FF.

(٤)

Niebuhr, C., BVA, S. 205.

(٥)

قرن نيبور اسم حاشد ويكيل في جميع كتاباته وأطلق عليهما تسمية اتحاد حاشد ويكيل وقد
 قام هذا الاتحاد على نوع من التحالف العسكري الذي كان هدفه الوقوف في وجه الإمام وصعد
 أي عينين عسكرية قد يوجهها ضد القبائلتين. انظر: Niebuhr, C., BVA, S. 258 FF. هكذا يسميها نيبور في كتاباته.

Niebuhr, C., BVA, S. 258 FF.

يحصل على تفسير لمعنى أهل الكساء، من عالم هندي، قضى كذلك سنوات في زيبدا^(١)، وقد دون روايات عن أحداث تاريخية معاصرة، حصل عليها من شهود عيان، بعد أن تأكد من صحتها بطريقته اللفظية الذكر.

والى جانب ذلك كله أخذ نيبور يرصد عادات وتقاليد وملابس ومعاملات وطبائع السكان، ويدون يومياً وصفه لها، وملاحظاته عنها.

جاء إنجازات نيبور وقيمتها العلمية:

سجل نيبور نتائج رحلته في عملين كبيرين:

أولهما:

كتاب بعنوان (Beschreibung von Arabien) وترجمته الحرفية (وصف العربية) وقد فضلنا أن نسميه (وصف بلاد العرب) والمقصود بالعربية أو بلاد العرب الجزيرة العربية.

صدر هذا الكتاب في مدينة كوبنهاجن عام ١٧٧٢ م، أي بعد عودة نيبور من رحلته بحوالي خمس سنوات، ويتكون من ٤٩٠ صفحة. ويتضمن إضافة إلى المقدمات والرسوم والخرائط والجداول، موضوعات محددة، كتبها نيبور بصورة منهجية مرتبة، في محاولة منه للإجابة على الأسئلة، التي وجهها ميشائيلس والعلماء الآخرون إلى البعثة، ومنها أسئلة كثيرة، لا تدخل لإحاطة عليها ضمن تخصصه، كما سبقت الإشارة. وقد قسم نيبور كتابه هــ إلى الأقسام الرئيسية التالية:

١ - قسم عام: أورد فيه معلومات عامة عن العرب، تناولت جوانب كثيرة من حياتهم، كالدين، بمذاهبه المختلفة، والعادات الاجتماعية والنظافة والطبائع الخلقية والطعام والشراب والمساكن والملابس واللغة وتعدد الزوجات والعلم والزراعة والحيوانات... إلخ.

٢ - قسم خاص باليمن: تحدث فيه عن جوانب من تاريخ اليمن وجغرافيته وحياته السياسية والاجتماعية. إلخ.

٣ - أقسام أخرى: حصص كل قسم منها لبلد من البلدان المحيطة باليمن: الحجاز والإحساء ونجد وعمان والإمارات المستقلة في الخليج وسيناء والإمارات اليمنية المستقلة وبعض القبائل البدوية المستقلة. وقد أفرد قسماً خاصاً بحضرموت. ولكنه أثناء حديثه عنها لم يميز بينها وبين مناطق اليمن الأخرى، فجاء حديثه، عن مملكة الإمام والإمارات اليمنية المستقلة وحضرموت، متداخلاً، كما لو أنه لم يفصلها تحت ثلاثة عناوين مختلفة. ولقد كان في حديثه المتداخل غير مختار فقد فرضت وحدة اليمن التاريخية والجغرافية عليه أن يتناولها ككيان تاريخي وجغرافي وبشري واحد، رغم وجود أكثر من كيان سياسي^(١).

وقد اختتم نيسور كتابه بالحديث عن حركة المد والجزر في السواحل العربية على البحر الأحمر وبملاحظات عن انحراف الإبرة المغناطيسية. كما ضمن كتابه هذا رسوماً لعملات وأدوات ونقوش... إلخ^(٢). وثانيهما:

كتاب نمون (وصف رحلة إلى بلاد العرب والبلدان المجاورة عن يومياته التي سجنها خلال رحلته، منذ إقلاعه من ميناء كوينهاجن وحتى عودته. يقع في ثلاثة مجلدات:

المجلد الأول: صدر في كوينهاجن عام ١٧٧٤ م، ويتكون من ٥٤٤ صفحة. ويتضمن، إضافة إلى المقدمات، وصفاً للرحلة من كوينهاجن إلى

(١) انظر

(٢) انظر الملحق.

Niebuhr, C., BVA, S. 181 FF S 283 FF.

القسطنطينية، إلى الإسكندرية والقاهرة ودمياط ورشيد، فالقاهرة مرة أخرى والسويس وسياء، ثم إلى جدة ومنها إلى اللحية. وبوصول نيسور ورفاقه إلى اللحية يبدأ الجزء الخاص باليمن فيصنف فيه إقامته وتجوّاله في اللحية، ثم رحلته إلى بيت الفقيه، وقيامه من بيت الفقيه برحلات فرعية إلى غلبقة والحديدة وزبيد ومناطق الجبال (العدين وجبله وتعز والعودة عن طريق حبس إلى بيت الفقيه). ثم رحلته من بيت الفقيه إلى المخا، ومنها إلى تعز وأب ويريم وذمار وصنعاء، ثم عودته من صنعاء إلى المخا، عن طريق مفتح وبيت الفقيه. وقد تناول بالوصف كل ما صادفه في طريقه، فقدم وصفاً للمدن والقرى والعادات والتقاليد والملابس والحقول والأسواق والسفر والبشر والطعام والشراب. إلخ... وأورد نيسور في نهاية هذا المجلد وصفاً للطرق التي تربط المناطق المختلفة في اليمن، نقلاً عن أحد الرحالة الهولنديين، ثم ملاحظات وجداول عن الطقس، في كل من القسطنطينية والقاهرة واليمن ويومي في الهند.

وقد ضمن مجلده هذا مجموعة من الرسوم التوضيحية لمدن وموانئ ومزارع وأدوات وكتابات عربية قديمة، بعضها رسمها بيده وبعضها رسمها رفيق رحلته الرسام بورنفايند، وكلها تغطي رحلته من كونهاجن وحتى مغادرته اليمن^(*). كما ضم نيسور إلى هذا المجلد الخارطة التي وضعها لليمن، والتي كانت تمثل مهمته الأولى في هذه الرحلة.

المجلد الثاني: صدر في كونهاجن عام ١٧٧٨ م، ويتكون من ٤٩٥ صفحة. وقد تضمن وصفاً للرحلة في الهند وعمان وإيران والعراق وبلاد الشام. ولا يختلف في طريقته وترتيبه عن المجلد الأول، فقد احتوى على وصف للأرض والناس، وضمت إليه خرائط ورسوم، لآثار ومعالم تاريخية ونقوش... إلخ.

(*) انظر الملحق.

المجلد الثالث: أصدره في كوبنهاجن عام ١٨٣٧ كل من جلوير Gkryer و أولدس هاوزن Oldshauren ، ويتكون من ٤٣٠ صفحة، ولا يختلف في ترتيبه عن المجلدين الأول والثاني، إذ يواصل فيه نيبور وصف رحلته، من سورية إلى قبرص، ومنها إلى فلسطين وتركيا وبلغاريا وبولونيا وألمانيا، حتى وصوله الدينمارك. وشأنه شأن المجلدين السابقين إذ يتضمن خرائط جزئية، ورسوماً للمدن، ولبعض المعالم التاريخية. ورغم أن نيبور كان قد جهز هذا المجلد للنشر، إلا أن صعوبات قد اعترضت طباعته، ولم يتم طبعه إلا بعد وفاته^(١). وقد أضيفت إلى هذا المجلد بعض الملاحظات التي وضعها (أولدس هاوزن)، كما أضيفت إليه ستة ملاحق، وهي عبارة عن موضوعات متفرقة، كان قد كتبها نيبور، ورأى الناشر فائدة في إضافتها كملاحق لهذا المجلد. ومنها موضوع عن الحبشة يتضمن معلومات جمعها نيبور أثناء رحلته، وخاصة أثناء وجوده في اليمن. وقد تأكدت صحة معظمها وكانت ملاحظاته وأحكامه حول ذلك البلد صحيحة بصورة ملفتة للنظر^(٢).

وإضافة إلى كتابيه الكبيرين، وضع نيبور خارطة لليمن، اعتبرت في حينها، أول خارطة لليمن، يتوفر فيها قدر كبير من الدقة. وقد أرقق بكتابه (وصف رحلة إلى بلاد العرب)، المجلد الأول، خارطة جزئية لليمن تمثل المنطقة التي كان يحكمها الإمام المهدي عباس، وتمتد من المخا والحجرية جنوباً، إلى شمال النخبة وعقار وبيت أدهم شمالاً، ومن البحر الأحمر غرباً، إلى شرق ذبيان وبنار ويريم وباب شرقاً، وهي المنطقة التي أطلق عليها في كتاباته اسم ممكة الإمام. وهناك مناطق ضمتها هذه الخارطة، مثل كوكبان، لم تكن تحت سيطرة الإمام. وهناك خارطة أخرى، أكبر مساحة وأقل تفصيلاً، أرفقها بكتابه (وصف بلاد العرب) بين فيها امتداد اليمن على النحو التالي: في

(١)

(٢)

Niebuhr, C., RB, BD. 3, S. XI.

Niebuhr, C., RB, Bd. 3, S. XVIII.

الجنوب تمتد إلى بريم وعدن والسواحل المطلة على المحيط الهندي، وفي الشمال تمتد إلى شمال أبو عريش^(٥)، في خط أفقي إلى الربع الخالي، وفي الغرب إلى البحر الأحمر، وفي الشرق إلى نهاية بلاد الجوف وحضرموت. وعدا عن ذلك وضع نيبور خارطة للبحر الأحمر كان لها دور كبير في تنشيط الملاحة، فيه كما سرى.

فإذا كانت إنجازات نيبور قد تمثلت بما تضمنته كتاباته الأنفة الذكر وخارطته، فما هي القيمة العلمية لهذه الإنجازات؟

إنه ليصعب الفصل بين الإنجازات العلمية للبعثة الملكية الدينماركية بإجمالها، وبين الإنجازات العلمية لنيبور نفسه. إذ أن الفضل يرجع إلى نيبور في معظم ما عرف من إنجازات البعثة، إلى درجة أنه قد غلب اسم نيبور على اسم البعثة الملكية الدينماركية وأصبحت تسمى بعثة نيبور. لذا فإن حديثنا عن القيمة العلمية لإنجازات نيبور قد تحمل نوعاً من التكرار لما سبق من حديث عن القيمة العلمية لإنجازات البعثة بكاملها. وحتى نتجنب التكرار، قدر إمكاننا، سنقتصر هنا على إيراد بعض آراء العلماء، من المهتمين بالدراسات اليمنية، التي تناولت الأعمال العلمية لنيبور بالتحديد.

كان نيبور - كما مر معنا - وهو يتحدث عن خارطته، قد أعطى تقييماً متواضعاً لعمله، وأشار إلى أن أحداً لا يجب أن ينتظر منه وضع خارطة تصف بالدرجة نفسها من الدقة، التي يستطيع بها وضع الخرائط في أوروبا وضع خرائطهم، مستخدمين في قياساتهم أدق الأجهزة^(٦). فإذا كنا سنأخذ من رأيه الأولي هذا مؤشراً لتقييمه العام لعمله، وخاصة أن مثل هذا الرأي الدال على التواضع والحصافة في آن معاً، قد تكرر في كتاباته في أكثر من موضع: وهو

(١) انظر ص ٥٧ - ٦٠ من هذا البحث.

(٢) فضلاً عن أسماء الأماكن على صورتها المتداولة بين الناس، دون مراعاة لما تقتضيه قواعد اللغة من تغيير.

يتحدث مثلاً عن محاولاته شرح بعض الكلمات العبرية، أو وهو يتطرق إلى الحديث عن تاريخ نينوى والمذاهب الإسلامية، أو وهو يعرض طريقته في جمع المعلومات من الأهالي عن موضوعات لم يشاهدها، فما هو رأي العلماء الذين درسوا أعماله فيما بعد، وعلى امتداد القرنين الماضيين وحتى اليوم.

يرى بعض الباحثين أن الإعداد الطويل للبعثة الملكية الدينماركية، والإنفاق السخي عليها، كان شرطاً أساسياً لنجاحها، إلا أن ما تحقق من إنجاز علمي للبعثة، ما كان يمكن أن يتحقق، بعد أن مات أعضاؤها جميعاً، ما عدا نيبور، لولا جهد نيبور وثقافته ودقته في عمله^(١). ومع أن نتائج رحلة نيبور قد صحت مراراً، وزادت معارف الأوروبيين عن البلاد العربية، خلال القرنين الماضيين، إلا أن أعمال نيبور لا زالت حتى اليوم، تمثل أكبر وأهم الأعمال التي أجريت لوصف البلاد العربية. وإلى جانب ذلك فإن نيبور يعتبر رائداً لسلسلة من الرحالة الذين قدموا إلى البلاد العربية والشرق، ومنهم (سيتزن Seetzen) على سبيل المثال. وهكذا فإن قصة الرحلات الاستكشافية في البلاد العربية مرتبطة ارتباطاً قوياً باسم نيبور، أعظم الرحالة إلى البلاد العربية في العصر الحديث^(٢).

ويرى البعض أن المعرفة العلمية في أوروبا، بالبلاد العربية، قد بدأت مع نيبور^(٣). فقد شملت أعماله حقولاً معرفية شتى، كالآثار والتاريخ والجغرافيا والاجتماع... إلخ مما جعل نيبور يحتل مكانة بارزة في إطار الدراسات العربية الحديثة^(٤).

ويعتبر الكثيرون أن أهم إنجازات نيبور هي خارطته، التي وضعها

(١)

(٢)

وقفر أيضاً:

(٣)

(٤)

Weber, Geographie, S. 46..

Baumhauer, Arabien, S. 73.

Weber, Forschungsreisen, S. 4 - 5.

Henze, in BVA, S. III.

Schlobies, Die Wissensch., S. 240.

للبحر الأحمر. فقد كانت القياسات، التي أخذها للسواحل الغربية للجزيرة العربية، الأولى من نوعها في الدقة. ولذا فقد فتحت خارطته البحر الأحمر أمام الملاحة الأوروبية، واستطاع الإنجليز، بالاعتماد عليها، أن يبحروا عام ١٧٧٢ م من جدة إلى السويس^(١). وقد استفادت القوى الاستعمارية المتنافسة من خارطة نيبور وهي تسعى إلى السيطرة على منطقة المحيط الهندي والسواحل العربية^(٢). وظلت هذه الخارطة ولأكثر من مئة عام بعد وضعها الأساس لكل الأبحاث الجغرافية التي تمت عن اليمن^(٣).

إن العمل العلمي لنيبور يتسم بالموقف النقدي الحصيف تجاه المعلومات التي أعطيت له، كما يتسم بالدقة والعناية بالتفاصيل، تجاه الموضوعات التي شاهدها مباشرة^(٤).

هكذا يقيم العلماء والباحثون أعمال نيبور، ويضعونها في المكان الريادي الذي تستحقه، وهو مكان لعل نيبور - بتواضعه - لم يكن يطمح إليه.

د. بعض انطباعات نيبور عن اليمن:

تقدم لنا انطباعات نيبور عن اليمن مادة تاريخية ذات وجهين:

فهي من ناحية، تبرز التباين بين أوروبا واليمن، في أساليب الحياة، وفي العلاقات الاجتماعية، وفي أنظمة القيم، وفي المستوى الحضاري، شكل عام، وهو تباين، لا يمكن أن يفهم إلا من خلال التسليم بوجود إطارين تفسيران متباينين، ومستويين حضاريين مختلفين، ولكن هذا التباين أو الاختلاف ليس قضية مطلقة، بل ظاهرة تاريخية، مرتبطة بالتطور التاريخي المتباين، لمجتمعين

Henze, in BVA, S. VI.

(١)

Wester, Geographie, S. 56

(٢)

Lohmeier, Nibuh, S. 29

(٣)

Lohmeier, Nibuh, S. 50

(٤)

شريش مختلفين. ويجب أن نعلم هذه الظاهرة ضمن إطارها التاريخي، وضمن حدود العصر الذي سجلت فيه.

وأم من الناحية الأخرى، فإن انطباعات نيبور هذه تعكس تأثير الإطار الثقافي والمستوى الحضاري، الذي ينتمي إليه نيبور، في ملاحظاته وتقييماته وفي نظره إلى الناس والأشياء، بل إنها تعكس حتى نوعية الاختيار، أي اختيار نيبور لموضوعاته.

وكلا الوجهين يقدمان في النهاية، نظرة باحث أوروبي، ينتمي إلى ألمانيا في القرن الثامن عشر، إلى اليمن في الفترة الزمنية نفسها.

وبعد أننا سطرنا بالتفصيل، في الفصول التالية، إلى الموضوعات التي تمثل بالنسبة لنا مادة تاريخية، والتي تناولها نيبور في كتاباته، فإننا سنكتفي هنا بالحديث عن بعض الانطباعات العامة لنيبور عن اليمن:

- الكرم:

كانت وجهة الرحلة ميناء المخا، إذ أن اللحية والحديدة كمينائين آخرين في مظنة الإمام. لم تكونا - كما يذكر نيبور - اسمين معروفين للبعثة. وقد كانت البعثة على علم بأن الإنجليز يأتون إلى المخا من شرق الهند، وكانت تأمل أن تجد لديهم المساعدة من أجل أن تتمكن من التوغل داخل اليمن. ولكن البعثة فصحت، وهي في جنة، أن تنزل في اللحية، أو في الحديدة، وتتابع السفر براً إلى المخا. وذلك لأن السفر في البحر يكون بطيئاً في ذلك الوقت من السنة، بسبب الرياح المعاكسة^(١).

ورغم أن البعض قد أكد لها، أنها تستطيع أن تسافر براً، بكل اطمئنان في مملكة الإمام، إلا أنه كان يساور أعضائها الخوف؛ فالفكرة التي كانت لديهم

(١)

عن اليمس، لم تكن تختلف عن فكرتهم عن العرب المتفليس في مصر والحجاز^(١).

ولكن هذه الفكرة ما لبثت أن تغيرت، بمجرد وصول البعثة إلى المحبة. وبدأت تتكون لدى نيور جملة من الانطباعات، التي وردت في كتاباته بصورة متناثرة، متضمنة الكثير من المقارنات، بين سلوك اليمنيين من ناحية، وبين سلوك الأتراك والمصريين والأوروبيين من ناحية أخرى.

وأول ما لفت انتباه نيور، عند نزول البعثة إلى البر اليميني، هو ظاهرة الكرم. فقد استقبلت البعثة بحفاوة بالغة، لم تكن تتوقعها^(٢). وعرض كل من عامل المحبة وأحد التجار أن يدفع أجرة السفينة التي أفلتها من جدة. وتم تحضير عشاء فاخر لها، وقدم لها العامل بعض الهدايا. وعند مغادرة البعثة النحبة متوجهة إلى بيت الفقيه، حاول العامل أن يدفع أجرة الحمير والجمال التي أفلتها، وكلف بعض خدمه بمرافقتها، وحملهم رسائل إلى المسؤولين على امتداد طريق السفر، يطلب منهم استضافتها مجاناً^(٣).

وتحدث نيور بارتياح، عن الاستقبال الذي حظيت به البعثة في صنعاء، وكيف استضيفت، وأطعمت، وقدمت لها الهدايا من قبل الإمام. مع مبلغ من المال (٢٠٠ ريال) ووجهت الأوامر لاستضافتها طوال طريق عودتها إلى المخا، وكيف حاول أعيان صنعاء إقناع البعثة أن تقيم عندهم مدة عدة، إلى أن تعود السفن، التي كانت لا تزال راسية في المخا، مرة أخرى في العام التالي^(٤).

Nachtr. C. RB Bd 1 S. 286.

(١)

Nachtr. C. RB Bd 1 S. 298 FF.

(٢)

Nachtr. C. RB Bd 1 S. 315.

(٣)

Nachtr. C. RB. BD 1 S. 411 FF.

(٤)

(٥) كان العرب الرجل في نظر أعضاء البعثة أماس يعيشون على قطع الشرق وهم لمسهربين. وقد تأكدت هذه الفكرة لديهم من خلال تجربتهم. فقد هوجم بعض أعضاء البعثة في سبأ وسلت بعض أمتعتهم.

وأكثر ما لفت نظر نيبور هو تلك المضافات المنتشرة على طول الطريق في نهامة، حيث كان المسافرون ينزلون فيها عدة أيام، يأكلون ويشربون وينامون مجاًداً، وقد نزل نيبور نفسه في تلك المضافات أثناء تنقله في نهامة^(١)، ولقي فيها من كرم الضيافة، ما جعله يؤكد وأن المرء يستطيع، من خلال الطريقة التي استقبلت بها في تلك المضافات، أن يجزم أن العرب لا يزالون كرماء، وأن كرمهم نجله المسيحيين، لا يقل عن كرمهم تجاه أبناء دينهم^(٢).

ويلاحظ في كتابات نيبور أنه كثيراً ما استخدم اسم العرب كمرادف لاسم اليمنيين، وهذا أمر مفهوم، إذا وضعنا في اعتبارنا، أن اسم اليمن مرادف لاسم (العربية السعيدة). ولذا فإننا عند الاقتباس النصي سنبقي اسم العرب، ويجب أن يفهم من ذلك أن المقصود وفقاً للسياق هم اليمنيون. فعند حديث العام عن الكرم عند العرب سلق كل أمثلته من اليمن.

لقد أخذ نيبور بما شاهده في اليمن من ممارسات يومية لفضيلة الكرم، والتي لا تقتصر ممارستها على الأفراد الميسورين، بل هي فضيلة عامة، يتمسك بها السكان جميعاً. وكان قد تعرف قبل وصوله إلى اليمن على كل من تركيا ومصر، ثم مرتكيا مرة أخرى، في طريق عودته إلى أوروبا، لذا وجد فرصاً كثيرة، لمقارنة سلوك اليمنيين وعاداتهم بسلوك الأتراك والمصريين. وتقدم لنا الفقرة التالية وصفاً حياً للكرم اليمني بتبهي بمقارنة طريقة: «يصر العرب على كل من يأتي إليهم أثناء الطعام أن يشاركهم طعامهم، وسيان أكان مسيحياً أو مسلماً، فقيراً أو غنياً. وقد أكلت معهم شخصياً وبكل ارتياح أثناء سفري. وحتى مرافقي الذي كان يعتني بالحمار كان عليه أن يأكل معهم. ورغم أن الكثير يعتقدون بلطف عن تناول الطعام، إلا أنهم في النهاية يستجيبون، ويشاركون، حتى ولو في قليل من الخبز والتمر. ولذلك فقد كان موضع

(١)

(٢)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 315.

Niebuhr, C., BVA, S. 47.

استغرابي ما شاهدته بعد ذلك في تركيا، فقد وجدت العديد من الأغنياء الأتراك عندما يتناولون طعامهم يتوارون في إحدى الزوايا، حتى لا يأتي إليهم أحد فيضطرون إلى تقديم شيء من طعامهم إليه^(١).

ـ التسامح الديني:

لاحظ نيبور أن الشعب اليمني شعب متدين، وأن اليمنيين يمارسون تدينهم بثلثائية، ودون تزمت أو تصنع، وقد أشار باستغراب إلى أن صاحبة نزل (مقهية) طلبت من أعضاء البعثة، وهي تودعهم - وكانت تظنهم مسلمين -، أن يدعو الله من أجلها^(٢). وأورد مقارنة بين تدين أهل مصر، وتدين أهل اليمن، من خلال صيام شهر رمضان فقال: «ولأن رمضان سيبدأ في ١٦ مارس^(٣)، فقد خشيت أن يكون المسلمون في تهامة متزمتين كالمصريين. فالمصريون الذين سافر معهم فورسكال في شهر رمضان^(٤)، من القاهرة إلى الإسكندرية، كانوا متشددين، يصومون طوال النهار، ويبدون انزعاجهم عندما يلاحظون أن فورسكال يتناول طعاماً أو شرباً، كما يدون ضيقهم وتبرمهم. إذ ضلت الرحلة اليومية. مثل هؤلاء الناس لا يمكن أن أرتاح للسفر معهم. أما اليمنيون فليسوا متزمتين، فهم يصومون أياماً أخرى مقابل الأيام التي أفضروا فيها أثناء سفرهم^(٥)».

وسجل نيبور انطباعاتاً عن تسامح اليمنيين، فقد عكس عنه تزمتهم نفسه على سلوكهم وقناعاتهم تجاه الفرق الدينية الإسلامية المختلفة ونحو الأديان الأخرى. وقد سجل انطباعه هذا عبر العديد من المقارنات، والشبهة والسنة، في كل من إيران وتركيا، لا يطبق بعضهم بعضاً، ولا يصلي أتباع

Nacoub. C. BVA. S. 47-48

(١)

Nacoub. C. RB Bd. 1. S. 345-345.

(٢)

Nacoub. C. BVA. S. 332

(٣)

(٤) عام ١٧٦٣م.

(٥) ١٧٦٢م.

مذهب في مساحد المذهب الآخر أما المسيون فلم يؤثر اختلاف المذاهب في
علاقته. ونسب هذا وحسب، بل إن الصين لا يكرهون أنواع الأديان
الأخرى^(١)

وقد لاحظ نيسور أن الصينيين يتقيدون بالقرآن، تقيداً كبيراً، فيوفرون
الحماية لمن ينتحز بالإسلام. ففي المعسكر كان العامل يجري لمن أسلم من
بحارة السفن، وقرر البقاء في المدينة، مبلغاً شهرياً من المال، يعينه على
الحياة. ولم يكن الصينيون يظهرون تشدداً مع من أسلم، فلم يمنعوا من أسلم
من المسيحيين مثلاً وأن يتصل بالمسيحيين أو أن يغادر البلاد إذا أراد^(٢).

- التعامل مع الأجانب:

حقاً (نيور) الصورة التي يصور بها العرب عادة، بقوله: «لا يجب أن
بدع أحد الصورة التي تعطى عادة عن العرب، على أنهم غير مهذبين ولصوص
وطماعون، نمتع من السفر إلى البلاد العربية، فقد وجدت بنفسني أن هؤلاء
القوم ليسوا سيئين كما يصورون. إننا نحن الأوروبيين نستعجل في إطلاق
الأحكام على الأمم الأخرى قبل أن نتعرف عليها بشكل صحيح^(٣). ويستطرد
في عرض اطعائه وقعاته، بالنسبة لتعامل الناس في البلاد العربية مع
الأجانب، مبرزاً الأسباب التي يعتقد أنها تكمن وراء ما يعتبره بعض الرحالة
تعاملاً سيئاً. ويرجع هذه الأسباب إلى سلوك الرحالة أنفسهم، الذين
لا يستطيعون أن يتكيفوا مع حياة الناس، ويتعاملوا معها ببساطة^(٤). وينتهي إلى
أن الرحلة الأوروبية الذي يرغب بالسفر في البلاد العربية، ويوطن نفسه على
الحياة، بحسب عادات وتقاليده العرب، يمكنه أن يتجول في كل البلاد العربية

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(*) لم يزر
انطباع

Niebuhr, C., BVA, S. 23.

Niebuhr, C., BVA, S. 24.

Niebuhr, C., BVA, S. X.

Niebuhr, C., BVA, S. IX FF.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

- باستثناء الحجاز - مارتياح . ولكن ليس هناك منطقة يمكن أن يشعر فيها الأمان والطمأنينة ، مثلما يشعر وهو في اليمن . إن سكان هذا البلد تصمون بالنطق تجاه الأجانب ، ويستطيع المرء - على الأقل في منطقة الإمام^(١) - أن يتنقل بحرية وأمان تماماً كما يتنقل في أوروبا^(٢) . إن أحدًا لا يعترض الرحالة ولا يسمعه من التجول حيث شاء ، وخاصة إذا استطاع الرحالة أن يكسب ود السكان ، عن طريق إيصال علمه ومعرفة إليهم «فهؤلاء العرب لا يخجلون - كما يحجل الأتراك - من أن يتعلموا شيئاً من الأوروبيين»^(٣) ، ولكن على الرحالة أن لا يبدي نأفقه واستهجاناً تجاه الأشياء التي لا تعجبه ، وهذا لا يعني أن يحاول كسب ود السكان عن طريق تملقهم والتزلف إليهم وإظهار ارتياحه لأشياء لا تعجبه ، فهؤلاء «يحبون الصدق ويعرفون أن لديهم أخطاء ونواقص كثيرة ، ولكنهم كغيرهم من الأمم ، لا يحبون أن يلفت أحد نظرهم إلى أخطائهم نوع من السخرية»^(٤) .

لقد أخذ نيبور ببساطة الناس وتلقائيتهم ، وشعر بالارتياح للتعامل معهم ، منذ وطئت قدمه اللحية ، حيث يقول : «لقد سعدنا بأن نجد عادات المسلمين أفضل كلما ابتعدنا عن مصر ، خاصة وأن سكان اليمن ، وهو البلد الذي تمثل الرحلة فيه أساس مهمتنا ، قد استقبلونا منذ اللحظة الأولى استقبالاً لطيفاً للغاية»^(٥) . وقد عبر عن هذا الارتياح في أكثر من مناسبة وفي أكثر من موضع في يومياته . فحول المشاعر المتبادلة مع المواطنين اليمنيين في نمجة مثلاً يقول : «لقد كان السكان يشعرون بالسعادة لوجودنا في مدينتهم ، وكنا نشعر

Niebuhr, C., BVA, S. XII.

(١)

Niebuhr, C., BVA, S. XII.

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. XII.

(٣)

Niebuhr, C., BVA, S. 297

(٤)

(٥) لم يزر نيبور غير المنطقة التي كان يحكمها الإمام ، ولذا حرص هما على أن يستدرك ويفسر انطباعه على هذه المنطقة التي زارها .

أيضاً بالسعادة توجدنا مع سكان هذا البلد طيبي القلوب»^(١).

وله يكن يسور وحده من شعر بالارتياح تجاه معاملة اليمينين ولطفهم، بل لقد كان هذا هو شعور أعضاء البعثة جميعاً، وسادت بينهم، نتيجة لذلك، روح جديدة وانسجام، لم يعرفوه منذ غادروا كوبنهاجن، فأخذوا يتسامرون، ويعزفون بالآلاتهم الموسيقية كل مساء. وقضوا أسعد وأمتع أيامهم بين سكان مدينة اللحية البسطاء. وحتى أكثر أعضاء البعثة تشاؤماً ونفوراً من الآخرين، وهو دون هافز، عبر عن ارتياحه في رسالة بعث بها إلى بيرنشتورف: «... لقد عرفنا الآن مدى اللطف والود والتعذيب الذي يستقبل به الأوروبيون في العربية السعيدة، وكذا كيف يخلق هذا الشعب البسيط حوله إحساساً بالسكينة والرضى، والبعد عن كل أنواع الهمجية»^(٢).

وخلال نقل نيبور لقت انتباهه خاصية، يتصف بها اليمينيون، وهي حب التعرف على الغرب وبلده ووجهته إلخ. . فسجل في يومياته: «إن العرب في اليمن، وخاصة في مناطق الجبال، يستوقفون المسافرين في قارة الطريق، وسألونهم عن اسم بلدهم، ومن أي قرية بدؤوا رحلتهم هذا اليوم، وأين ينوون أن يبنوا لبلنتهم. إلخ. ولا تكمن وراء هذه الأسئلة أية نوايا سيئة. إنه فقط نوع من حب الاستطلاع، ومن غير اللائق أن لا يجيب المرء على أسئلتهم»^(٣).

ويهتم اليمينيون بالغريب - كما لاحظ نيبور - اهتماماً عفوياً، خال من التكلف والمصلحة. وتبر أسئلتهم واستفساراتهم ونصائحهم وإبداء الرغبة في تقديم المساعدة، عن هذا الاهتمام. فعندما يمارس نيبور أو فورسكال، أو غيرهما من أعضاء البعثة، عمله، تنهال الأسئلة عليه، عن كيفية العمل والغرض منه وتبدد بعض المقترحات العفوية، التي ليس لها غرض سوى راحة

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C., BVA, S. 300.

Hansen, Reise, S. 247.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 345.

الغريب. ومثال على ذلك اهتمام الأهالي في بيت الفقيه بأعضاء البعثة وأسلبتهم حول عمل فورسكال وماذا يريد من جمع النباتات. ونصحهم أعضاء البعثة بعدم تعريض أنفسهم للشمس طوال النهار، وأن يحافظوا على صحتهم. خاصة وأن أمامهم رحلة طويلة، سوف يرهقون فيها، قبل أن يعودوا إلى بلادهم^(١).

ورغم أن الرحلة لم تسر بالسهولة نفسها واليسر، كما سارت في تهامة، فقد واجهتها صعوبات، وعوملت البعثة من قبل موظفي جمارك المخا، ومن قبل عمال المخا وتعز ويريم، معاملة مختلفة عن تلك التي عوملت بها في اللحية وبيت الفقيه ثم في صنعاء، وقذفت نوافذ الدار، التي استأجرتها في يريم، بالحجارة، إلا أن الانطباع العام لنيبور ظل انطباعاً طيباً، مقارنة بانطباعه عن تعامل السكان في كل من تركيا ومصر. بل لقد حاول - كما مر معنا - أن يبرر ما واجهته البعثة من صعوبات، بإرجاع سبب ذلك إلى أعضاء البعثة أنفسهم، وإلى كونهم لم يكونوا قد عرفوا أهل اليمن معرفة كافية، مما جعلهم يعتقدون «وبدون وجه حق»^(٢)، أن شكوهم لها ما يبررها. ومعنى هذا أن هناك تصرفات من قبل الأهالي، كان يفهمها أعضاء البعثة على غير حقيقتها، ويتزعجون منها، بناءً على فهم غير صحيح لها، مع أنهم - بحسب رأي نيبور - لو كانوا قد عرفوا أهل اليمن معرفة كافية، لما وجدوا في تلك التصرفات، ما يدعو إلى الشكوى والانزعاج. ومع ذلك ورغم تبرير نيبور فإن قذف نوافذ منزل البعثة في يريم بالحجارة، من قبل بعض الأهالي، لا يحتمل إلا فهماً واحداً. ولا يمكن أن يكون نيبور قد فهمه فهماً آخر. كما أنه لا يمكن أن يكون قد فهم محاولة التزاحم البعثة من قبل عامل المخا وعامل تعز ثم عامل يريم، الذي اعتبر نفسه وريثاً شرعياً لفورسكال، فهماً خاطئاً، إلا أن نيبور، كما هو واضح، قد وجد أن سلوك اليمنيين عموماً، وتعاملهم الطيب مع الأجانب، يغلب على السلوك السيء،

Niebuhr, C. RB Bd 1, S. 332

(١)

Niebuhr, C. BVA, S. IX-X

(٢)

التي قد يصدر عن بعضهم، والذي يمكن اعتباره مجرد حالات استثنائية،
يصادف الإنسان في جميع بلاد العالم، بما فيها أوروبا^(١).

- الأمن:

استطاع نيبور أن يتجول، وأعضاء البعثة، بحرية وأطمئنان في كل
المناطق التي مر بها، حتى في يريم نفسها، رغم مظاهر الاستقبال غير الودية،
التي قوبلت بها البعثة في يومها الأول. وتحوي كتاباته إشارات، تصور لنا، ليس
فقط انطباعاته عن حالة الأمن في اليمن، بل أيضاً إحساسه بالأمن، وتمتع به.
وقد أشربنا سابقاً إلى رأي نيبور في أن المرء في البلاد العربية - باستثناء
الحجاز - يستطيع أن يتقل بحرية وأمن، وتأكيد أن اليمن من هذه الناحية تفوق
كافة البلاد العربية^(٢). وقد تكرر تعبير نيبور عن هذا الانطباع في كتاباته بصورة
شتر، ومناسبات مختلفة. ففي حديثه عن النار - مثلاً - يؤكد أن هذه الظاهرة
ليست منتشرة بصورة كبيرة في تهامة، وإلا لكانت قد أثرت في الوضع الأمني،
ولما استطاع أعضاء البعثة أن يتجولوا متمتعين بمثل ذلك الأمن، الذي تمتعوا به
معتاداً^(٣). وبعد حديثه عن الحروب الداخلية أشار إلى أن الحروب إذا نشبت
لا تدمر طويلاً، إذ سرعان ما يعود الأمن إلى حالته الأولى من جديد، وإلا لما
استدعت البعثة أن تتقل في مناطق اليمن خلال فترة قصيرة^(٤).

لقد تبذرت كل معاوف البعثة، التي كانت تساورها قبل وصولها إلى
البحية، بمجرد وصولها، حيث أكد لها، أنها تستطيع أن تتجول في اليمن بكل
أمن^(٥). وسعت مثل هذا التأكيد في المناطق الأخرى، وثبت لها بالفعل أنها

(١) عرب.

Niebuhr, C., BVA, S. IX-X, 26-29.

(٢) طر ص ٧٤ من هذا المبحث.

Niebuhr, C., BVA, S. 34-35.

Niebuhr, C., BVA, S. 204.

Niebuhr, C., BVA, S. 297.

نستطيع أن نتحول تحت إحساس كامل بالأمان، وأن السكان اليمنيين على درجة من التهديد، بحيث أن البعثة قد شعرت بأنه لا ضرورة لوجود حرس مرافق^(١). لقد بلغ الإحساس بالأمن لدى نيسور حداً جعله يكرر التعبير عنه كلما سمع له السياق بذلك. فقد تأكد من استباب الأمن، وشعره، من خلال تجربته المباشرة^(٢) لقد أدركت الآن أكثر من ذي قبل، ومن خلال التجربة، أن المرء في اليمن يستطيع أن يتنقل بحرية، وبقدر كبير من الأمان، كما في أوروبا^(٣).

ويسجل نيسور بنوع من الاستغراب أن الرحالة يستطيع أن يتجول في أنحاء اليمن دون أن يعترضه أحد، وأن المسافرين الأجني لا يسأل عن جواز سفره، سواء في ميناء الوصول، أو في داخل البلاد^(٤).

ـ خصائص أخرى للإنسان اليمني:

إضافة إلى ما ورد آنفاً، عن حب الاستطلاع لدى الإنسان اليمني، واهتمامه بالغريب وكرمه... الخ، تضمنت إشارات نيسور المتفرقة، انطباعات عن بعض الخصائص الأخرى للإنسان اليمني، ومنها:

ميل الإنسان اليمني إلى الحياة الاجتماعية:

لاحظ نيسور أن العرب يميلون إلى الحياة الاجتماعية ميلاً شديداً، وخاصة سكان اليمن، الذين تشكل الأسواق، بالنسبة لهم، فرصاً لتجتمع. فقلما توجد قرية كبيرة في اليمن، إلا ويعقد فيها سوق أسبوعي، يلتقي الناس فيه، يبيعون ويشترون، ويتحدثون. كما يلتقون في المقاهي باستمرار، وفي المناسبات، كالأعياد وزيارات الأولياء. ويستمتعون بلقاءاتهم هذه كل الاستمتاع^(٥).

Niebuhr. C. RB, BD 1, S. 321.

(١)

Niebuhr. C. RB. Bd 1. S. 332 U. vgl. S. 313, 322, 326, 352.

(٢)

Niebuhr. C. RB. Bd 1. S. 359-360, 346.

(٣)

Niebuhr. C. RB. Bd 1. S. 27-28

(٤)

والعصارات
على أشجار
الضفة، و
إمام المس
هـ - عود

يست
لعرض رح
هناك، ثم
غادر

١٧٦٣م،

ان قضى
كوسهاجر
وفلسطين
والمانيا، ل
وجمع الك
وسورية و
ولم

سبع سنوا

(١)

(٢)

(٣) حول رح

وكذا:

وما بعده

(*) كان نبو

(***) تولى

حب الموسيقى
وحد نبور أن يقيم لا يضرب إلى الموسيقيين ونغنين مطرة
احترام، ومع ذلك فقد يستعملون كثيرًا بالموسيقى والنغام
وراء الحث يوردهم بروح من مذهب في المساء - في مدينة اللحية -
بالعرف على آلات بسيطة، كالأداني ينحمنون، ويستمعون ويطربون
لنغهم، رغم أن الألحان الأوروبية كانت غريبة على أسماعهم. ويبلغ حب
الموسيقى بأحد نحر السحر حدًا لا يستطيع معه الاصطبار فيطلب من غدهم
أن يركبه على حمارة وتوجهوا به إلى مقر العنة، حيث ظل فوق حمارة،
بصفت شعب، حتى انتهى لغيره. ثم حاول أن يفتح كلاً من نيبور
ويوردهم بعض الفود. لكنهما اعتدرا عن قبولها^(١).

الحياة والمرح

لاحظ نبور أن يقيم أكثر حيوية وحركة ومرحاً في لقاءاتهم
ومستهم، من الحجازيين «وأكثر بكثير من الأتراك»^(٢). وقد وصف تجمعاً
حول «فرقة الأوبه» في نهاية، حيث أخذ بعض المحتشدین يرقص ملوحاً
حب، وأحروا سيوفهم. وأحروا يتأرون بقذف عصي الجريد. إلخ...
ومر معهم جميعاً نمواً من الأساط والمرح والاستمتاع، وهذا المشهد
بحسب - كما أشر - عند زيارته في مصر. فالمصريون يتجمعون أيضاً حول
أصرة الأوبه، ولكن دون أن يرقصوا ويمرحوا كالليبيين^(٣).

قلّة استثناء عبارات التضخم والتبجيل:

لاحظ نبور أن الليبيين - والعرب عموماً - لا تنتشر بينهم أسماء
وعبرات التضخم والتبجيل، بل إن اللغة العربية نفسها فقيرة من هذه الأسماء

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 302-303

Niebuhr, C., BVA, S. 27

Niebuhr, BVA, S. 27-28

والعبارات، مقارنة بغيرها من اللغات، إلى حد أن اسماً واحداً يمكن أن يطلق على اشخاص مختلفين، ووطنان متباينين. فالشيخ مثلاً لقب يطلق على شيخ القبيلة، وعلى عاقل القرية، وعلى رجل العلم، وعلى الرجل المسن، وعلى إمام المسجد، وعلى الولي وحتى على رئيس اليهود في مدينة صماء^(١).

هـ . عودة نيبور إلى أوروبا:

يستحق نيبور منا، في نهاية هذا الفصل، أن نكرس بضع فقرات، لعرض رحلة عودته إلى الديسمارك، والمناخ السياسي والعلمي الذي وحده هناك، ثم حياته حتى مماته.

غادر نيبور المخاء، مع من بقي حياً من أعضاء البعثة، في ٢٣ أغسطس ١٧٦٣م، كما أسلفنا، ووصل بومبي في الهند في ١١ سبتمبر ١٧٦٣م^(٢) وبعد أن قضى في الهند خمسة عشر شهراً تقريباً، غادر بومبي عائداً إلى كوبنهاجن^(٣)، عن طريق مسقط وإيران والعراق وسورية والإسكندرية وقبرص وفلسطين ولبنان، ثم سورية مرة أخرى، وتركيا وبلغاريا ورومانيا وبولندا وألمانيا، ليصل إلى كوبنهاجن في ٢٠ نوفمبر ١٧٦٧م^(٤)، بعد أن قام بدراسات وجمع الكثير من المعلومات عن البلدان التي مر بها وخاصة إيران والعراق وسورية وفلسطين.

ولم تكن كوبنهاجن عند عودته هي المدينة نفسها التي تركها منذ حوالي سبع سنوات، قد تغيرت كثيراً: كان الملك فريدريك الخامس قد توفي^(٥)،

(١) Niebuhr, C', BVA, S. 14.

(٢) Hansen, Rene, S. 344.

(٣) حول رحلة العودة وحياة نيبور حتى مماته انظر: Niebuhr, B G . Niebuhr's Leben, S. 28 FF. وكذا: Hansen, Rene, S. 350 FF. وترجمته العربية: الرعدي، من كوبنهاجن، ص ٣٣١ وما بعدها.

(٤) كان نيبور عند عودته من بومبي قد فقد كل رفاق رحلته. انظر ص ٣٧ - ٤٠ من هذا البحث.

(٥) توفي الملك فريدريك الخامس في يناير ١٧٦٦ م.

أرض، أحد
مطلع شبابه
أجبره على
ويساعده في
المجلد الثامن
وقد
ليفسي ما تبين
وهو في الثامن
عن البعثة

واعتبر العرش به كرسيد Kruid وهو في السابعة عشر من العمر.
عامس في الفهر والمجون. وأحدث مكانة الوزير بيرشتورف تصصف، حتى
انتهى به الأمر بر أن يكون من معبه ويعد من الدينمارك. ولم يكثر أحد
لعمدة بيور، ولم يهتم أحد بنتائج الرحلة، وإن كان قد حصل على دعم
رسمي لشر أول أعماله، وهو كتاب (وصف بلاد العرب)، الذي نشره عام
١٧٧٢م. ولم يحد ذلك الكتب بالاهتمام الذي يستحقه، عزم نيبيور على
ترحلت إلى اللغة الفرنسية، إلا أن ترحلت كانت وديثة، مما حدا بنيبيور إلى
التخلص من سحبه إثر ضعتها.

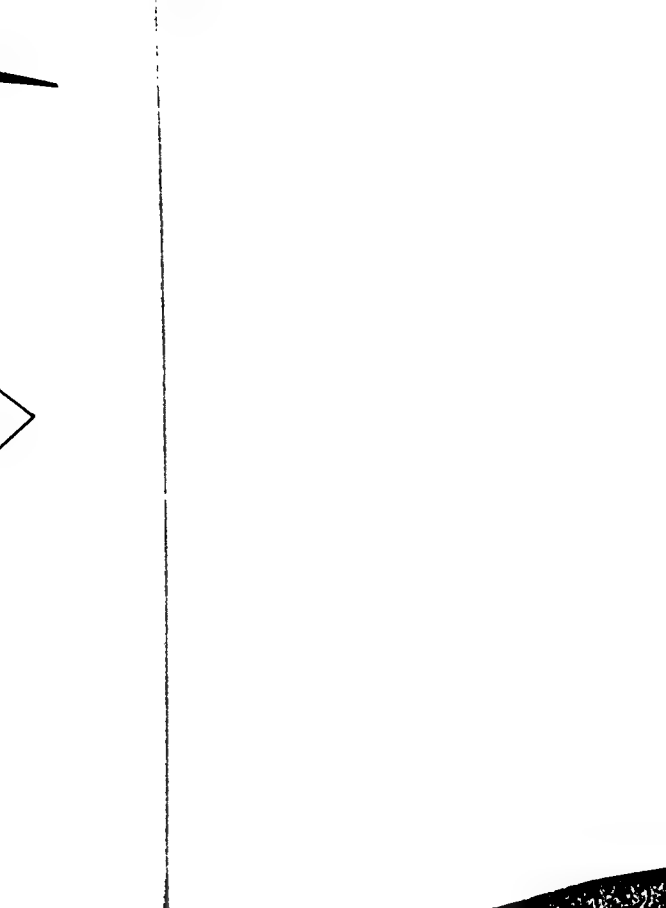
وفي عام ١٧٧٤م نشر المجلد الأول من يومياته، بعنوان (وصف رحلة إلى
بلاد العرب والهند المحذرة) ثم تحفه بكتاب، ضم أعمال صديقه، رفيق
الرحلة مولد (سنة مصر والحريرة العربية)، ثم أصدر كتاباً ضم فيه رسوم رفيق
الرحلة لرسم بورعيد. وفي عام ١٧٧٨م نشر المجلد الثاني من يومياته.

وبسبب كتابه الأول (وصف بلاد العرب) فإن نيبيور قد أنفق على نشر
أعماله وأعمال رفيقه اثنتين من مائة النسخ، حتى نفذ ما بيده. وقد غادر
بيور مدينة كوبنجهج عام ١٧٧٠م إلى ألمانيا وتزوج عام ١٧٧٣م وبحت
لعب من وظيفة متوصفة، فحصل على وظيفة كاتب في مجلس إحدى المدن
ألمانية، في منطقة معروفة، شمال ألمانيا، قضى فيها بقية عمره.

ومع أن الأفكار بدأت تنبت إليه، وبدأت كثير من الدوائر العلمية،
وخاصة في فرنسا، تقدر إبداعاته، وتبدي اهتماماً بنتائج الرحلة، وتدعوه
تقديمه، وتكرمه، وتعرض عليه العمل لديها، إلا أنه ظل يرفض ترك وظيفته،
وتفسيره بسيط. وبينما كانت الدوائر العلمية تناقش أعماله، وكبار الجغرافيين
يعتبرون بدقة حرائطه وفيلسوف الجغرافية، كان نيبيور ينصرف إلى حياته اليومية
اليسطة، يروي لروحته وأطفاله ذكرياته في بلاد الشرق. وقد شدته أشواق
وهو في السادسة والستين من العمر إلى حياته الريفية الأولى، فاشتري قطعة

أرض، أحد يفلحها، وشعر بسعادة عظيمة وهو يعمل عليها، كما كان حاله في مطلع شبابه. وفي عام ١٨٠٧م فقد زوجته، وكان بصره قد أخذ يضعف، مما أجبره على الاستعانة بمساعد متخصص بالجغرافيا، يعينه على قراءة الخرائط، ويساعده في الكتابة وتدوين مذكراته. وكان حظ هذا المساعد أن يتولى نشر المجلد الثالث من يوميات نيبور وذلك عام ١٨٣٧م.

وقد اعتمى نيبور وضعف جسده، وسقط ذات يوم فانكسر عظم فخذيه، ليقتضي ما تبقى من عمره على كرسي متنقل. وفي ٢٦ إبريل عام ١٨١٥م توفي وهو في الثانية والثمانين من العمر، ذلك الرجل الذي لولاه لما أمكننا أن نعرف عن البعثة وإنجازاتها العلمية ما نعرفه اليوم.



المادة التاريخية
في كتابات نيور
عن اليمن

عندما يتحد
استخدامهما معاً ،
الإمام ، والمفهوم
قرب رأس حلي ،
فكل ما هو جنوب
الفداء»^(١) . وتضم
الواسعة ، الواقعة
والجوف . وجنوب
يتحدث نيبور
تضم ، إضافة إلى
وسوف نتنا
الواسع ، أي بمفهوم

(١)

(٢) فارن :

(*) انظر هامش ص

الفصل الأول الحياة السياسية

عندما يتحدث نيبور عن اليمن، فإنه يتحدث عنها بمفهومين، استخدمهما معاً، جنباً إلى جنب: المفهوم الضيق، وهو مرادف لمفهوم مملكة الإمام، والمفهوم الواسع، الذي قصد به اليمن من مدينة حلي الذا، الواقعة قرب رأس حلي، إلى عدن. إذ تمثل حلي - كما ذكر نيبور - حدود الحجاز، وكل ما هو جنوبها فهو منطقة يمنية «كما كان الحال عليه في زمن أبي الفداء»^(١). وتضم اليمن بمفهومها الأخير هذا «أبو عريش»^(٢)، والمنطقة الواسعة، الواقعة بين أبو عريش والحجاز، ومنطقة نجران ومنطقة قحطان والجوف. وجنوباً إلى عدن والشحر، التي كانت تتبع منطقة يافع، وعندما يتحدث نيبور عن اليمن السعيد، أو العربية السعيدة، فإن اليمن عند ذلك تضم، إضافة إلى ما تقدم، حضرموت إلى ظفار^(٣).

وسوف نتناول في هذا الفصل الحياة السياسية في اليمن بمفهومها الواسع، أي بمفهومها الذي يتجاوز الحدود الضيقة لمملكة الإمام، ليمتد إلى

Niebuhr, C. RB. Bd 1, S. 291

Niebuhr, C. BVA, S. 181 - 182.

(١)

(٢) قارن:

(٣) انظر هامش ص ٦٧ من هذا البحث.

سائر المصاطف البعيدة الأخرى. مندرج من مملكة الإمام. إلى المصاطف البعيدة، التي كانت تحكم من قبل سلاطينها وأمرائها ومشايخها، حكماً مستقلاً عن سلطة الإمام.

١. نظام الحكم والهيكل الإداري لدولة الإمام:

عندما يتحدث نيبور عن مسائل ذات خلفية تاريخية ودينية، فإن حظه من التوفيق يكون قليلاً، كما سنرى في أكثر من موضع. ولننبور عذره في ذلك، فمثل هذه المسائل كانت بعيدة عن مجال تخصصه، كما أن الفترة التي قضاها في اليمن لم تكن كافية لدراسة التاريخ اليمني. وللتعمق في فهم الأسس النظرية التي تقوم عليها الحياة السياسية والدينية. لهذا لم يكن بمقدوره، مثلاً، أن يقدم لغرائه فكرة واضحة عن نظام الحكم في مملكة الإمام. ولعله قد أدرك عدم قدرته، ولذلك اكتفى عند حديثه عن نظام الحكم بالعبارات القليلة التالية: «عرش اليمن وراثي، وعندما يكون جميع الأمراء متساوين في صفاتهم فإن الرعية يفضلون عادة الأمير الأكبر سناً، والذي أمه زوجة شرعية للإمام ليكون حاكماً عليهم»^(١). هنا يعبر نيبور عن الواقع العملي، فقد عملت الإمامة في اليمن على جعل نظام الحكم وراثياً، رغم أن هذا يخالف النظرية السياسية الريضية. التي كان نظام الحكم يستند إليها. ولكي لا يبدو نظام الحكم مخالفاً لقواعد النظرية السياسية المرنكةز عليها، فقد حرص الأئمة على تأكيد انسجامهم ظاهرياً مع النظرية السياسية الريضية، وذلك بتوريث السلطة استناداً، لا إلى حق وراثي، بل إلى ادعاء توفر صفات الإمام في أبنائهم. وقد أشار نيبور إشارة سريعة إلى هذه الصفات، دون أن يتوقف عندها لتوضيحها. وأما الرعية فلم يكن لهم دور في هذا الأمر، إلا إذا اعتبرنا شيوخ القبائل، ورجال الأسر الحاكمة، وبعض العلماء، ذوي النفوذ والتأثير، هم الرعية المقصودون بعبارات نيبور.

(١١)

وكان الإمام - كما ذكر نيسور - حاكماً مستقلاً، لا يتلقى أوامر من أي جهة خارجية، سواء في المسائل الدينية، أو المدنية، وكان يسمى نفسه (حليمة)، (إماماً). ولم يكن الحكم الاستبدادي يدوم طويلاً في المنصب، فعندما أصبح الإمام الحالي (٥٠) مكروهاً، بسبب حشده ووحشيته، وضعت خطة لإبعاده من العرش، ورغم أن تلك الحطة قد أخففت إلا أن هناك أمثلة أخرى، لتمريرات ضد الأئمة، انتهت بعزله (٥١). وقد لاحظ نيسور أن اليمينين لا يعرفون الألقاب الكبيرة (فوزير الدولة، واسمه أحمد النهمي، من منطقة نهم، لا يحمل أكثر من لقب فقيه، وهو لقب ليس له أهمية، حتى أن موظفي سكرتارية الوزير يحملونه، بل إن أي شخص عادي في اليمن، يظن أنه يمتلك شيئاً من العلم، يمكن أن يسمى فقيهاً (٥٢). ويسمي اليمينيون حاكم المنطقة الإدارية (دولة) أو (أمير) (٥٣). كما يمكن أن يسمى أيضاً والي، ولكن يبدو أن لقب والي لا يطلق إلا على من يتحدرون من أسر كبيرة، مثل ابن الإمام، الذي يحكم صنعاء. وشيخ العدين، الذي ينتمي إلى أسرة حاكمة كبيرة. ويمكن أن يلاحظ المرء من خلال طريقة اليمينين في التخاطب أن لقب والي ليس لقباً شائعاً (٥٤).

وإذا أردنا أن نستخلص من كتابات نيسور صورة للهيكل الإداري للدولة فإنه يمكن تصوره على النحو التالي (٥٥):

- الإمام هو رأس الدولة، ويتمتع بسلطات دينية ومدنية.
- وللإمام وزير هو الفقيه أحمد النهمي.

Niebuhr C. BVA S 205

(١)

Niebuhr C. BVA S 206

(٢)

Niebuhr C. BVA S 206 URB, Bd 1, S. 295.

(٣)

Niebuhr C. BVA S 206 207

(٤)

Niebuhr C. BVA S 206 208

(٥) انظر:

(٥) يقصد الإمام المهدي عباس

- ويعمل في صنعاء عدد من كبار موظفي الدولة، كل واحد منهم مسؤول عن مجال إداري محدد. وقد ذكر نيور بعض هذه المجالات وأغفل ذكر البعض الآخر. وهؤلاء الموظفون هم:

- القاضي حسين الأنسي Hossein el Anesi. لم يذكر نيور وظيفته.

- الفقيه عبد الله بن محي الدين المراسي. Abdulla ibn Mehcy eddine el Arasse، والي الوقف.

- السيد أحمد الحفاشي Ahmed el Hofaschi. لم يذكر وظيفته.

- الفقيه علي بن حسن الأكرع Ali ibn Hassan el Lokwa، السكرتير «السري» للإمام. ولعل نيور يقصد السكرتير الشخصي للإمام.

- الفقيه علي العمري Ali el Amri، المشرف على الجمارك ومباني ومزارع الإمام.

- الفقيه أحمد الأكرع Ahmed el Akwa، المسؤول الأول عن مكتب شؤون الحرب.

- الفقيه أحمد حش Ahmed Hanasch، مدير العملة.

وتنقسم مملكة الإمام إلى مناطق إدارية، على رأس كل واحدة منها (دولة) لو (أمير). والدولة في منطقته أشبه ما يكون - كما أشار نيور - بالباشا في تركيا. إذ يتولى قيادة جنود الإمام في منطقته، وتحصيل الضرائب، والإشراف المباشر على الجمارك^(١)، وعليه أن يقدم حساباً سنوياً دقيقاً إلى الإمام. ولا يبقى

(١) هذا الوصف كان يقوم بها عادة العمال ولكن نيور لم يستخدم اسم (عامل) إلا نادراً وبدلاً من ذلك استخدم اسم (دولة)، كما استخدم مرات قليلة اسم (أمير) خاصة عند حديثه عن عامل النخبة. الأمير فرحان. ولعل استخدام نيور اسم الدولة بصورة متكررة يدل على شيوعه في اليمن في ذلك الزمن، ويمكن أن نستدل على شيوعه أيضاً من الأغاني الشعبية القديمة التي انتشرت فيها اسم الدولة بالسكر. والدولة يقصد به العامل ولا يقصد به الدولة بمعنى مجموع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية. ولتجنب الالتباس سوف نستخدم اسم عامل بدلاً عن اسم دولة في جميع فصول هذا البحث، باستثناء في هذه الفقرة الخاصة بنظام الحكم والهيكل الإداري.

الدولة في
ثروة، وت
الوظيفة ع
وكفاءات،
يرضى عنه
ما يحدث
يكون قد
وإذ
له، يسمى
عن خمسة
فإنه يسمى
يسمى حاك
عهد الممل
كل منطقة
مراقب^(٢)
الدولة في
الإمام، و
لخدماته،
يشرب على

وفي
كما هو الـ

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

الدولة في وظيفته عادة أكثر من عامين إلى ثلاثة أعوام. وذلك خشية أن يجمع ثروة، وتساوره نفسه في الاستقلال عن مملكة الإمام. ولا يقتصر شغل هذه الوظيفة على اليمنيين، بل يمكن أن يشغلها عبيد سابقون، يتمتعون بقدرات وكفاءات، تؤهلهم لذلك. وإذا لم يستطع الدولة أن يدير منطقته، بالشكل الذي يرضى عنه الإمام، فإنه يصبح عرضة للسجن والمصادرة والعزل ولكن هذا نادراً ما يحدث، إذ غالباً ما يعين الدولة المغضوب عليه في منطقة أخرى، بعد أن يكون قد قضى بعض الوقت دون عمل^(١).

وإذا ما ضمت المنطقة الإدارية مناطق هامة، فإن الدولة يعين فيها نواباً له، يسمى الواحد منهم (نائب دولة)، ويرافقه عدد من الجنود، قد لا يزيد أحياناً عن خمسة إلى ستة أفراد. وإذا لم يكن نائب الدولة مصحوباً بعدد من الجنود، فإنه يسمى شيخ. ويضيف نيور، إن نائب الدولة إذا كان في قرية صغيرة فإنه يسمى حاكم^(٢). وهذه الإضافة تبدو غريبة مقارنة بالنظام الإداري المعروف في عهد المملكة المتوكلية اليمنية (١٩١٨ - ١٩٦٢). وعدا عن ذلك فإنه يوجد وفي كل منطقة إدارية، وعلى الأقل في المناطق الكبيرة، موظف يسمى باش كانب أو مراقب^(٣). ويرتبط هذا الموظف بالإمام مباشرة لا بالدولة، ويجلس إلى جانب الدولة في الجمارك، ويراقب كل شؤون المنطقة، ويرفع عنها تقارير إلى الإمام، ويعتبر بلاءً مستديماً، بالنسبة للدولة، وقد يحظى بدوره، نظر لخدماته، بمنصب (دولة)، ولكنه ما أن يعين، حتى يوضع بجانبه ناشر كتب، يشرب على يديه نفس الكأس الذي سقاه لغيره.

وفي كل منطقة إدارية يوجد قاض وربما يرتبط بكبير القضاة في صنعاء، كما هو الحال في تركيا، حيث يرتبط القضاة بالمفتي في القسطنطينية^(٤).

^(١) Niebuhr C. BVA S 207

^(٢) Niebuhr C. BVA S 207

^(٣) Niebuhr C. BVA S 207

^(٤) Niebuhr C. BVA S 208

وأضافة إلى الوظائف السابقة، يتبع ندوة مجموعة من الموظفين
وهي:

- أمير بحر في نحوي، ومهمته الإشراف على السفن والقوارب، فلا
يسمح ببحر في قرب أوسية، دون إذن منه، كما أنه يقوم بتفقد البضائع،
في حمولة السفن، من ثياب، وزينة، للتأكد من أن الضرائب المستحقة
عليها قد تم تسديدها، على نوجه المخطوب^(١)

- أمير باب المدينة، وهو مسؤول عن أبواب أسوار المدينة، ومراقبة كل ما يمر
من وإلى المدينة، ويكشف عليه.

- أمير سوق، وهو مسؤول عن نظافة وتنظيم ونوعية البضائع، الموجودة
في السوق.

- شيخ البلد Schech el Belad، وهو مسؤول عن توزيع ما تصرفه الدولة
لمواطنين في المدينة، وله بوضع يسور فيما إذا كان المقصود بهذه
المصروفات تمويل شركة، ثم إن هناك مخصصات أخرى تصرف بواسطة
شيخ البلد هذا

- أمير البحر الليبي

- صو سحر

٤. المناطق الإدارية التابعة لمملكة الإمام^(٢):

يتمتع بسور تحتل الإدارات المختلفة، ضمن مملكة الإمام، مميزات
في المحل الشهية، والمناظر الحسية. وسورها هنا في تسلسل واحد:

(١)

(٢)

(٣) شهر

Niebuhr, C., BVA, S. 208

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 300

Niebuhr, C., BVA, S. 221 ff

بجدها البحر وإمارة عدن وبلاد اس عقلان ووصاب الأسفل. ومن أهم المدن والقرى في هذه المنطقة^(*):

- المحا: وهي مركز منطقة المحا ومقر العامل. وتعتبر أهم مدينة في مملكة الإمام، وذلك بسبب النشاط التجاري الكبير فيها. ويسكنها تجار أغنياء من اليمينيين والهنود. كما يزورها تجار أوروبيون، يأتون على ظهور السفن.

- يخل Jachtullo: وهي قرية كبيرة تبعد عن المحا بمقدار ميلين ألمانيين^(**) نحو الشمال.

- موزع: وهي قرية فيها قلعة صغيرة ونائب للعامل. وتبعد عن المحا بمقدار أربعة أميال ونصف نحو الشرق. وذكر نيسور أنه «ربما تقع هنا مدينة ميسا Mesa، التي ورد ذكرها في كتاب موسى الأول، الفصل العاشر»^(***).

- سوق الجمعة: وهي قرية يقام فيها سوق أسبوعي، في كل يوم جمعة، وتقع موزع.

- الوازعية: وهي عبارة عن قلعة صغيرة، في منطقة جبلية، بجنوب موزع.

- ذباب: وهي قرية تبعد عن المحا بمقدار رحلة يومين، نحو الجنوب.

- ذكار وبعض الجزر الصغيرة.

- باب المندب.

- بريم.

(*) استطاع نيسور أن يستكتب أسماء بعض القرى. أما البعض الآخر فقد اكتفى بكتابه أسمائها بالأحرف اللاتينية وبحسب السماع. ولذا فسوف أثبت هنا الأسماء باللاتينية بالنسبة للقرى التي لم يورد أسمائها بالأحرف العربية، مع كتابة الاسم بالعربية بالصورة التي أظنها سليمة.

(**) الميل الألماني كان يساوي ٧٥٣٢ مترا، ولم يعد مستخدما الآن.

(***) يشير نيسور بذلك إلى ما ورد في سفر التكوين الإصحاح العاشر بعدد تحديد مواضع أسماء سام بن نوح فهو قحطان أو يقطان وكان مسكنهم من ميسا حيسا حتى، نحو حداد حل المشرق. انظر الكتاب المقدس ص ١٧.

يبيع وهي منه يقع على ساحل البحر، وحيثما يذهب منه من قبل
العمل في البحر. وقد عني أن هذه المدينة تقع في صدد.

منطقة وصاب الأسفل^(١)

تحتل منطقة البحر، وملاحة من غللا، ومنطقة وصاب الأعلى، ومنطقة
زبد، ويصل جزء صغير من على بحر الأحمر. أو بحسب التسمية التي
استخدمها بيور. - حل لبحري. ونبت هذه المنطقة منطقة واسعة، كما
أنها ليست منطقة عذبة ومن أهم مصادرها وفراها

- مدينة جيس وهي مركز منطقة وصاب الأسفل. وهي عبارة عن مدينة غير
مسورة، فيها معقل، يسكنها العامل ونم هذه المدينة اليمن بالأوعية
الغنية.

- ميناء Maush أو موش Maush^(٢) وهي قرية كبيرة، فيها نائب للعامل،
ويقع على سفرة من البحر، من البحر ويريد. ويذبح المسافرون فيها ضريبة
عن دخلهم حجم وقد اعتد بيور أن اسم هذه القرية يشبه اسم ميناء
موسى Musa. - بنى حشد صيموس موقعه بصورة تبدو متطابقة مع موقع
هذه القرية، وقد يمكن أن بحث عن موقع ميناء موسى في هذه
المنطقة.

ويجب دحل هذه المنطقة إلى عائلة إسحاق.

منطقة زبد

تحتل منطقة وصاب الأسفل. ومنطقة وصاب الأعلى، ومنطقة بيت

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C. BVA, S. 224

Niebuhr, C. BVA, S. 224

Niebuhr, C. BVA, S. 225

(٤) مسجد البيور وصاب الأسفل كد بيور وصاب الأعلى وصاب العالي

لغية، والبحر
- مدينة زبد
- المنطقة التي
وكانت تعني
والمناطق
العامل.
- قرية التحيته
ويبدو من م
- قرية التربة
- قرية الشرج
باتجاه الم
منطقة بيت
تحتها
- مدينة بيت
بعد أن أص
عن زبد.
كله^(٢)
والعراق و

(١) قارن: الويد

(٢)

(٣) رغم أن نيب

السماح بصد

كثيراً ما و

نقيب، والبحر الأحمر. ومن أهم مدنها وقراها:

مدينة زبيد. وهي مركز هذه المنطقة. وقد كانت أهم مركز تجاري، ضمن المنطقة التي يحكمها الإمام، وذلك عندما كان ميناء غليفقة ميناء مزدهراً وكانت تعتبر عاصمة تهامة كلها وتوحد فيها أكاديمية زبيد، التي نمد تهامة، والمناطق الجبلية الجنوبية، بالعلماء كما توجد فيها قلعة صغيرة، يسكنها العامل.

قرية التحينة أو التحيتا^(١). وتقع على بعد ميلين وربع إلى الغرب من زبيد، ويبدو من مقابرها أنه كان لها ماضي مزدهر، على خلاف ما هي عليه الآن.

قرية التريبة Toreiba أو التريبة Traha^(٢): وهي قرية هامة تقع شرق زبيد.

قرية الشرجة: وهي قرية كبيرة تقع على بعد ثلاثة أميال ونصف من زبيد، باتجاه المخا. وفيها نائب للعامل، مع عدد من الجنود.

منطقة بيت الفقيه:

تحدها منطقة اللحية ومنطقة زبيد. ومن أهم مدنها وقراها:

مدينة بيت الفقيه: وهي مدينة كبيرة غير مسورة، بدأت تأخذ مكانتها الهامة، بعد أن أصبح ميناء غليفقة غير صالح للاستعمال، وانصرف التجار شيئاً فشيئاً عن زبيد. وتعتبر هذه المدينة أهم مركز للبن في اليمن «بل وفي العالم كله»^(٣). ويجتمع فيها تجار من مختلف أنحاء العالم: من تونس والمغرب والعراق وسورية وعمان وإيران وأوروبا... إلخ.

(١) قارن: الوسي، اليمن الكبرى، ص ٨٩.

Niebuhr, C. BVA S 225

(٢)

(٣) رغم أن نيسور قد استكتب أسماء بعض القرى والمدن، إلا أنه، كما يبدو، وسبب اعتماده على السماع بصورة أساسية، لم يكن واثقاً من صحة بعض الأسماء، التي كتبت له بالنعربية، لذا فإنه كثيراً ما ورد الاسم بصورتين مختلفتين. أما الاسم الصحيح لهذه القرية فهو التريبة.

- قرية لمحط وهي قرية كبيرة تقع في وادي المحط، على الطريق الموصل بين بيت النقيب وزيد.

- قرية الدريهمي: وهي قرية كبيرة.

- قرية عنبة أو الغانمية^(*) Gannme: وهي قرية كبيرة تقع على الطريق بين بيت النقيب واللحية^(١)، وفيها نائب للعامل مع عدد من الجنود.

- غليفة: كانت مدينة مشهورة، وأصبحت قرية صغيرة لا أهمية لها. إلا أن توفر الملح فيها بكثرة، قد جعل العامل يضع فيها موظفاً سماه نيسور حاكم أو كاتب^(٢)، وذلك لقبض ما يدفعه تجار الملح، من مبالغ زهيدة، مقابل كل حمل جمل، يأخذونه من هناك.

- ونضم منطقة بيت النقيب أيضاً قرى هامة، كالقطيع والمنصورية والمراوعة. منطقة الحديدية:

لا تكاد حدود هذه المنطقة تتجاوز حدود مدينة الحديدية نفسها. ومع ذلك فإن دحر الحمر في هذه المنطقة مرتفع جداً، إذ يستقبل ميناء الحديدية السفن التحزيرة، خاصة السفن القادمة من جدة ومسقط. ويمكن اعتبار ميناء الحديدية، ميناء بيت النقيب. ويسكن العامل في قلعة مطلة على البحر. منطقة اللحية

يحدد البحر الأحمر، ومنطقة أبو عريش المستقلة عن دولة الإمام، ومنطقة بيت النقيب، وبعض المشيخات التابعة لاتحاد حاشد وبكيل. ومن أهم المند والقرى في هذه المنطقة:

(١)

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. 227.

Niebuhr, C., BVA, S. 227

(*) تقع العمية بين بيت النقيب وزيد وليس بين بيت النقيب واللحية. ولعل نيسور قد أخطأ في تحسم موقعها، وإنه قد قصد بذلك قرية أخرى مشابهة في الاسم، لم يتمكن من العثور عليها في تحريته.

- مدينة اللحية: وهي مركز المنطقة ومقر العامل.
- جورة أورموك Urmuk^(*): وهي جزيرة صغيرة؛ قريبة من اللحية، وتعتبر جزءاً منها، إذ يستخدمها أهالي اللحية كملجأ لهم، ولأموالهم، إذا داهمتهم القبائل من الجبال.
- ماربيه Marabea^(**): كانت فيها مضى مدينة وميناء ومركزاً للمنطقة⁽¹⁾، يقيم فيها العامل، لكنها فقدت أهميتها، ولم يعد مينائها صالحاً لرسو السفن. وتقع إلى الشمال من اللحية.
- مور: هو عبارة عن سوق يبعد عن اللحية بمقدار ٤ إلى ٥ ساعات سفر^(***)، ويقيم فيه نائب للعامل وبعض الجنود.
- عدر Adir: قرية تبعد بمسافة ساعة واحدة عن مور، ودخلها يعود إلى قاضي اللحية.
- المنيرة: قرية كبيرة، تقع في الطريق بين اللحية وبيت الفقيه.
- الضحي: قرية كبيرة، تقع في منتصف الطريق بين اللحية وبيت الفقيه، وفيها نائب للعامل مع بعض الجنود.
- مخلاف: مدينة صغيرة، تقع في وادي سررد، ويسكنها شيخ وادي سررد.
- الهجم: كانت في الماضي مدينة مشهورة، ولكن لم يبق منها إلا^(****) ما يستحق الذكر سوى مسجد قديم، رصمه الأمير فرحان، أمير لحيه عام ١٧٦٢ م.

Niebuhr, C. RB. Bd. 1, S. 304 - 305.

(١)

(*) لعل نيور يقصد جزيرة المرك الواقعة إلى الجنوب الغربي من اللحية

(**) لم أعر عليها في الخارطة ولا في المعاجم.

(***) لم يتفقد نيور بمنهج محدد عند حساب المسافات. فأحياناً كان يحسب لأميل وأحياناً كان يكثف بحساب الساعات التي يستغرقها المسافر. وأحياناً لا يذكر أكثر من تحده موقع لقرية

أو المدينة أو المنطقة بالنسبة لقرية أو مدينة أو منطقة أخرى

(****) أي عند زيارة نيور لليمر.

- الريدية: عارة عن سوق كبير، فيه نائب للعامل وبعض الجنود.
 - جزيرة كمران: جزيرة خصبة، يقم فيها نائب للعامل وبعض الجنود.
 - جزيرة فران Firān: وهي جزيرة يجمع فيها أهالي الملحية للؤلؤ.
- منطقة سنحان:

تحدها همدان وذيان Daiban وخولان وبلاد آنس والحيمة. ومن أهم مدنها وقراها:

- صنعاء: وهي مدينة قديمة مشهورة، يقيم فيها الإمام وهي عاصمة مملكته.
- بير العزب: هي أقرب القرى إلى صنعاء، بل تعتبر ضاحية من ضواحي صنعاء.
- عصر: قرية كبيرة بل يمكن اعتبارها مدينة صغيرة، ويسكنها اليهود فقط، ولذلك تسمى عادة بقاع اليهود^(١). وقد حاول نيبور أن يجد تشابهاً^(٢) بين اسم هذه القرية، الذي كتبه هكذا: Osér، واسم أزال Usal، وهو الاسم القديم لصنعاء.

- الروصة Radda: هي مدينة صغيرة، تقع على السائلة نفسها العارة بصنعاء، وعلى بعد أربع ساعات نحو الشمال من صنعاء. وللإمام وأعيان صنعاء فيها بيوت ويساتين.

- سنوان Zauān: منطقة صغيرة، تقع شمال شرق صنعاء.

- طية Taibe: قرية، تقع شمال غرب صنعاء.

- حدة Hudde: قرية، تقع على بعد ميل وربع من صنعاء نحو الجنوب، وللإمام يساتين فيها.

- رمانع ابن حميد Rema ibn Hameid: قرية، فيها سمسة كبيرة، ومحطة

(١) يملو أن يسور قد حط بين عصر وقاع اليهود. Niebuhr. C., BVA. S. 231.

(٢) كثيراً ما حاول نيبور إيجاد تشابه بين الأسماء اعتماداً على السمع ولم يكن موفقاً في ذلك.

للقوائل، وتقع على بعد بضعة أميال من صنعاء، نحو الجنوب، على طريق
ذمار، وتسمى عادة رماح فقط.

هذه المدن والقرى أنفة الذكر، وكثير غيرها، تتبع والي صنعاء وهو الأمير
علي، أخو الإمام المهدي. وإلى جانبها كانت هناك قرى يمتلكها أو يعود دخلها
إلى بعض أفراد أسرة الإمام، أو الأسر الكبيرة الأخرى. ومنها:

- Sejián: قرية تبعد عن صنعاء بمقدار ثلاثة أميال نحو الجنوب.

- Suradsje: قرية كبيرة تبعد سبعة أميال ونصف من صنعاء، على طريق
ذمار.

- سوق العفص Suk el AFS وفيلان Weilán (*): قريتان كبيرتان في جبل
الروس، تمتلكهما أسرة إسحاق، أمراء وصاب.

منطقة بلاد أنس Anes (**):

تحدها ريمة وعتمة ومغارب عنس. ومن أهم مدنها وقراها:

- ضوران: مدينة قديمة. وهي مركز العامل. وكانت عاصمة للإمام المتوكل
إسماعيل (***)، الذي دفن وأخوه حسن فيها.

- معبر: قرية تقع بين مدينتي ضوران وذمار (****).

- عبيد (*****): مدينة صغيرة في وادي ريمة.

(*) لم أجدهما في الخارطة ولعلهما العيس ووعلان.

(**) كتب نيبور اسم آس تماماً كاسم عنس والروضة كاسم رداق وقد وقع في أخطاء من هذا
النوع لاعتماذه على السماع والتباس مخارج بعض الأحرف العربية عليه

(***) الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم تولى الإمامة في الفترة من ١٠٥٣ هـ ١٦٤٣ هـ إلى وفاته
عام ١٠٨٧ هـ ١٦٧٦ م.

(****) أخطأ نيبور بعض الشيء في تحديد موقع معبر فهي تقع شمال دمار وشمال شرق
ضوران.

(*****) لعلها مدينة العبد.

- سوق الحمصة قرية كبيرة، تقع بالقرب من مدينة عبد

منطقة رداق

تحدد حوالاً ويقع وأهم مدنها مدينة رداق، مركز المنطقة ومقر

العمل، وهي مدينة صغيرة فيها قلعة حصينة.

وله يذكر نيسور أية معونات أخرى عن هذه المنطقة، إذ لم يتسكن من

الحصول على معلومات عن مدنها وقراها^(١).

منطقة مغارب عس.

تحدها منطقة صماء وبلاد أنس وريم. ومن أهم المدن والقرى فيها:

- دمر وهي مدينة كبيرة غير مسورة، يقيم فيها العامل، وتبعد عن صنعاء

بمقدار اثني عشر ميلاً ونصف. وفيها أكاديمية ويدرس فيها غالباً

الزيدون^(٢) كما توجد فيها قلعة كبيرة.

- المواب هي مدينة صغيرة، لا تعد كثيراً عن دمار، وفيها قلعة. وقد كانت

عاصمة للإمام المهدي محمد بن أحمد^(٣)، الذي قبر فيها.

- حر مران يقع إلى الشمال الغربي من مدينة دمار، ويوجد فيه العقيق

البستاني

- حل الكريت أو الأسى: يقع إلى المشرق من دمار.

منطقة عتمة

تحدها بلاد أنس وريم ووصلب ومغارب عس. ولم يستطع نيسور -

كما ذكر - أن يحصل على معلومات عنها أكثر من أن مدينة عتمة هي مركز منطقة

(١)

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. 235.

Niebuhr, C., BVA, S. 235.

(٣) هو الإمام المهدي، صاحب المواب، انظر عتاش ص ٢٨ من هذا البحث.

عنة، ومقر العامل، وأنه يوجد سوق، يسمى سوق الربوع، وفيه قلعة. وأصاف
نيبور قتلًا، وقد أحبرني شخص آخر أن العامل يسكن في سوق الربوع. وهذا
ربما يعني أنها لا توجد مدينة اسمها عنة بل إن هذا الاسم هو اسم المنطقة
فقط^(١)
منطقة يريم^(٢):

تقع بين مغارب عنس وجبل سمارة. ومن أهم مدنها وقراها:
- يريم: وهي مدينة صغيرة، سيئة البناء، يقيم فيها العامل. وتبعد عن دمار
بمقدار أربعة أميال نحو الجنوب.
- ظفار: عبارة عن خرائب لمدينة كانت لها أهميتها الكبيرة. تحت حكم الملوك
الحميريين. وتبعد عن مدينة يريم بمسافة يوم واحد، نحو الجنوب الغربي.
وقد أشار نيبور إلى أنه لم يستطع أن يحصل على أكثر من هذه
المعلومات عن منطقة يريم، إضافة إلى مجرد بعض أسماء لعدد من القرى.
المخادر:

هي منطقة صغيرة وخصبة. قال عنها نيبور إنها أعطيت لإبراهيم ابن
الإمام المهدي محمد، وعندما توفي عام ١٧٦٢ م آلت إلى ابنه إسماعيل. ولا
أعلم علم اليقين فيما إذا كانت تحكم من قبل إسماعيل نفسه حكماً مستقلاً عن
سلطة الإمام، ولكنني أرجح أنه يحصل على دخلها، في حين يتولى حكمها دولة
معين من قبل الإمام^(٣). ومن أهم المدن والقرى في هذه المنطقة:
- المخادر: وهي مدينة صغيرة، تقع فوق جبل، وتوجد فيها قلعة. وتبعد عن

Niebuhr, C., BVA, S. 235 - 236.

(١)

Niebuhr C., BVA, S. 237.

(٢)

(٣) حاول نيبور أن يجد تشابهاً بين اسمي يريم ولادم، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

انظر: Niebuhr, C., BVA, S. 236.

مدينة إب بمسافة ميلين و ٨/٥ الميل، نحو الشمال، وعن مدينة يريم بمسافة أربعة أميال ونصف، نحو الجنوب الغربي.

- قرى Schomén و Tullub و Doime.

وهناك مناطق وقرى تقع قرية من المخادر، لم يستطع (نيبور) أن يتحقق، مما إذا كانت تتبع إدارياً منطقة المخادر أم لا. وهي:

- سمارة أو جبل سمارة.

- المزنة. وهي قرية، تقع في جبل سمارة، وفيها محطة للقوافل.

- Robo el Haua: وهو عبارة عن حصن يمتلكه النقيب محمد بن

عبد الله الوادعي.

- حصن سي حسن: وهو عبارة عن قلعة، في قمة جبل سمارة، هدمت منذ

سنوات قليلة، وأجر بنو حسن على الاعتراف بسلطة الإمام.

- بلاد حاد تقع إلى الشمال من المخادر، ويعود دخلها إلى السيد

إسماعيل بن إبراهيم، الألف الذكر.

- حبش. مدينة تقع على مرتفع، بين المخادر وعمرة، وتتبعها منطقة حبش

وورسا أو نها شيخها^(١).

منطقة اليمن الأعلى^(٢).

تحتها العمير والمخادر وتغز، وتسمى مخزن غلال اليمن لخصوبتها، وهي كثيفة السكان ومن أهم مدنها وقراها:

- حبة. وهي أهم مدن هذه المنطقة ومركزها ومقر العامل.

- إب: ثاني مدينة من حيث الأهمية، بعد مدينة جبلة، ويقيم فيها نائب للعامل.

(١)

(٢)

(*) حاول نيبور
حداً أن

Niebuhr, C., BVA, S. 238.

(*) مكها بمسماها صبور.

- السوق: قرية تقع بين إب والمخادر.
- Diksera: قرية تمتلكها أسرة إسحاق.
- محرس: قرية، محطة قوافل، والطريق إليها مرصوفة.
- منطقة قمطبة^(١):

تقع في الحدود الجنوبية لمملكة الإمام. ومن أهم المدن والقرى فيها:

- مدينة قمطبة: وهي مركز المنطقة ومقر العامل.
- خيران Cheiran: وهي مدينة جبلية صغيرة.
- Ghurefie: قرية كبيرة.
- منطقة تعز:

تحدها منطقة اليمن الأعلى والعدين وبني عقلان والحجرية. ومن أهم

مدنها وقراها:

- مدينة تعز: وهي مركز المنطقة ومقر العامل «وتبعد عن مدينة عدن بمسافة خمسة أيام: يوماً من تعز إلى خدير، ويوماً من خدير إلى حروة، ونصف يوم من حروة إلى نقييل الحمار، ويوماً ونصف من نقييل الحمار إلى لحج، ويوماً من لحج إلى عدن»^(٢).

- جبل صبر: وهو عبارة عن سلسلة من الجبال، كل جبل منها يحمل اسماً خاصاً به وأعلاها جبل حصن العروس. ولخصوصية جبل صبر يعتقد اليمسود أنه يحتوي على جميع أنواع النباتات الموجودة في العالم، كما يعتقدون أنه يوجد فيه الكهف، الذي ورد ذكره في القرآن^(٣).

- مدينة عدينة: مدينة قديمة، تقع بالقرب من قاهرة تعز، ولم يبق منها إلا

Neuebuhr, C BVA, S 241.

(١)

Neuebuhr, C BVA, S 241.

(٢)

(٣) حاول نيسور أن يجد تشابهاً بين اسمي قمطبة وفتبان، ليخلص إلى القول: «إنه من المحتمل جداً أن قمطبة هي نفسها فتبان». أنظر Neuebuhr, C., BVA, S. 241.

- أطلالها وقد اعتقد سيور خطأ، أنها ربما تكون بقايا مدينة عدد لاعة (٥٠).
- الحند: مدينة كانت مشهورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنها الآن أصبحت قرية صغيرة، ويقع فيها مسجد معاذ بن جبل.
- الضباب: منطقة حميلة تقع في طريق تعز - بفرس.
- ومن القرى والمناطق التابعة لتعز أيضاً: شرمان والقاعدة وذو السفال وشرعب... إلخ.
- بلاد الحجرية:
- تحدها مناطق تعز وقعدة وبني عقيلان والمخا ويقع وعدن. وقد حكمها الشيخ عبد الرب مستغلاً عن مملكة الإمام، ثم ضمت بعد ذلك إلى مملكة الإمام، وأصبحت تتبع إدارياً العامل في تعز. وأهم مدنها وقراها:
- الدملوة: مدينة صغيرة، تبعد مسافة يوم وربع إلى الجنوب الشرقي من تعز.
- Gallā: كانت مقراً للشيخ عبد الرب.
- نمطارة: هي عارة عن قلعة منيعة للغاية. وقد كانت أيضاً، ولبعض الوقت، مقراً للشيخ عبد الرب.
- بفرس: مدينة، كان الإمام يعين فيها أحياناً عاملاً. ويوجد فيها قبر الولي ابن عويان (١٥٠).
- مصورة: قرية كبيرة، تدل خرائب مساجدها على أنه كان لها ماضي زاهر.
- قدس: قرية كبيرة.
- العزعر: قرية على حدود منطقة عدن.

(٥) لقد وهم سيور: فعند لاعة تقع في منطقة حجة وقد كانت عاصمة منصور اليماني: بفرس، الحميري، محمد الشاذلي، مع ٤، ص ٨٩، ٩٠، والحجري، بلدان اليمن، مع ٢٠٢، ص ٥٨٢، والبيسي، تاريخ اليمن، ص ٣٨-٣٩.

(٥٥) أحمد بن عليان، صوفي، يسمي مشهور توفي عام ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧ م. انظر: الزركلي، الأعلام، مع ١، ص ١٧٠.

بلاد ابن عقلاق أو بني عقلاق(*) :

كان يحكم هذه المنطقة إلى عهد قريب شيخ مستقل عن سلطة الإمام.
من سلالة عقلاق(**). ومن أهم المدن والقرى التابعة لها:

- الدريبات Dorebāt: وهي مدينة صغيرة، تقع على جبل، وتبعد أحد عشر ميلاً عن المخا. وهي مركز المنطقة ويقوم فيها الشيخ ابن عقلاق، وإلى جانبه موظف حكومي وبعض الجنود. وفيها سجن محفور في الصخر، هو أفظع سجن يمكن تصوره⁽¹⁾.

- القماصرة: عبارة عن مرتفعات جبلية، يحكم المشايخ جزءاً كبيراً منها، مستقلين عن مملكة الإمام.

ومن القرى التابعة لهذه المنطقة: Aqhūs، وشمير Schamir، والأهمون Ahmūl.

منطقة العدين(***) :

لهذه المنطقة شيخ يحكمها حكماً مستقلاً عن مملكة الإمام. ومن أهم مدنها وقرائها:

Nachtr. C. RB. Bd. I S. 375

(١) انظر

(*) لم يشر نيبور إلى حدود هذه المنطقة ولكن من خلال ورود ذكره في حدود مصر حوى ومن خلال حديثه عنها في يومياته يتضح أنها تقع مجاورة لمصر ونحبره ومحد ووصاب السافل.

(**) أشار نيبور إلى أن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن أمير الدين من سلالة عقلاق لا يرسل شيخاً على منطقته رغم أن الإمام قد استطاع إخضاعها وصمها إلى مملكته. وقد استمر من عقلاق يحكمها ويدفع ضرائب محددة للإمام، كما أن الإمام قد عين موظفاً مع عدد من الحدود التابعين له إلى جانب الشيخ ولم يشر نيبور إلى نوع العلاقة بين موظف الإمام والشيخ عبد الله بن عقلاق. انظر:

Nachtr. C. BVA. S. 244

Nachtr. C. RB. Bd. I, S. 375

وكذا:

(***) لم يلتزم نيبور بطريقة موحدة عند حديثه عن المناطق الإدارية لمحتدة مرة يذكر جميع المناطق المحادة لها ومرة يكتفي بإيراد اسم منطقة واحدة محددة فقط. ولا يذكر سم أي منطقة محادة.

- نعين وهي مدينة على صورة. يقع على حوض البحر من نونى الذى
يسمى بـ. وبعد مسافة خمسة عشر ميلا عن مدينة بيت نعيم
Marine قرية بعد خمسة أفراس عن مدينة نعين. على طريق نعين بيت
نعيم وبنيته على راس نعين

ومن قرى هذه المنطقة أيضا قرية سي عوص و سنيكي.

منطقة وصاب الأعلى

تحدد نهضة وقد ذكر بسور أنه غير متأكد مما إذا كانت هذه المنطقة
يحكم من قبل من عدم فإنه لا يـ ومن أهم المدن والقرى التابعة
هذه منطقة

- دير Dera وهي مدينة صغيرة. توجد فيها قلعة كبيرة، وسوق أسبوعي
- روضة وصاب Rouda Wabab وهي عبارة عن حصن صلب.

- قرية Hala

منطقة كسة

تقع في شرق منطقة بيت نعيم. وهي منطقة واسعة. تضم مناطق
معدة. سكنها عشائر كثيرة. لكن منها شيخها. الذي يحكمها مستقلاً من
أحد معه. مع أن عرف منطقة الإمام ومركزها هو مدينة كسة. وهي
سما صغيرة. يقع فيها من ومن المناطق التابعة لكسة:

- منطقة في نخبتي وتقع فيها مدينة كسة

- منطقة مسر

- منطقة في كذا

- منطقة في أحد

- منطقة بني القحوي . وفيها تقع قرية الحدية، التي تعتبر من أهم أسواق السن في اليمن

- منطقة بني سعد .

- منطقة بني وقيد . وفيها قرية علوحة، التي تعتبر أيضاً من أسواق السن الهامة

- منطقة بني صبيي .

منطقة الجبي :

تقع هذه المنطقة في شمال منطقة كسمة . ويطلق اليمنيون على كلا المصطلحين الحي وكسمة اسماً واحداً هو ريمة . ومثلما هو الحال بالسنة لمنطقة كسمة، تتوزع الجبي عشائر، لكل منها شيخها ومنطقتها . ومن مناطق الجبي :

- منطقة بني حمران Baní H'ommerán . وفيها تقع مدينة الجبي، مركز منطقة الحي ومقر العامل .

- منطقة بني هندوان Baní Hindewán .

- منطقة بني حسين .

- منطقة Hadedda (٥) .

وقد ذكر نيبور أنه لم يشاهد بنفسه المناطق التي تتبع الجبي جميعها، إذ أنه قد مر بمنطقة الجبي مروراً سريعاً، وهو في طريق عودته من صنعاء إلى بيت الفقيه باتجاه المخا . لهذا فلم يكن متأكداً من مواقع هذه المناطق، وقد حملها على خريطته، مستنداً إلى ما تلقاه من معلومات شفوية من المواطنين (١) .

Niebuhr, C. HVA. S. 249

(١)

(٥) لعلها الحديداء أو الحديدية وكلاهما عزلتان في بلاد ريمة . انظر البحري، بلد اليمن، ص ٢٥١، مع ١، ص ٢٥١ - ٢٥١ .

منطقة حجاز

تحدد حجاز منطقة وادي حجاز وكوكبان ومن أهم مدنها وقراها

- مدينة صليبا (Sila) وهي مدينة مسورة وفيها مقر العمل

- قرية (Hail el Hail)

- جبل محاذ

منطقة حجاز

وأهم مدنها مدينة مدحة. وهي مركز منطقة حجاز ومقر عاملها. ومن

مدنها

- مدحة سي بسجيل

- مدحة سي محمد

- مدحة سي سعد

- مدحة سي حسن

منطقة الحيمة العليا (Haima el Afsal)

تحدد حجاز ومنطقة الحيمة العليا وبلاد أنس. وتتم منها طريق صنعاء - بيت

عبد ويعود تحتها إلى أحد أفراد أسرة الإمام. ومن أهم مدنها وقراها:

- مدحة مدينة صغيرة فيها قلعة وفيها مقر العامل.

- قرية سدة (Sada)

- سوق حبيس

منطقة الحيمة العليا (Haima el Afsal)

تحدد حجاز ومنطقة الحيمة العليا وحجاز وكوكبان. وذكر نيبور. أنه

(١) حجاز سي أنس

(٢) سدة الحيمة العليا

(٣) سدة الحيمة العليا

(٤) سدة الحيمة العليا

نصر. أنه قد سمع أن دخل هذه المنطقة يعود إلى أحداً من أسرة الإمام (١).
وتم يذكر نيسور اسم أي مدينة أو قرية من مدن وقرى هذه المنطقة
بإستثناء مدينة العراء، وهي مدينة صغيرة يقيم فيها العامل.

منطقة ثلاث (٢):
سميت باسم مدينة ثلاث، وهي مدينة حصينة، يقيم فيها العامل. ومن مدن
وقرى ومناطق ثلاث:

- مدينة كحلان.
- منطقة بني عفار.
- بلاد حجة، وتملكها أسرة شمسán Schemsán وتقع فيها مدينة الظفير Doffir،
وهي مدينة كبيرة. وفيها أيضاً قرية ذي النوب وتملكها النقيب صالح بن
نصر.

- مدينة حبور.
- بلاد السوداء.
- ويوجد في منطقة ثلاث جبل شهارة، وهو جبل كبير فيه حوالي ثلاث مئة
قرية.
- منطقة همدان:

تقع في شمال غرب صنعاء، وهي من مناطق اتحاد حاشد وبكيل ولكنها
تتبع مملكة الإمام، وتقدر مساحتها بمسافة يومين طولاً، ويوماً واحداً عرضاً.
وفيها عامل معين من قبل الإمام، وهو نفسه شيخها، وهو الشيخ صالح بن
خليل، ويشغل - إضافة إلى كونه شيخ المنطقة وعاملها - منصباً كبيراً في جيش
الإمام. ومن أهم مدن وقرى هذه المنطقة:

Niebuhr, C. BVA. S. 251

(١)

(٢) أشار نيسور إلى أن مناطق ثلاث وحمدان وعمران وخمر، وهي مناطق تقع إلى الشمال من صنعاء،
تدخل ضمن مملكة الإمام إلا أنها لا تدفع شيئاً له، ويمكن اعتبارها من الناحية العملية مستقلة
مع ذلك فقد ذكر أنه كان عليها عمال من قبل الإمام. انظر - Niebuhr, C. BVA. S. 251 - 254.

- Medem (٢٠٠)، وهي مدينة صغيرة.

- قرية بيت النوم

- قرية تولوة.

- منطقة المكب (Mnakch) (٢٠٠)، التي يحفر سكانها منازلهم في الصخور.

منطقة عمران:

وهي أيضاً جزء من مناطق اتحاد حاشد وبكيل، وتتبع مملكة الإمام. وتقع

فيها مدينة عمران، وهي مدينة صغيرة مسورة، ومدينة الجند وهي أيضاً مدينة

صغيرة مسورة وهي غير الجند الواقعة قرب مدينة تعز (١).

منطقة حمر:

وهي منطقة صغيرة. لا تتجاوز حدودها حدود مدينة حمر نفسها. وهي

حرّة من منطقة اتحاد حاشد وبكيل، وتقع ضمن منطقة بني صريم. ويضطر

الإمام للإقامة على منطقة حمر ضمن مملكته إلى بذل «جهد كبير وأموال

مائلة» (٢).

٢. المناطق المستقلة عن مملكة الإمام:

إضافة إلى المناطق الإدارية السابقة والتي تقع ضمن مملكة الإمام تحدث

سيوز عن المناطق الخيمية المستقلة عن حكم الإمام معتمداً في ذلك اعتماداً

كثيراً على ما نقله من معلومات. إذ لم يتم زيارتها ومشاهدتها بنفسه.

وهذه المناطق هي:

إمارة عذ.

وهي إمارة صغيرة، يحدها من الجنوب البحر ومن الشمال مملكة الإمام

ومن الشرق يقع بعض الإمارات المستقلة الأخرى. وكانت تتبع مملكة الإمام،

(١)

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. 254.

(٣) حبر مدام

Niebuhr, C., BVA, S. 254.

(٤) هكذا كتبها سيوز بالأحرف العربية والأحرف اللاتينية. ولعلها المنقبة.

إلى أن انفصل
الإمارة هي مد
عدم تنظيم عل
وتدخل ضمن
ولا اعتماداً

حكاهما، معلو
يكون قد سم
إمارة كوكبان

تقع بين
والقرى والمنا

- مدينة كوكبان
على جبل

- مدينة شبام

- مدينة الطويل

- مدينة المح

- وادي لاعة

(٥) تختلف المع

السنوات ٢٨

ص ٢٢. وا

(٦) ذكر نيور

مأخوذة من م

الستان، وذه

BVA, 257

(٧) أشار ييو

والوصف

الذي س

إلى أن انفصلت عنها في الثلاثينات من القرن الثامن عشر^(*). وعاصمة هذه الإمارة هي مدينة عدن، وهي مدينة قديمة، ورغم أنها تعتبر مياة هاما، إلا أن عدم تنظيم علاقة حاكمها بجيرانه، قد أفقدتها أهميتها كميناء، إلى حد كبير. وتدخل ضمن حدود هذه الإمارة منطقتي لحج والفضل.

ولا تعتمد نيبور على مجرد السماع، فإن معلوماته، عن هذه الإمارة وعن حكامها، معلومات مشوشة. وقد اعتذر عند إيراده أسماء بعض المناطق بأنه ربما يكون قد سمعها بصورة غير دقيقة.

إمارة كوكبان:

تقع بين مملكة الإمام وبين بلاد اتحاد حاشد وبكيل. ومن أهم المدن والقرى والمناطق التابعة لها:

- مدينة كوكبان: وهي مقر حكام الإمارة، ويسمىها اليمينيون الحصن، لوقوعها على جبل منيع^(**).

- مدينة شبام^(***).

- مدينة الطويلة.

- مدينة المحويت.

- وادي لاعة: ويملكه السيد إبراهيم، أخو أمير كوكبان.

(*) تختلف المصادر في تحديد السنة التي استقلت فيها عدن عن مملكة الإمام فقد ذكرت مثلا السنوات ١٧٢٨ م و ١٧٢٩ م و ١١٤٥ هـ (١٧٣٢م) فاروق يعقوب، موكث شه حريز، ص ٢٢. والحبيشي، اليمن الحوي، ص ٩. والعبدي، هدية الرمز، ص ١٢٢، ١٢٣.

(**) ذكر نيبور أن اليمينيين يطلقون أسماء أخرى على بعض مدسهم، إلى جانب أسمائها الأصلية، مأخوذة من موقع المدينة أو من النشاط البارز الذي يمارسه سكانها. فصحاء تسمى "المدينة"، ونهر السنان، وثمار الحصان (لاشتمارها بترية: نخيول)، وزبيد المدرسة، وكوكبان الحصن، انظر: Niebuhr, C. BVA. 257.

(***) أشار نيبور إلى أن الجغرافيين العرب ربما قد خلطوا بين شام كوكبان وشام حصرموت. فالوصف الذي قدمه أبو الفداء، وكذا الإدريسي، لشبام حصرموت، يسو قريبا من الوصف الذي سمعه، أي نيبور، عن شبام كوكبان. انظر: Niebuhr, C. BVA 5 257.

بلاد القبيل أو منطقة حاشد وبكيل

في منطقة واسعة، تحدها الصحراء شمالاً (صحراء Arabia) ومنحدها وادي وكونج جوبا، ونحوه شرقاً، وأبو عريش غرباً ويحكم هذه المنطقة مشايخ كثيرون. كل منهم مستقل بحكمه منفرداً. وتحتل منها حصصاً منبكية الإمامة سوى همدان وعمران وخمر. ولأنه نوع المرق يؤثر على القدرة القتالية لحاشد وبكيل، فقد عقدت القبيلة تحالفاً عسكرياً بينهم. يتخصص تشكيل قوة مقاتلة واحدة في أيام الحرب، يفرد عنه محذرون من كلا القبيلتين.

ويذكر بجزء أنه قد اعتمد، اعتماداً كبيراً، في معرفة أسماء حكماء (مشايخ) هذه المنطقة، على ما كان قد استقاه من معلومات، من الهولندي، لثني غاش سوت، متقلاً فيها، وتعرف خلال ذلك على جميع مشايخه وبقيته تقريباً^(١). من الأسماء التي سنوردها عند حديثنا عن جيش حاشد وبكيل^(٢)

ومن المناطق والمدن والقرى التي تضمها منطقة حاشد وبكيل - منطقة الفراس Charres: تقع شمال صنعاء، وفيها مدينة الفراس Charres^(٣)، التي كانت مقراً للإمام المهدي أحمد بن حسن، وبها قبره^(٤).

(١) Nehab C. BVA. S. 249

(٢) هر من ١٢٣-١٢١ من هذا البحث

(٣) هكذا كتب سوت، وأصله منطقة الصحرية المعروفة بالمشية. انظر الرسي، الجزء الثاني، ص ٢٤

(٤) هكذا كتب سوت، ولعله يقصد بالأسم الأول منطقة سي الحارث، التي تقع في الفراس وقد تشبهت عليه كثير من الأسماء لاعتماده في كتابتها على السمع. انظر، ص ١٣-١٤ من هذا البحث

(٥) نبأ الإمامة عام ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦ م بعد وفاة عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وتوفي في حصن الفراس عام ١٠٩٢ هـ/١٦٨١ م انظر: الحارثي، المصنف، ص ١٧٩ وما بعدها.

منطقة ديسان : Desfan : وفيها مدينة ذيفان، وقرية الحطبة El Hattba .

منطقة بني علي .

منطقة بني حنيش .

منطقة بني السري .

منطقة بني جبر Beni Dsúbbár : وفيها تقع مدينة ذي بين، وهي مدينة صغيرة غير مسورة، قبر فيها الإمام المهدي أحمد بن حسين(*)، الذي لقبه البهمنون أبو طير(١).

منطقة غولة ابن حسين Ghula ibn Hossein .

منطقة بني قيس : ومن قراها ضمد وصبيا Sabbia .

منطقة ذو محمد .

منطقة سفيان : وفيها سوق الحرف وقرية بركان، وإلى هذه القرية يمكن السفر دون خوف، أما بعدها فلا يمكن السفر إلا في قوافل .

منطقة بني عصيمات .

منطقة وادعة : وفيها سوق وادعة .

منطقة بني صريم : وهي منطقة كبيرة، حتى يقال أنها تستطيع أن تحشد تسعة آلاف مقاتل. وأهم مدنها مدينة خمر، وهذه المدينة تتبع مملكة الإمام .
- قاع البون .

منطقة أبو عريش :

تقع هذه المنطقة في تهامة، وتمتد من حدود اللحية جنوباً، إلى الطوي

Niebuhr, C., BVA, S 262.

(١) دلي : الإمامة عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م واستمر فيها حتى وفاته عام ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م . انظر : الحرامى المنظف، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

Altoie شمالاً، أي بين خطي العرض ١٥.٥٠ و ١٧.٤٠ وكانت إلى عهد قريب تتبع مملكة الإمام. ومن أهم ماضيها ومدنها وقراها:

- مدينة أبو عريش: وهي العاصمة وباسمها سميت المنطقة، وفيها مقر الشريف، حاكم أبو عريش، وتبعد عن جيزان بمسافة يوم واحد.

- مدينة جيزان: تقع على البحر الأحمر، وفيها ميناء^(*).

- فري حرض ويحضر وصيبا. وتشتهر صيبا بحميرها الجيدة^(**).

- منطقة خت البقر: وتسكنها عشائر فقيرة عرف عنها «أنها تحب أن تخفف عن المسافرين عبء ملابسهم»^(١).

وتتبع أبو عريش بعض الجزر الصغيرة. وقد كانت علاقة شريف أبو عريش بالإمام علاقة سيئة. فقد أشار (نيبور) إلى أن الشريف لم يكن يقابل الأتائب مقابل جيلة، وخاصة رعايا الإمام^(٢).

المنطقة الفاصلة بين أبو عريش والحجاز:

في المنطقة الواقعة بين حدود أبو عريش وحدود الحجاز، أي بين خطي العرض ١٧.٤٠ و ١٨.٣٠، تعيش عشائر بدوية تحكم من قبل مشايخها.

منطقة خولان

ذكر نيبور أن الشريف الإدريسي قد حدد هذه المنطقة، بأنها تقع على بعد أربعة أيام من خليج. في منتصف الطريق بين مكة وصنعاء. وأنه، أي نيبور، لم يتلق معلومات عنها، أكثر من أنها تقع شرق صنعاء، وأنها لا زالت

(١)

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. 268.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 244

(*) ذكر نيبور أن مكان الساحل الإيريقي الشرقي يسمون شريف أبو عريش بشريف جيزان، تمتد منه يسمى الأول: ويورد إمام اليمس إمام المخا وإمام عمان إمام مسقط، وذلك لأهم لا يفرقون من هذه البلدان سوى موطنها المذكورة. انظر: Niebuhr, C., BVA, S. 268.

(**) حل نيبور يشير بذلك إلى الحمير الصيبانية، وهي حمير مشهورة في اليمن.

تسمى خولان. وتشتمل على مناطق وقرى، منها حيدان وسوق الجمعة وعفة
مسلم.

منطقة Sahan (*) :

هي منطقة جبلية واسعة، تقع بين بلاد حاشد وبكيل وبين الحجاز. وأهم
مدنها صعدة، وهي مقر السيد حسن بن يوسف بن حسين، من أنسال الإمام
الهادي، ويسمى نفسه إماماً، ولكنه لا يحكم سوى رقعة صغيرة، بينما يحكم
الشايع معظم أجزائها. ومن أهم المناطق التابعة لها:

منطقة أم ليلة وصحراء Amasia، وبركة سويدان، وكذاد.

إمارة نجران:

تبعد إمارة نجران عن صنعاء بمسافة ثلاثة أيام، وهي إمارة مستقلة
يحكمها الشيخ المكرمي. وأهم مدنها مدينة نجران وهي العاصمة، وللوصول
إليها من صنعاء يمر المسافر بالمناطق التالية: ذيفان وغولة وحوث وسوق الحرف
و Neseif و Amasia وصعدة ويام و Minneschid.

إمارة قحطان:

لم يستطع نيبور أن يعرف عن إمارة قحطان، أكثر من أنها تقع على
مسافة ثلاثة أيام من نجران، وأنه يحكمها شيخ مستقل، وأنها كذلك تشتهر
بترية الخيول.

منطقة الجوف:

تحدها إمارة نجران ومنطقة حاشد وبكيل وحضرموت وعمان. ومعظمها
سهول رملية. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: بلاد البدو، وبلاد السلاطين، وبلاد
الشريف. ومن أهم مناطقها ومدنها وقرائها:

(*) ربما يقصد نيبور سحار، ويبدو أنه قد أخطأ في معرفة الاسم كما أخطأ في تحديد موقع
هذه المنطقة.

- مدينة مأرب وهي المدينة القديمة، التي كانت ذات يوم عاصمة السنين
وقد سمى اليونان مربية أو مربية. ولا زالت تعتبر أهم مدن الجوف.

- مدينة حريب.

- منطقة يبحان.

- منطقة نصاب.

- منطقة مرخة.

- منطقة عبر.

- منطقة مراد.

- منطقة نهم.

هي منطقة صغيرة يحكمها شيخها الذي يقال عنه أنه رجل مقاتل شديد
الدس^(١) مما يجعل الإمام حريصاً، باستمرار، على كسب صداقته.

منطقة خولان:

تقع هذه المنطقة على بعد أميال قليلة جنوب شرق صنعاء، وهي غير
مطقة حولان السالفة الذكر. ويعمل شيخها في جيش الإمام برتبة نقيب، ولذا
فإن معظم إقامته في صنعاء^(٢) ومن مناطق ومدن وقرى خولان:

- مدينة نهم^(٣).

- منطقة بيت الكبسي Beit el Kibsi.

- معس القرى، التي أصبحت تتبع مملكة الإمام، وكانت من قبل تتبع خولان،
مثل زواجة وسيلان.

(١)

(٢) يبدو أن معلومات جوس عن خولان وامتدادها كانت ماقصة فهو يصورها منطقة صغيرة يحكمها

شيخ واحد وظهر الإمام في جيشه

(٣) حور بيور أن يجد تشابهاً بين اسم نهم واسم تمنا عاصمة القتيانيين.

منطقة يافع:

تحتلها مناطق عدن والحجرية وقعطة ورداع وحضرموت. وقد كانت تتبع مملكة الإمام ولكنها انفصلت منذ حوالي ثمانين عاماً^(*). وهي مقسمة إلى ثلاث مناطق، كل منطقة منها يحكمها سلطان:

- السلطان البياض El Beiād وعاصمته مدينة Medjerbe، الواقعة إلى الجنوب من مدينة رداع.

- السلطان علي بن قحطان، وعاصمته مدينة الموسطة Mināka، الواقعة إلى الجنوب من مدينة قعطة.

- السلطان علي بن سيف، وعاصمته مدينة القارة، وتبعه مدينة البيضاء.

وقد امتدت حدود يافع إلى بعض مناطق حضرموت، كمنطقة الشحر

منطقة حضرموت:

أفرد نيبور لحضرموت فصلاً خاصاً في كتابه (وصف بلاد العرب) BVA. ومع ذلك فقد أكد أن حضرموت، كانت جزءاً من بلاد العربية السعيدة، وأخذ يتحدث عنها كجزء من اليمن، ولم يميز بينها وبين اليمن، باستثناء وضعها تحت عنوان منفصل، سواء من الناحية التاريخية، أو الجغرافية، أو الاقتصادية. وقد أشار أيضاً إلى أن المهرة هي جزء من حضرموت.

وتنقسم حضرموت إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول، هو بلاد البدو، الذين يعيشون في الخيام حياة البداوة، والقسم الثاني، هو بلاد الفائل، التي تعيش في المناطق الجبلية، وتحكم من قبل العديد من المشايخ والولاة المستقل كل منهم عن الآخر. ويعتبر شيخ مدينة شبام واحداً من أقوى المشايخ. وقد ذكر نيبور أنه لم يسمع عن شبام من المعلومات، أكثر من أن المسافر

(*) بالنسبة إلى عام ١٧٦٣ م، وهو العام الذي زار فيه نيبور.

وانورد نيور
مختار، ولا يعرف
بحوض نحصرمي
في نيس. مهمة
وقد لاحظ
في حميرة لأصل
نحش عن بلاد بق
بحر الأحمر، في
في الغرب. وقد ع
في مدينة ظفار
نهره^(١).

٤. الجيش:

إضافة إلى
بحرية، تحدث
تحدث عن وجود
أه جيش الإمام:
لدى الإمام
لذا يصعب على
فرد المشاة في
منهم من حاشد و
لشايخ والسادة.

يستقر في سره ثمانية أيام، من صنعاء إلى مأرب. ثم عشرة أيام، من مأرب
إلى شبم. وتقع حضرموت إلى جانب شبام مدناً كثيرة منها:
مدينة دوعس. وتبعد عن صنعاء بمسافة خمسة وعشرين يوماً. وشيخها اسمه
سعيد بن عيسى العمودي.

- مدينة قيدون.
- مدينة ظفار: وهي مدينة مشهورة وميناء هام، ويحكمها شيخ مستقل.
- مدينة قش: وهي ميناء أيضاً. وشيخها يحكم جزيرة سقطرة. وتبعية هذه
الجزيرة لحضرموت قديمة جداً، فقد أشار إلى ذلك المؤرخ (أريانوس
Arrianus)^(٢)

- موانئ: لم يستطع نيور أن يعرف عنها أكثر من أسمائها، مثل: ريفوت
وفرنك.

- مدينة (عينات Ainad): وقد ذكر نيور أن أحد سكان حضرموت قد أخبره
في سقط أن مدينة عينات والمنطقة التابعة لها تحكم من قبل شيخ مستقل.
ولكنه (أي نيور) قد استج، من خلال إجابات الرجل نفسه، على أسئلة
أخرى، وجهها إليه، أن هذه المدينة، والمنطقة التابعة لها تتبعان أحد
سلاطين باقع. ويوجد في القرب من عينات قبر النبي هود. وتقام زيارة سنوية
لهذا القبر، في شهر شعبان، يحضرها الناس من مختلف مناطق حضرموت.
ويعتقد نيور أنه وربما يقام في هذا الوقت من السنة سوق كبير، إذ إن الحج
إلى هذا القبر قد يكون يفرض البيع والشراء أكثر مما هو يفرض إحياء ذكرى،
موت عليها آلاف السنين^(٣).

(١) أريانوس هو مؤرخ من بيبثيا، وهي إقليم قديم في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، وتعتبر الآن
جزء من تركيا. عاش في القرن الثاني الميلادي، وله كتابات تاريخية أشهرها «تاريخ الإسكندر».

(٢) Niebuhr, C., BVA, S 288

(٣) انظر الموسوعة، ص ١٦٦، ١٦٧

(١)

(٢) انظر منشور

وأورد يسور أسماء العديد من المدن، التي ذكر أنه غير متأكد من
 صحتها، ولا يعرف إن كانت تتبع حضرموت أم لا؛ وقد أورد كما سمعها من
 بعض الحضرمي المشرقية ص. و ترك لمروحة، التي يمكن أن يكون هذه
 هي الجبل، مهمة التأكد من صحتها. ومما تريمه وسيتون

وقد لاحظ يسور أن هناك تشابه بين أسماء مدن بسمية. يعتقد الجييون
 + حميرية لأصل، وبين الأسماء، التي ذكرها موسى في سورة، عدم
 بحث عن بلاد يقطان، أو فحطاب، الممتدة من مدينة Men^(*) الواقعة على
 بحر الأحمر، في الشرق، إلى مدينة Dotat^(*)، الواقعة على المحيط الهندي،
 في الغرب. وقد عر يسور عن عتقده أن Men هي مورق الحنية. وأن Dotat
 هي مدينة ضفار وومن هنا يبدو أن مملكة يقطان كانت تمتد من تهامة إلى
 نهر^(*).

٤. الجيش:

إضافة إلى ما نعرفه عن استخدام الأتمة لرحال نقتال في العمليات
 لغربية، تحدث يسور عن وجود جيش عامل لدى الإمام المهدي عس كما
 تحدث عن وجود جيش قبلي يتبع اتحاد حشد وبكيل.

أ. جيش الإمام:

لدى الإمام جيش عامل ولكنه ليس مقسماً إلى كتائب كما في أوروبا،
 لذا يصعب على الرحالة أن يحصل على معلومات وافية عنه ويقدر أن عدد
 أفراد المشاة في هذا الجيش، أيام السلم، بأربعة آلاف جندي، نحره لأكثر
 منهم من حاشد وبكيل، وعدد الفرسان بألف فارسي. ويتولى بقيادة عدد من
 لشايخ والسادة. منهم:

١- الشيخ صالح بن حليل، شيخ همدان. وهو كما يلقبه يسور الجنرال الاول في الجيش. وفي موضع آخر يوضح نيسور أن الجنرال يسمى في اليمن بقب. ويذكر يسور أن الشيخ صالح هو أحد رعايا الإمام، لتمييزه عن بعض المشايخ، الذين يتمون إلى مناطق لا تخضع لحكم الإمام.

٢- الشيخ حميد الوادعي، وهو أحد مشايخ وادعة، أي من منطقة حاشد وبكيل، فهو إذن - كما يقول نيسور - «غريب»^(١)، أي ليس من رعايا الإمام.

٣- الشيخ أحمد بن حيش Hobeisch، وهو من سفيان «فهو أيضاً أجنبي»^(٢)، حسب تعبير نيسور.

٤- الشيخ راحح الخولاني، شيخ وحاكم خولان، وهو أيضاً ليس من رعايا الإمام.

ويتولى قيادة الفرسان النقيب خير الله، الذي كان عبداً من عبيد الإمام ثم أعتق. وهناك أفراد آخرون كانوا من قبل عبيداً ثم أصبحوا نقباء في الجيش. مهم: النقيب سالم، والنقيب ربحان، والنقيب يعقوب.

ويسمى كل قادة الجيش نقباء، فليس هناك لقب عسكري أعلا من هذا اللقب. وتلي رتبة النقيب رتبة البيرقدار، أي حامل العلم، ثم رتبة الشاوش، وهو الذي يتولى عملية التدريب. وهناك أيضاً «الصراف». الذي يتولى تزويد الحنود بالبنادق والرصاص والبارود^(٣). ويذكر نيسور أنه لم يسمع عن رتب عسكرية أخرى في جيش الإمام.

ويبدو من حديث نيسور كما لو أن الجندي في سلاح الفرسان ليس له عمل عسكري في أيام السلم إلا امتطاء صهوة حصانه، الذي يحضره له السائس

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C. BVA. S. 211

Niebuhr, C., BVA. S. 211.

Niebuhr, C., BVA. S. 211.

من اسطبل الدولة، ومرافقة الإمام أو العامل إلى المسجد في أيام الجمع والأعياد^(١).

وما عدا ذلك فإنه يمارس أعمالاً مدنية عادية، فيذهب للعمل في الحقل مثلاً. وليس له لباس رسمي موحد، بل يرتدي ما يتوفر لديه من ملابس^(٢). ولكن الجنود بشكل عام يكلفون بمهام الحراسة لدى الحكام أو في الغلاء والأبراج^(٣).

وقد لفت نظر نيبور سلوك الجنود، وهم يرافقون الحكام إلى المسجد، إذ كانوا يسبرون صفوفاً متتالية، كل صف يتكون من ستة إلى سبعة جنود، يرفع كل منهم جنبه أو بندقيته عالياً، وينشدون معاً، ويشنون وثبات ذات اليمين وذات الشمال بصورة «تجمل المرء يعتقد أنهم إما مهووسون أو سكارى. ولكن ربما أن هذه الأناشيد والحركات عادة قديمة، الهدف منها إثارة الحماس في نفوس المقاتلين»^(٤). وعندما يوصلون الحاكم إلى داره، يطلقون أمام الدار عبارات نارية، إلى الهواء، بصورة عشوائية.

ب. جيش حاشد وبكيل:

تحدث نيبور عن حاشد وبكيل تحت اسم (اتحاد حاشد وبكيل). وكانت منطقة حاشد وبكيل منطقة مستقلة عن مملكة الإمام يحكمها منبغ عديدون ولا تخضع منها لسلطة الإمام سوى همدان وعمران. ولأن حاشد وبكيل كانت لا تستطيع أن تقف في وجه الإمام وهي مجزأة، فقد اتفق مشيخه على أن يتحدوا في حربهم ويكونوا جيشاً واحداً لهم. واختاروا عدداً مهم لبثوا قيادة عملياتهم العسكرية، ولقب كل من هؤلاء القادة العسكريين بنقيب نقيب.

Nichols C. BVA. S 211

Nachulu CS. BVA S 212, 213

Nachulu C. BVA S 213

Nachulu C. BVA S 214

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

ونما كان نيسور غير قادر على الحصول على معلومات مباشرة عن هذا الحبيب العسكري، فقد اعتمد على رواية الرجل الهولندي، الذي كان قد عاش سنوات منفلاً في منطقة حاشد وبكيل، وأورد بعض أسماء قادة جيش حاشد وبكيل ومنهم^(١):

- ١- النقيب قنم بن علي الأحمر^(٢). من منطقة بني عصيمات.
- ٢- النقيب ماجي بن ناصر بن غيلان. من منطقة برط.
- ٣- القاضي حسن. من منطقة برط.
- ٤- النقيب حسن المراني. من جنوب منطقة برط.
- ٥- النقيب أحمد بن صالح بن حبش. من منطقة سفيان.
- ٦- النقيب هادي بن علي بن حبش. من منطقة سفيان.
- ٧- النقيب صالح بن ناصر. من منطقة بني خيار.
- ٨- النقيب أحمد بن قاسم. من منطقة وادعة.

ويشتهر رجال حاشد وبكيل بأنهم مقاتلون شجعان. ويعمل كثير منهم ضمن قوات الإمام، وكذا ضمن قوات شريف مكة^(٣). ويخشى الإمام منهم كثيراً، إذا هوجمت منطقته من قبل مشايخ حاشد وبكيل، إذ سرعان ما يعلن جرده، المستمون إلى حاشد وبكيل، تمردهم وانضمامهم إلى قبائلهم.

ويعمد بعض البشيين، لإظهار شجاعتهم في الحرب، إلى ثني إحدى الساتين وربطها إلى الفخذ، ثم يستمرون، وهم في هذا الوضع، في إطلاق النار على العدو حتى ينسحب أو يقتلون^(٤). وقد سمع نيسور عن هذا السلوك

(١) انظر.

(٢)

(٣)

Niebuhr, C., BVA, S. 285.

Niebuhr, C., BVA, S. 259.

Niebuhr, C., BVA, S. 214 - 215

(٤) ذكر أخوه النقيب أحمد قائلاً بارأراً في جيش الإمام المهدي عباس، ثم أعدمه الإمام.

Niebuhr, C., BVA, S. 197 FF.

وكذا ص ٢٨٢ وما بعدها من هذا البحث.

عندما كان لا يزال في مدينة اللحية، وظن ذلك نوعاً من المبالغات. لكنه سمع
عن ذلك بصورة متكررة أثناء رحلته. وقد أشار إلى أن هذا السلوك قد حدث في
حروب قريبة العهد، كالحرب التي شنها جنود الإمام على تهامة قبل سنوات
قليلة، وكالحرب التي نشبت بين الشيخ المكرمي، حاكم نجران، وبين شريف
أبو عريش^(١).

جـ. التسليح:

يستتج المرء، من كتابات نيبور، أن الشعب اليمني شعب مسالم،
وغير خطر، وأنه مع ذلك شعب مسلح بشكل عام. ويقدم لنا صورة عن السلاح
الفردى للمواطن اليمني في تهامة، من خلال حديثه عن سلاح مرافقه، الذي
كان يرافقه أثناء تجواله في تهامة. فقد كان مسلحاً، إضافة إلى الجببة،
بالسيف والترس. أما الأفراد، الذين لا يستطيعون أن يمتلكوا سيفاً، فإنهم
يحملون عادة رمحاً صغيراً أو فأساً. كما يتسلح البعض بالمسدس والبدقية.
دات الفتل^(٢). وهذا السلاح هو نفسه موجود في الجوف. ويضاف إليه بالسة
للمواطن في الجوف ملابس خاصة بالحرب، وهي عبارة عن قميص أو صدرية،
مصنوعة من أسلاك الحديد الدقيقة، وخوذة مع رداء، مصنوع من أسلاك الحديد
أيضاً، إذا زررت غطت الوجه تماماً، ما عدا العينين^(٣). ورغم أن نيبور لم
يذهب إلى الجوف، فقد قدم وصفاً لهذه الملابس، من خلال رؤيته لها مع
رجل، كان قادماً من الجوف. وذكر أن جنود الإمام لا يستعملون هذه
الملابس.

ولا يختلف تسليح الجيش عن تسليح المواطن العادي، اختلافاً كبيراً،
فالسلاح الجندي الفارس يتكون من رمح، يحمله عادة السائس، ومن سيف

Niebuhr C. BVA. S. 214 - 215

Niebuhr C. RB. Bd. 1, S. 322

Niebuhr C. BVA. S. 216

(١)

(٢)

(٣)

وترس وحية، وبعض الحود نديهم مسدسات^(١). أما الحندي العادي. أي جندي المشاة، فيكون سلاحه من السيوف والترس والرمح، ويحمل سلاحه هذا كله أسير، وحتى عند دهبه لتعمل في الحقل.

وعند حديث بيور عن الحندي في الحرب، يذكر أن الحندي يحمل بندقة^(٢). كما أشير أيضاً إلى أن ليحيى قد بدؤوا، منذ سوات، يصنعون البندق، إلا أنها لا زالت رديئة النوعية^(٣). ولم يشاهد نيبور لدى المواطنين أو لحود وجود القوس أو المقلع^(٤). وتستخلص من ذلك أنه أن تسليح الجيش كان يتكون من السيوف والرمح والترس والمسدسات والبنادق. أما المدافع فله نكي أنه حرب أسسية، إذ أن الجيش لا يصطحبها معه^(٥). ويكتفي الحود، وهم متجهون إلى المعارك، بحمل البندقة، التي لا تثقل كواهلهم كثيراً. وما عد ذلك فإن الحندي يسير بملابس غاية في البساطة، إلى درجة يبدو معه كما لو كان غريباً. أما المواد الغذائية والمستلزمات الضرورية، فتحمل على ظهور الحمال^(٦).

فإن الحرب الأسسية إذن هي البندقية، إضافة إلى الأدوات التقليدية السبعة كأسب والرمح... إلخ. ولكن هذا لا يعني عدم وجود المدافع فيليبس، فقد تحدث بيور عنها مراراً، حيث صادفها في بعض بوابات المدن وفي المقلع، وهي قنبلة على أي حال، وتستعمل عادة في الأعياد والمناسبات، حيث يتم تشجيع من قبل أفراد من جنسيات مختلفة: أتراك وهنود وأوروبيون^(٧). وقد قسم بيور وصفاً لحظيرة المدافع، أو جربة المدافع،

Niebuhr, C., BVA, S. 212.

Niebuhr, C., BVA, S. 273

Niebuhr, C., BVA, S. 217

Niebuhr, C., 214

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 318, 362, 363

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 273.

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 215 U' RB Bd 1, S. 36

كما سماها، وهي موجودة داخل قلعة صنعاء، حيث قال: «وها رأيت شيئاً، في حنفية غير متوقع، وهو مدفع ألماني قديم مصنوع من معدن الميثال، مكتوب عليه 1513 Torg. Selos. Gios Mich. وعليه أيضاً بضعة أسطر بالحط المسمى حط الرهبان، ولكنها قد انطمست مع مرور الزمن. كما رأيت سنة إلى سعة مدافع مصنوعة من الحديد وقد ترك معظمها مرمي على الرمال، وما تبقى منها كان موضوعاً فوق قواعد محطمة»^(١). وإلى جانب هذه المدافع كان يوجد مدفعان على كل بوابة من أبواب صنعاء، الرئيسية الثلاثة: باب اليمن وباب شعوب وباب السبع، تستخدم في الأعياد والمناسبات. ويصف نيبور هذه المدافع التي رآها في صنعاء بقوله: «وهذه جميعها مدافع رديئة، وهي كل ما يمكن أن يجده المرء في عاصمة مملكة الإمام»^(٢). أما السلاح البحري فلم يكن له وجود، إذ إن الإمام لم يكن يخشى شيئاً من جهة البحر، ولم يسمع بسور عن وجود قراصنة في سواحل الجزيرة العربية، لهذا لم يكن هناك ما يدفع الإمام إلى امتلاك سفن حربية^(٣).

وقبل أن نختم حديثنا عن التسليح، نود أن نشير في هذا السياق، إلى أن نيبور قد ذكر، أن اليهود والهنود، لم يكن يسمح لهم بحمل السلاح، في حين كان يسمح بذلك للأوروبيين^(٤)، ويمكننا أن نفترض أن ذلك يرجع إلى أن اليهود والهنود كانوا يعاملون كمواطنين ذميين، لا علاقة لهم بالحرب والقتال. أما الأوروبيون فلم يكونوا مواطنين، بل كانوا يأتون كزوار عابرين، إما كرحالة أو كتجار، لا يلبشون أن يغادروا البلاد.

د. النظام الدفاعي:

يمكننا أن نستخلص من مشاهدات نيبور، أن النظام الدفاعي في اليمن

Niebuhr, C. RB, Bd 1, S. 421. (١)

Niebuhr, C. RB, Bd 1, S. 421. (٢)

Niebuhr, C. BVA, S. 215 (٣)

Niebuhr, C. BVA, S. 67 (٤)

وحصن القاهرة
لحصن. وفي
بجانب على بابي
مدافع في تعز
أما صنعاء
من أبوابها بالمد
وإن كان وصف
لهذه القلعة. وأن
اليمن بمجمله،
هذا البلد، حين
لها^(٦).

هـ. التدريب:
لا نستطيع
كما يبدو، شك
نيور، في س
أعمال التدريب
التدريب، انطباع
الجنود - الفرسان
المدن تقريباً، و
ويعدون بأحص
المسكينة^(٣).

كان يتكون من ملاقع ولحصون ونسور للمدن. وأنه تكرر التحديق حراً من هذه
النساء، فم يذكر بسور سوى حديق صغير شاهده في مدينة المنية
ونفذه له بعض عذارته، التي ترد صر سيق وصفه للمدن، وفكرة
واضحة إلى حد ما عن نظام الدفاعي حول المدن

وهي لمنية شاهد حول المدينة التي عشر برحاً وتسه أبراج المراصد في
المناب. إلى حد كبير^(١)، يقف الحراس في أعلاه. ولها أبواب عالية،
لا يمكن الوصول إليها إلا باستخدام السلم المتحرك. ومعظم هذه الأبراج
تصنع للدفاع ضد السارق فقط. وهي غير مزودة بمدافع، باستثناء برجين منها.
وأما شبر من أبراج حديق صغير لا أهمية له. وهذا النظام الدفاعي حول
مدينة المنية، بناءً - في رأي نيسور - ضعيف إلى درجة أن مقاتلي حاشد
ويكبر قد تمكنوا قتل سوات، من إقحامه بسهولة^(٢).

وفي حديثه عن مدينة المحاء، ذكر أن المدينة محاطة بسور. وأن هناك
بعض الأبراج التي تسمى هنا فلاء^(٣)، منتشرة بين المدينة وبين بير البليلي،
الواقعة على طريق قرية موزع. وهناك قلعتان على جانبي الميناء، زودتا
مدافع. وتسمى إحدهما - وهي أكبرهما - (قلعة طيار)، نسبة إلى الولي
المفطور حسب. أما الأخرى فتسمى قلعة عبد الرب، وعبد الرب هذا هو ابن
الشيخ الشافعي. ويوجد قبره داخل القلعة^(٤).

وفي مدينة تعز شاهد نيسور حصن القاهرة، الواقع على مرتفع صخري
شديد الانحدار، بلغ ارتفاعه، كما قدره بالعين المجردة، حوالي ٤٠٠ قدم.
ويحيط بالحصن سور مني في بعض أجزائه من جدارين. وتشكل مدينة تعز

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 306

Niebuhr, RB, Bd. 1, S. 306 - 307.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 438.

Niebuhr, C. RB, Bd. 1, S. 438.

(١)

(٢)

(٣)

وحص القاهرة امتداداً دفاعياً واحداً، حيث يصل سور المدينة إلى حافة
لحصن. وفي سور تمر عدد من الأبراج، زود برجان منها فقط بالمدفعية، وهما
يحلان على بابي المدينة الرئيسيين: باب الشيخ موسى والباب الكبير. ولا توجد
مدافع في نعر إلا في هذين البرجين وفي حصن القاهرة^(١).

أما صنعاء، العاصمة، فهي محاطة بسور وأبراج. وقد جهزت ثلاثة أبواب
من أبوابها بالمدفعية - كما أسلفنا - ويفترض أن تلعب قلعة صنعاء دوراً دفاعياً،
وإن كان وصف نيبور ل سلاح المدفعية فيها، يجعلنا نشك في القدرة الدفاعية
لهذه القلعة. وقد ساور نيبور الشك نفسه في فعالية هذا النظام الدفاعي في
اليمن بمجمله، وهو يشاهد الأبراج والقلاع، التي قال عنها: «إنها تعتبر قوية في
هذا البلد، حيث لا يصطحب الجيش مدافع معه، وإلا فإنها في الواقع لا قيمة
لها»^(٢).

هـ. التدريب:

لا نستطيع أن نتحدث عن نوعية التدريب العسكري، فلم يكن هناك،
كما يبدو، شكلاً من أشكال التدريب الحقيقي، رغم بعض الإشارات من
نيبور، في سياق حديثه عن الرتب العسكرية حيث ذكر أن (الشاوش) يباشر
أعمال التدريب. إلا أن نيبور نفسه، يترك لدينا، وهو يصف عمليات
التدريب، انطباعاً بعدم وجود تدريب عسكري حقيقي، إذ يقول: «عندما يرجع
الجنود - الفرسان من المسجد ويصلون إلى ساحة كبيرة، يجدها المرء في كل
المدن تقريباً، وهي تقع عادة أمام منزل العامل، يمسك بعضهم برماحهم عالياً
ويعدون بأحصيتهم، بعضهم وراء بعض. ويمثل هذا كل تدريباتهم
العسكرية»^(٣).

Niebuhr, CS RB, Bd 1, S 378

Niebuhr, C RB, Bd 1 S 318.

Niebuhr, C., BVA, S 212

(١)

(٢)

(٣)

وقد شهد نيور هذه التمريرات مراراً، ولكن فصل مرارة كان في مدينة
 نجيحة حيث كان ضمن تمثيل كبير في التمرير عامل النجحة، الأمير فرحان
 ودمي نجيحة وبعض المحايين^(١).

٥. العربيات

كان نحتدي بقاضي مرتبة شهرياً، مقدرة زياتين ونصف^(٢)، وقد اعتبرت
 الإمامة نحتدي خمس لمعة التميزركية. عند وصولها صغاء، بأنه لن يستطيع
 مدسها خلال الأيام التالية، لاشعاعه بدفع مرتبات الجنود، من قبائل حاشد
 ويكيل^(٣).

أما في المدن الأخرى، حيث يوجد عمال، فإن مرتبات الجنود تصرف من
 دخل المضاف التي يحكمونها، كل في منطقته^(٤).

٥. القضاء

كانت تجربة نيور مع القضاة في اليمن تجربة إيجابية، لذا فقد تحدث
 عنهم سروراً إعجاب واضحة، هي المحاء، وبعد أن كانت البعثة قد وصلت إلى
 حانة من لإرهاق والبأس، بسبب ما تعرضت له من معاملة قاسية، في جمر ك
 ليمياء. وطردت من المنزل الذي كانت قد استأجرته، ولم يتجرأ أحد من
 الأهلي أن يؤجره مرله، تحمل القاضي لمساعدتها. ولتقرأ كلمات نيور عن
 تجربته الأولى هذه مع القضاة: «إن معظم القضاة في تركيا، في نظر الناس،
 انهم يرون مع القضاة يسيرون قد سمعنا عنهم أشياء كثيرة. وكان قاضي المخا
 هي جانب ذلك حسن حديث وقد جئنا بصاحب المنزل إليه، وتحدث معه،
 وأكد أنه يستطيع أن يؤجر لنا منزله دون أن يخشى شيئاً^(٥)».

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 387 U. BVA, S. 212

Niebuhr, C., BVA, S. 213.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 412.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 210

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 305.

كما تحدث نيبور بإعجاب عن قاضي تعز، الذي كان «طيباً ورجلاً نجاعاً»^(١)، وكيف تدخل لمساعدة البعثة، وإيقاف محاولة الإبتزاز التي مارسها العامل تجاهها. فقد كان سلوك العامل غريباً، فمرة يوافق على سفر البعثة إلى صنعاء، بناءً على أوامر الإمام، ومرة يرجع عن موافقته، ويرفض السماح لها بالسفر. كل ذلك في محاولة للضغط عليها، وإجبارها على تقديم بعض الهدايا أو النفوذ له. وهنا يلح أحد المواطنين للبعثة، إلى أن القاضي يستطيع أن يساعدنا. فتتجه البعثة إليه، وتطلب منه مساعدتها. فيتدخل فعلاً، ويطلب من العامل، أن ينفذ أوامر الإمام بالسماح للبعثة أن تغادر تعز إلى صنعاء، وأن لا يكون طماعاً. ويكرر نيبور هنا أيضاً تأكيداً، بأنهم (أي أعضاء البعثة) قد سمعوا «أشياء طيبة كثيرة» عن القضاة اليمنيين^(٢). ويواصل القاضي الوقوف إلى جانبهم، فيزودهم بمرافق أمين، بناءً على طلبهم، أصبح موضع ثقتهم، وظل معهم حتى عادوا إلى المخا^(٣). وعند مغادرة البعثة مدينة تعز، حملها القاضي رسالة إلى وزير الإمام، الفقيه أحمد النهمي، قال نيبور أنها قد تضمنت فيما تضمنته: لا تصدق إذا أخبرك أحد بأشياء سيئة عن هؤلاء الفرنج^(٤)، ويختم بيبور حديثه عن تجربة البعثة مع قاضي تعز بالعبارات التالية: «لقد أعجبتنا إعجاباً كبيراً بعدالة القضاة المسلمين وتعاونهم، وكنا قد قررنا أن نهدي له ساعة، كما أهدينا صديقنا الأمير فرحان في اللحية. ولكن حتى الخادم، الذي كلفه القاضي بمرافقتنا، أكد لنا أن القاضي لن يقبل منا الهدية، وذلك حتى لا يبدو وكأنه لم يكن عادلاً في تعامله معنا، إلا لمصلحة الشخصية. بل وأكد أيضاً أن القاضي سوف يأخذ الأمر بمأخذ سيء، إذا نحن قدمنا هدية له. وهنا لم يبق لنا ما نقدمه لذلك الرجل الطيب إلا عبارات الشكر والامتنان. أما أنا،

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 385.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 391.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 392.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 393.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

على وجه الخصوص، وباعتباري الشخص الوحيد الذي قدر له أن يعود حياً إلى أوروبا، فإني أجد نفسي ملزماً أدبياً، أن أتخذ منه مثلاً، للتدليل على أنه ليس كل القضاة العرب مستغلين بالصورة نفسها المعروفة عن القضاة الأتراك المستغلين، وهي صورة قد لا تكون بعيدة عن الحقيقة^(١). وإلى جانب ما نقله نيبور عن تجربته المباشرة مع القضاة، تحدث عن جانب من نظام القضاء في اليمن. فهناك قاضٍ في كل مركز من مراكز المناطق الإدارية، وربما أن هؤلاء القضاة يتبعون المحكمة العليا في صنعاء، كما هو الحال في تركيا، حيث يعمل جميع القضاة تحت إشراف المفتي في القسطنطينية. والقضاة في اليمن، كما في تركيا، يحكمون في المسائل الدينية والدنيوية، ولا يملك العامل نقض أحكامهم، تماماً كما لا يملك الباشا في تركيا أن ينقض حكم القاضي. ويحفظ القاضي في اليمن، عادة، بوظيفته طوال حياته. أما في تركيا فكثيراً ما يعزل القضاة من وظائفهم^(٢).

وإلى جانب القضاة الذين يمارسون أعمالهم في مراكز المناطق الإدارية، كاللجنة وبيت الفقيه وتعز ويريم. إلخ. . . هناك محكمة عليا في صنعاء^(٣)، مشكلة من سبعة قضاة، ورأسها السيد يحيى بن محمد، وأبرز أعضائها: القاضي محمد ملحان Mohammed Melhān، والقاضي عبد الله، والقاضي محمد حطبة Mohammed Hattaba^(٤). ويتبع رعايا الإمام السنيون من الناحية القضائية مفتي زيد، وهذا يتبع المحكمة العليا في صنعاء، التي تعمل تحت سلطة الإمام مباشرة. ولا يحق للإمام أن يصدر حكماً بإعدام أحد، فأحكام

(١)

Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 393.

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. 208.

(٣)

Niebuhr, C., BVA, S. 205.

(٤) استقى نيبور المعلومات المذكورة عن المحكمة من عالم هندي قابله في الهند، كان قد أمضى سنوات في كاثيبيد. وكان نيبور أثناء وجوده في اليمن قد سمع أن المحكمة العليا تضم أكثر من عشرين قاضياً يرأسهم الإمام.

Niebuhr, C., BVA, S. 205 - 206.

الإعدام تصدرها المحكمة العليا. ومع ذلك فإن الإمام - إذا كان مستبدًا - لا تعوره الحيلة في تنفيذ إرادته. فليس هناك إلا قلة من القضاة يمتلكون الحرية في الوقوف ضد مشيئة الإمام. لهذا فإن الإمام يستطيع أن يمرر الحكم القضائي الذي يريده، إذا ضمن الشخصيات الرئيسية من القضاة، وخاصة أن من صلاحياته تغيير القضاة وموظفيهم، مما يجعلهم في موقف ضعيف ويجبرهم على النطق بالأحكام التي يطلبها منهم^(١).

٦. الفساد الإداري:

لم يتحدث نيسور عن الفساد الإداري. ولا شك أن ظاهرة الفساد الإداري تبدو أكثر وضوحاً، كلما أصبح الجهاز الإداري أكثر تعقيداً، وزاد تعامل المواطنين معه، وهو أمر لم يكن متحققاً عند زيارة نيسور لليمن؛ فقد كانت البلاد تدار بواسطة الإمام وممثليه، بأسلوب بسيط ومباشر. ومع ذلك فهناك بعض الإشارات، التي وردت في سياق يومياته، تجعلنا نتلمس صوراً من الفساد الإداري، يتمثل في سلوك حكام المناطق وبعض الموظفين:

ففي المخا يقف العامل من البعثة موقفاً غير ودي. ولا يغير من موقفه إلا بعد أن تنفخه البعثة مبلغاً من المال قدره (٥٠ دوكاتن)^(٢)، على سبيل الهدية^(٣).

وعندما حل عيد الأضحى، أثناء إقامة البعثة في تعز، لاحظ نيسور أن المواطنين يقدمون للعامل ولأعيان آخرين في المدينة أعداداً كبيرة من الأغنام وهدايا أخرى^(٤) بمناسبة العيد. ومثل هذه الهدايا، التي يقدمها المواطن

Niebuhr C. BVA, S. 206.

(١)

Niebuhr. C. RB, Bd 1, S. 366 - 367.

(٢)

Niebuhr. C. RB, Bd 1: S. 386

(٣)

(٤) عملة ذهبية كانت تأتي من البندقية. وكان الدوكاتن الواحد يساوي ١٦ ريالاً. انظر ص ١٧٤ وما بعدها من هذا البحث.

لحاكمه. لا يمكن أن تكون تعبيراً عن الحب والولاء، وإنما سلاخ أخرى تكسر
وراءه أسس أخرى، ليست مبنية على مفهوم الفساد الإداري. وقد لاحظ
بيور أيضاً، أن وجوده في نغز، أن عملية تأخير الجمال للمسافرين عملية
مضفة بقف على رأسها العامل نفسه^(١). كما أن نيسور قد أشار إلى صاورات
حاكم نغز، ومحاولته عرفة سعر البعثة إلى صغاء، كسوع من الصنط للحصول
على مزيد من الهدايا^(٢).

ويقدم نيسور صورة أخرى من سلوك العمال، عند حديثه عن موت رفيق
رحلته، فورسكال، في مدينة يريم. فبعد موت فورسكال طلب العامل
واحداً من أعضاء البعثة ليتحدث إليه. وذهب إليه نيسور ودار بينهما حوار
سجل مصوبه في يومياته على النحو التالي: «قال لي إنه دائماً إذا مامات أحد
المسافرين، من اليهود أو البيتان، في منطقته، فإنه، بصفته عامل المنطقة،
يكون وريث المنوي. وقد أحت أن الميت ليس يهودياً ولا بيناناً، بل أوروبياً،
وأن العامل في المخ لا يطلب أن يرث عضو البعثة، الذي توفي هناك. وهذا
بغير أن العامل لشرح وجهة نظر أبيه: إن والده يتوقع أن يحصل على هدية
قيمة، ليس إلا. وعندما قلت له أن الأوروبيين لا يدفعون أي شيء، دون أن
يحمو وصل استلام ذلك، وأن عليه أن يحدد لنا خطياً، ما يطلبه منا مقابل
موت أحد رفيق الرحلة في منطقته، توقف عن طلب أي شيء. فقد كان يعلم أننا
منهون إلى صغاء وحشي أن نشكوه إلى وزير الإمام»^(٣).

وتحدث نيسور عن سلوك سكرتير وزير الإمام، فيذكر أنه (أي
سكرتير) كان يعرف أن الإمام قد تكفل بدفع أجرة الجمال والحمير، التي
تنقل البعثة من صغاء إلى المخا. ومع ذلك فقد أوهم أعضاء البعثة، بأن

(١)

(٢)

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 390

Niebuhr, CS., RB, Bd 1, S. 404 - 405

(٣) كانت البعثة قد تضمنت له هدية صد وصارها إلى مدينة نمر. انظر: Niebuhr, C., RB, Bd 1.

S. 390 ff.

منهم أن يدفعوا أجرة الحمير، أما أجرة الجمال فسوف يدفعها الإمام. وهكذا
 منحود على مبلغ من المال بهذه الحيلة، كما استنحود على جزء من الهدايا،
 نهي قدمها الإمام للبعثة، عندما كلف بإيصالها إلى البعثة، ولكنه لم يسلم
 نعمة إلا جزءاً منها^(١).

٧. علاقة الإمام بالمشايخ:

يبدو من خلال بعض الملاحظات العابرة، التي سجلها نيبور، أن
 علاقة المشايخ بسلطة الإمام قد تباينت من شيخ إلى آخر، ومن منطقة إلى
 أخرى. فمشايخ المناطق المستقلة لم يكونوا ملزمين بدفع أي ضرائب للإمام،
 بل على العكس من ذلك، فقد كان الإمام يقدم لهم العطايا حرصاً منه على إقامة
 علاقات سلام معهم^(٢)، وللإستعانة بهم في حروبه. وكان منهم من يعمل في
 جيشه^(٣). وقد أورد نيبور مثلاً لاستعانة الإمام بالمشايخ المستقلين في
 حروبه، فذكر أن حاشد وبكيل قد شنتا حرباً لحساب الإمام ضد شريف أبو
 عربش، في محاولة لإخضاعه لسلطة الإمام، إلا أنهما لم تكونا جادتين في تلك
 الحرب^(٤). وعدا عن ذلك فقد كان مشايخ هذه المناطق يحكمون مناطقهم
 باستقلال كامل عن سلطة الإمام.

أما في المناطق التابعة لمملكة الإمام، فقد وظف الإمام بعض مشايخها
 في وظائف مختلفة. ويمكننا أن نكوّن، من خلال حديث نيبور عن عامل تعز،
 فكرة عن أنواع هذه الوظائف. فقبل تعيينه عاملاً على تعز، كان قد عمل نقيباً في
 جيش الإمام، ثم أميراً على باب الشاذلي، وهو أحد أبواب مدينة المخا، ثم

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 428 - 429.

Niebuhr, C., BVA, S. 280.

Niebuhr, C., BVA, S. 259 - 260.

Niebuhr, C., BVA, S. 267.

(١)

(٢) ناور:

(٣)

(٤)

أصبح بعد ذلك عملاً على نزع... كما عين الإمام بعض المشايخ يوماً لفحص
في بعض المند ونركز المصيرة وقد أشد يسور في سياق وصفه نرجسته
إلى العديد من هؤلاء النواب^(١).

وهذا معقول، استطاع الإمام إخضاع مشايخها بطرق سلمية، أو عبر
هريق الحرب، وظل مشايخها بعد ذلك يحكمونها، معترفين سلطة الإمام،
وبمعمود الممرات المقررة عليهم للدولة. ومن خلال وصف نيسور لرحلته،
صنف لجنة لذلك، أبرزها:

• الشيخ ابن عقلاق: كانت أسرته توارث حكم المنطقة التي أطلق عليها
يسور من بلاد (ابن عقلاق)^(٢). وقد استطاع الإمام أن يضم المنطقة إليه،
بعد حرب طاحنة وظل الشيخ ابن عقلاق بعد ذلك يحكم منطقته، ويدعم
الممرات المقررة. وقد وضع الامام بعض الجنود إضافة إلى موظف
حكومي، في مدينة الدريبات، التي كانت مركز المنطقة ومقر شيخها. ولم
يحدد يسور ضيقة العلاقة بين جنود الإمام وموظفه، وبين الشيخ ابن عقلاق،
ومما إذا كانوا قد عملوا تحت إمرة الشيخ مباشرة، أم أنهم كانوا يأتهمون بأمر
فقد لهم، مستقل عن سلطة الشيخ. وهل كان ابن عقلاق يحكم المنطقة
كنشيخ محسوب، أم أنه أصبح، إلى جانب ذلك، يتمتع بالصفة الرسمية كعامل
لإمام مثل هذه التساؤلات لم نجد لها إجابات لدى نيسور.

• شيخ النعيب: لم يحل لنا نيسور صورة دقيقة عن وضع العدين، ولكن
في قوله: «نعتقد أن الإمام لم يمت عاملاً إلى هذه المنطقة، بل إن الحكم فيها
بأسرة شيخ، يسكن في قصر، على جبل مرتفع خارج المدينة. ويبدو أن
الشيخ الحاكم ما يتصرف بسلطة الإمام»^(٣)، ما يجعلنا نستنتج أن شيخ

(١) خروفا
(٢) نظر ص ١٠٥ من هذا البحث.
(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 384.
Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 339, 356 - 357.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 343.

المعدين كان مستقلاً من الناحية الفعلية. بحكم منطقة العدين، مع اعتراف
سلطة الإمام. ولعل هذا الاعتراف كان يتم من خلال دفع ضرائب محددة

وهناك إشارات في كتابات نيبور، تدل على وجود مشايخ ضمن المناطق
إدارية، التي يحكمها عمال الإمام، تتراوح علاقتهم سلطة الإمام، بين
الاستقلال الكامل عن سلطة الإمام، والاستقلال الفعلي بحكم مناطقهم مع دفع
ضرائب للإمام. ففي جبل صر مثلاً، وهو تابع لمنطقة تعز، ذكر نيبور أنه كان
يوجد فيه أكثر من مئة شيخ، لا يرتبط منهم بالدولة إلا القليل. أما أكثرهم
يحكمون مناطقهم بشكل مستقل ويورثون حكمها لأسانهم. ولا يدفعون للإمام
أي ضرائب^(١).

وفي منطقة كسمة، يعيش كثير من المشايخ في قلاعهم، ويحكمون
مناطقهم، دون أن يربطهم رابط بسلطة الإمام، باستثناء ما يدفعونه من ضرائب
عن محصول البن الذي يصدر من مناطقهم^(٢). والوضع نفسه ينطبق على
مناطق أخرى كمنطقة حراز^(٣) ومنطقة الجبي^(٤).

وقد قدم لنا نيبور من خلال حديثه عن الشيخ عبد الرب وصراعه مع
الإمام صورة من صور تعامل الإمام مع المشايخ، سنقف عليها فيما بعد^(٥).

٨. علاقة الإمام بالأقليات السكانية:

أ. اليهود:

لاحظ نيبور أن اليهود يسكنون في قرى منفصلة، وأنهم يشكلون أهم
الثلاث الحرفية في اليمن. ورغم أن اليمنيين ينظرون إليهم نظرة احتقار، تماماً

Niebuhr, C. BVA, S. 241.

(١)

Niebuhr, C. BVA, S. 246.

(٢)

Niebuhr, C. BVA, S. 250.

(٣)

Niebuhr, C. BVA, S. 248.

(٤)

(٥) انظر ص ٢٤١ وما بعدها، من هذا البحث.

كما يعرف بينهم الأوروبيون في أوروبا. إلا أن منهم تيارات، لهم مكسب
الكثير كما أن حصصهم علاقات قوية بالنسبة فأخذهم، واسمه (العراف)
(1884)، كان قد حصى ثلثة فئات متعاقبين، وتقدم مصفاً كبيراً في الدولة.
فكان مشرف لأول على جميع الجمارك وعلى ميزاني ومزارع الإمام. وتعد هذه
الوصفة واحدة من أهم الوظائف في اليمن. ولكنه نكب قبل وصول البعثة إلى
اليمن بعينين، فقد وضع في السجن وعزم خمسين ألف ريال، حسب ما سمعه
يسوع من اليهود أنفسهم ثم أفرج عنه الإمام قبل وصول البعثة إلى صنعاء
باسوعين فقط، وأهداه الإمام خمس مئة ريال.

وذكر يسوع أن اليهود في صنعاء قد اضطهدوا، من قبل الإمام، في هذه
الفترة، إذ أمر بهم اثني عشر معبداً من معابدهم، ولم يترك لهم سوى معبدين.
وكانت صارتهم حمية. تصاهي منازل أغنياء المسلمين، فأمر يهدم ما راد
لإرضاعها عن طائق واحد⁽²⁾.

ب. الهنود:

رغم أن اليهود لم يكونوا مواطنين يمنيين، بحيث يصح اعتبارهم أقلية
سكانية. فقد كانوا مجرد مهاجرين. يأتون إلى اليمن ليعملوا، ويوفروا بعض
الخدمات. ثم يعودون إلى بلادهم. إلا أن بقاء معظمهم زمناً طويلاً في اليمن،
وتعمل الدولة معهم. باعتبارهم جماعة متميزة ومستقرة نوعاً ما، يجعلنا أكثر ميلاً
إلى تسميتهم ككتلة سكانية. بدلاً من تناولهم كأجانب. وذلك لتمييزهم عن
الأجانب. الذين يأتون إلى اليمن على سبيل الزيارة، أو لبيع بضائعهم، أو شراء
صانع. من المواد. والملاحة اليمنية، ثم لا يلبثون أن يغادروا اليمن.
وقد أطلق يسوع على الهنود اسم البنيان، وهو الاسم الذي يطلقه

(1) ص ١٠٠

(2)

Niebuhr, C., RB. Bd. 1, S. 361, 422 - 423

Niebuhr, C., RB. Bd. 1, S. 422 - 423.

يمنيون، عادة،
مستثمرين في ال
وصعاء. وكان
تجارة أجنبية.
ريالته، مئة وخمسة
شهرياً، في حين
صنعا، يدفع
صنعا، فإن وزارة
إذا لم يكن

٩. تعامل الإ

أشار نيب
اليمن، هم من
موضع استغراب
البيع والشراء،
بمارسون نشاطهم
بصورة روتينية،
التهامية وبكبار
تدخلهما. ومن
عام⁽³⁾، نستطيع
كانت تسير بصورة

(1)

(2)

(3) انظر ص ٧٤

نيبور، عادة، على الهنود غير المسلمين. وكانوا عند زيارة نيبور لليمن منتشرين في المدن اليمنية الرئيسية، وخاصة في المحا وبيت الفقيه ونعز وصعاء. وكان كثير منهم يمارسون التجارة، كتجار أو كوكلاء لشركات وبيوت تجارية أجنبية. وقد ذكر نيبور أنه كان يوجد منهم في صنعاء وحدها، عند ربرته، مئة وخمسة وعشرون هندياً. وكانوا يدفعون للإمام مبلغ ثلاث مئة ريال شهرياً، في حين كان قاع اليهود بكامله، وهو القرية التي كانت تضم يهود صنعاء، يدفع مبلغ مئة وخمسة وعشرين ريالاً فقط. «وإذا توفي أحد الهنود في صنعاء، فإن ورثته يدفعون للإمام مبلغاً يتراوح بين عشرة إلى خمسين ريالاً. وإذا لم يكن للمتوفي ورثاً في اليمن فإن إرثه كله يؤول إلى الإمام»^(١).

٩. تعامل الإمام مع الأجانب:

أشار نيبور في أكثر من موضع، إلى أن الأجانب، الذين يأتون إلى اليمن، هم من التجار. لذا فقد كان وضع البعثة، منذ وصلت إلى اللحية، موضع استغراب المواطنين هناك. فهي تتجول أو تنفق المال، دون أن تمارس البيع والشراء، وهذا أمر لم يعتد عليه المواطنون^(٢). ويبدو أن التجار كانوا يمارسون نشاطهم، ضمن الموانئ، أو في مراكز تجمع البن، كبيت الفقيه، بصورة روتينية، لا يحتاجون معها إلا أن يتصلوا بسلطات الجمارك في المدن النهائية وبكبار التجار، وربما بالعامل أو القاضي، إذا نشبت إشكالات تتطلب تدخلها. ومن خلال انطباعات نيبور عن معاملة اليمنيين للأجانب بشكل عام^(٣)، نستطيع أن نفترض، أن أمور هؤلاء التجار، في تعاملهم مع المواطنين، كانت تسير بصورة مرضية. كما أنهم كانوا يحظون بمعاملة متميزة، لدى سلطات

(١) Niebuhr C. RB Bd 1, S. 423

(٢) Niebuhr, C. RB Bd 1, S. 299, 303

(٣) انظر ص ٧٤-٧٨ من هذا البحث.

الجمارك، إلى درجة أنهم كانوا يعاملون أفضل من المسلمين أنفسهم، كما يؤكد ذلك سيور^(١).

أما بالنسبة لتعامل الإمام وموظفيه مع الأجانب الزائرين لليمن، من غير التجار، فيمكننا أن نعتبر تجربة البعثة العلمية الدينماركية مثلاً لذلك:

لقد استقبلت البعثة من قبل السلطات المحلية، بدءاً بالحجة وانتقاء بدمار، باهتمام واضح. واعتبر وجودها حدثاً غير عادي. وإذا استثنينا العامل في بيت الفقيه، الذي لم يكثر كثيراً بالبعثة، ولم يولها اهتمامه، لا سلباً ولا إيجاباً، فإن السلطات المحلية، في جميع مراكز المناطق الإدارية، التي مرت بها البعثة، قد اهتمت بوجودها. فمن العمال من أكرمها إكراماً غير عادي. كعامل اللحية، ومنهم من حاول ابتزازها، كعامل المخا. وكان القضاة كما رأينا إلى جانب البعثة، طوال رحلتها، يمدون لها يد المساعدة، كلما احتاجت إليها.

ولكي يسمح للبعثة بالسفر إلى صنعاء كان لابد من إذن شخصي من الإمام نفسه^(٢). وبناء على ورود هذا الإذن اتجهت البعثة إلى صنعاء، عاصمة مملكة الإمام. ومن خلال وصف نيبور لإقامة البعثة في صنعاء، وهي إقامة قصيرة، لم تتجاوز عشرة أيام^(٣)، نقف على صورة واضحة إلى حد كبير، لتعامل الإمام مع الأجانب^(٤). فقد استقبلت البعثة في مشارف صنعاء وأسكنت في بيت للضيفة في حي بير العزب ووفرت لها المواد الغذائية اللازمة (دقيق، رز، لحوم، سمّن... إلخ) كما وفرت لها الحطب^(٥). ليس هذا فحسب، بل وأرسل الإمام لها مبلغاً من المال، يتكون من قطع نقدية صغيرة، لأنه لم يكن

(١) هر ص ١٨٥ من هذا البحث.

(٢)

(٣) نظر

(٤)

Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 371.

Niebuhr, C., RB, BD. I, S. 411 FF.

Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 412

(٥) وصلت البعثة إلى صنعاء في ١٦ يوليو ١٧٦٣ م وغادرتها في ٢٦ من الشهر نفسه.

من الجهل ص
عليها أن لا تتن
وله تمكن من
مربيات الجنو
ولم يكن
نيبور نفسه
وفي ص
الفقيه أحمد إل
مقابلتنا مع الإ
شاهدنا مظاه
والمواطنين،
نولا أن النقي
لاسلطات الإ
كانت
شكل مقر،
أربعة عشر قد
(١)
(*) قارن: إل
سلاحظ
وهو النص
ذلك فإن
(**) في مكان
البحث
(***) وضع
ونفهم
ويستب
الأعلى
417

من السهل صرف القطع النقدية الكبيرة^(١). وقد أنهت الحقبة. إلى أنه بعد
عليها أن لا تتصل بأحد، وأن لا تغادر مسكنها، قبل أن نملش بين يدي الإمام
وله تتمكن من مقابلة الإمام إلا بعد بضعة أيام. وذلك بسبب الشغل، بصرف
مربيات الجنود، كما تقدم.

ولم يكن استقبال الإمام للمبعثة استقبالا عاديا. ولعل من الأفضل أن نترك
نيبور نفسه، يصف لنا عباراته حفل الاستقبال^(٢).

وفي صباح يوم ١٩ يوليو طلب منا أن نذهب لمقابلة الإمام. وقادنا سكرتير
الغبية أحمد إلى قصر الإمام، في بستان المتوكل. ولأننا لم نكن نتوقع أن يحضر
مقابلتنا مع الإمام أكثر من بعض كبار موظفيه، فإن دهشنا كانت كبيرة، عندما
شاهدنا مظاهر حفل كبير. كانت ساحة القصر مكتظة بالخيول والخدم
والمواطنين، إلى درجة أننا ما كنا نستمكن من شق طريقنا بينهم إلا بصعوبة.
نولا أن النقيب خير الله، الذي كان في السابق عبداً وأصبح الآن مديراً
لاسطلات الإمام^(٣)، قد جاء إلينا، ويده عصي طويلة، وأفسح لنا الطريق.

كانت قاعة الاستقبال عبارة عن مبنى مربع كبير، في سقفه فتحة ذات
شكل مقعر، وفي منتصفه بركة ماء، في وسطها نوافير تقذف بأنحاء، إلى عبو
أربعة عشر قدماً تقريباً^(٤). وخلف البركة منصة تتصلد القاعة، عندها حواري

Manuscript CS RB, Bd 1 S 415-416.

(١)

(٢) فاروق الرعدى، من كويهاجر، ص ٣١٠-٣١١. والعمرى، من عه، ص ٢٩-٣٠.
ملاحظ القاري، اختلافات طفيفة بين هذه الفقرات المترجمة عن النص الأصلي مشيرة.
وهو النص الذي كتبه نيبور بلفته، وبين الفقرات التي ترجمت عن نص بحسبيري ومع
ذلك فإن المصنوع بشكل عام واحد.

(٣) في مكان آخر ذكر نيبور أن النقيب خير الله كان قائداً لسلح الفرسان نظراً من ٨٤ من هذا
البحث.

(٤) وضع نيبور طريقة عمل هذه النوافير في سبق وصفه لتحديفة بيت غنية أحمد نسبي،
لأنهم من توضيحه أن الماء يرفع من شر بجانب البيت إلى النافورة بواسطة أسس.
ونسب مسجداً في قناة تنهي في أسفل النافورة حيث يصعد من سورها مندهم
الأعلى حتى يصل إلى فوهتها وينساب على حوضها.

فهو رصف، وعرضه حوالي أربعة أقدام وعلى هذه المصصة - في
الحنف - مصصة أخرى صغيرة، عليها عرش الإمام، كانت لصلاته جميعها مصصة
بالمعرش لإيرابه. وأما العرش نفسه فمما أشهد أكثر من مصصة مربعة، مكسوة
بفض من الحرير، وعليها، في الحنف وهي الجانبي، وسائد كبيرة مغطاة
بأبيض من الفض من الثمن. وكان الإمام يجلس على العرش - بين الوسائد،
وساقه مثبتة - على الطريقة الشرقية وكان مرتدياً قميصاً ذا لون أخضر فاتح،
بكماء مربعة وسعة، وعلى صدره في كلا الجهتين، اليمنى واليسرى، أنشودة
دعية كبيرة، كتبت التي بصفها الوجه الأثراك أحياناً على معاطفهم. وعلى
رأسه عمامة بيضاء كبيرة. وكان يقف عن يمينه أبناؤه وعن يساره إخوته، وإمامه
وريره، الخليفة أحمد، وجلس بقف على المصصة الأولى، أي أدنى من الفقيه.
وعلى امتداد غنافة، بدءاً من حجاب أبناء الإمام وإخوته، وانتهاء باب القاعة،
وقد تغير العرب متلاصقين في صفين مستقيمين. وقد أخذنا إلى الإمام،
لنقل ظاهر واضح كنه الأيسر وقماش ثوبه، عند الركبة. ويسمع الأمراء
انفسهم، عادة سهولة، بتغيير ظاهر الكف وقماش الثوب، عند الركبة، أما
تغيير ظهر الكف، فإنه يعتبر مظهراً من مظاهر العطف غير العادية، إذا سمح به
للأخصى. كان يسود لغة صمت مطبق. ولكن ما أن يلامس أحدنا كف
الإمام، حتى يهتف لمنحني بعض الكلمات، التي تعني: الله يحفظ الإمام.
أول ما أن ينفذ منحنى، حتى يردد نداهه كل الحاضرين في القاعة،
صوت واحد، يدعى في الله يعطيه بكل ما لديهم من قوة. وبما أنني كنت أول
المتطوعين إلى الإمام، وكنت مركزاً كل تفكير في أن أنطق بكلمات المجاملة
بشأنه الخيرية فقد سلماً قدر الإمكان، وفي ملاحظة مظاهر الأبهة التي لم يسبق
لي أن أسمعها في بلاد العرب، فلما لا أنكر أنني قد أصبت بالذهول، عندما
وجدت كنه الإمام. ولكني لم ألت أن تماثلت نفسي. ولما تكرر التهاتف في كل
مرة لاس فيها زملائي كنه الإمام، أدركت أنه في هذه المراسم يحدث ما يشبه

ملك الذي به
نحضر ثلاث
ولأن لغة
نحضر، ومختلف
مع ذلك بصورة
مودة على نطقنا
الذي كان قد
الإمام. وعندما
واحدة من كل
الإمام، أكد لي
هذا الجمع، وأ
نصيراً^(١).

وقد انتهت
اللمعة، وبأنها
يسود إلى أن
استقبل من قبل
الوزير^(٢). وهكذا
الغزب^(٣). وقد
وجه إليهم أن
ولم يطل

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

ذلك الذي يحدث، عندما يهتف الطلاب، في الجامعات الألمانية بحياة
نصر، ثلاث مرات متتالية.

ولأن لغة البلاط في صنعاء مختلفة عن اللهجة الدارحة في مناطق
الحض، ومختلفة أكثر عن لهجة تهامة. وكما لا نفهم إلا لهجة تهامة، ونحدثها
مع ذلك بصورة رديئة، فقد تولى خادمتنا، الذي قدم معنا من المخا، وكان قد
عود على نطقنا، تولى عملية الترجمة لنا، وتولى في الوقت نفسه الفقيه أحمد،
الذي كان قد عاش فترة طويلة في تهامة، وتعود على لهجتها، عملية الترجمة
لإمام. وعندما كان الفقيه يتحدث إلى الإمام فإنني بالكاد، كنت أفهم كلمة
واحدة من كل أربع كلمات. وحتى الخادم، الذي ولد وعاش حياته في مملكة
إمام، أكد لي بأنه نادراً ما كان يستطيع أن يفهم ما يقوله الإمام. ونظراً لوجود
هذا الجمع، ولأننا لم نكن نتحدث إلا عبر مترجمين، فقد كان حوارنا مع الإمام
قصيراً^(١).

وقد انتهت المقابلة بتقبيل يد الإمام وركبته، وبتعبير الإمام عن ترحيبه
بالعثة، وبأنها تستطيع أن تتجول وتقيم كما تشاء، بكل حرية وأمن. وبشير
بور إلى أن السلطان في تركيا لا يستقبل أحداً، إلا بعد أن يكون هذا قد
استفل من قبل الوزير. أما في اليمن فيحدث العكس: الإمام أولاً ثم
الوزير^(٢). وهكذا بعد مقابلة الإمام واستدعانا الفقيه أحمد إلى منزله في بر
العزب^(٣). وقد استقبلهم كما يؤكد نيبور، استقبلاً يشوشاً، وتحدث معهم،
وروجه إليهم أسئلة، تدل على اهتماماته العلمية^(٤).

ولم يطل المقام بالبعثة في صنعاء، رغم كرم الإمام وحفاوته، ورغم أنها

Nachtr. C. RB. Bd 1, S. 413 - 415

Nachtr. C. RB. Bd 1, S. 416.

Nachtr. C. RB. Bd 1, S. 416.

Nachtr. C. RB. Bd 1, S. 416

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

كس تحور بحرية. محدثة - هتمه السلطة والأعير - إلا أنه كنت نريدا. أن
تلتح - حرة الإنحيرية. التي كان مقرراً أن تعدد المحمي أول شهر سنبر
في نده عام (١٧٦٣). وقد سمعت البعثة نداء بقمته في صعاء عن طبيعة
إلامه وبعثه ما جعل نيور ، وهو يتحدث عن أسباب الإسراع في مغادرة
البحر. بهج ما سمعت البعثة صر هذه أسباب^(١).

وقد استندت البعثة لإمام مائسور، وذهبت لوداعه، وتلقت منه هدايا،
تكون من ملابس، لكل واحد من أفرادها، إضافة إلى مبلغ من المال، قدره
مئتي ريال كمصروف للسفر. كما أصدر أمره باستئجار جمال وحمير، لنقلهم
واستئجارهم وزودهم برسائل إلى العمال، في المناطق التي سيمرون بها،
لاستفادتهم وتغيير حيوانات النقل، كل ذلك على حساب بيت المال^(٢).

١٠. معلومات عن أسر وشخصيات سياسية كبيرة:

أ. الإمام المهدي عباس وأسرته:

نحدث بسور عن الإمام المهدي عباس، وانتماه إلى الأسرة القاسمية،
وتاريخ هذه الأسرة. وهو حديث مقبول عن روايات تاريخية مكتوبة. ولا يختلف
في مصوبه عما نعرفه عن هذه الأسرة. وبما أنه يهمنا هنا ما سجله نيسور من
معلومات. وقد عيبه نفسه، فأوردت له، عن أحداث قريبة العهد، من قبل
معهدين له. فاستفصرها على ما سجل من ملاحظات ومعلومات متفرقة،
عن الإمام المهدي عباس وأسرته وأقاربه، دون التعرض لتاريخ الأسرة
القسمية

ذكر بسور أنه عند قدوم البعثة إلى اليمن كان قد مر على وجود الإمام
المهدي في الحكم سبعة عشر عاماً. وكان عمره حينذاك خمسة وأربعين عاماً.

(١)

(٢)

Niebuhr, C. , RB. Bd. 1. S. 425

Niebuhr, C. , RB. Bd. 1. S. 425 FF.

«١» - مطرو جميلًا جداً. ولكنه لم يكن أبيض البشرة، كأسلافه من جهة الأب. لم يكن أسمرًا كاملاً^(١). فقد كانت أمه جارية حبشية^(٢). وكان له خمسة عشر ابنًا عشرين أنثى. وقد رأى نيبور بعضهم. وكانت لهم أنوف مفلطحة، وشفاة عبيطة، وبشرة سمراء، كالافارقة. وقد أورد أسماء ثلاثة منهم. وهم: محمد، ومرواح شقيق للإمام، وأحمد وحسين، وهما أخوان للإمام من الأب. أما زوجة الإمام فقد كانت ابنة سيدي علي بن سيدي أحمد، عامل تيز. وربما كانت له درجات أخرى، كما كانت له كثير من الجواري، ولكن، بالتأكيد، أقل مما كان لوالده المنصور، الذي - كما يقال - كان يمتلك أكثر من مئتي جارية^(٣). وكان للإمام المهدي حوالي اثني عشر ولداً، كانوا لا يزالون أطفالاً، إلا أربعة منهم كانوا قد أصبحوا كباراً، وهم عبد الله وعلي وقاسم ومحمد، وكان علي ووالياً أو عملاً^(٤) على منطقة سنجان، التي تعتبر صنعاء تابعة لها. أما الثلاثة الآخرون فلم يكونوا قد تقلدوا وظائف رسمية.

وأورد نيبور أسماء عدد من أقارب الإمام، الذين كان معظمهم مقيماً في صنعاء. كعميه، عبد الرحمن وإبراهيم، وأقارب آخرين^(٥)، مثل سيدي إسماعيل صاحب^(٦) المخادر وسيدي علي صاحب وصاب^(٧). وكان الإمام يسكن في المدينة - أي في مدينة صنعاء -، بينما كان عدد من أقاربه يسكنون في قلعة صنعاء^(٨). وكان دخل بعض المناطق والقرى يعود إلى بعض أفراد أسرة الإمام وأقاربه، مثل قرينا سيان وزراجة ومنطقة الحيمة^(٩).

Niebuhr, C. BVA. S 204

(١)

Niebuhr, C. BVA. S 197.

(٢)

Niebuhr, C. BVA. S 204.

(٣)

Niebuhr, C. BVA. S 204

(٤)

Niebuhr, C. BVA. S 204

(٥)

Niebuhr, C. RB. Bd I. S 421.

(٦)

Niebuhr, C. RB Bd I S 410, 431.

(٧) انظر.

(٨) لم يحدد نيبور درجة القرابة.

(٩) استعمل نيبور هنا لقب Herr ويعني سيد، أي سيد المخادر.

ب. وزير الإمام:

كان وزير الإمام. وسميه نيسور أيضاً وزير الدولة، هو الفقيه أحمد النهمي^(١)، ويؤكد نيسور أنه لم يكن يخاطب إلا بلقب فقيه. إذ إن اليمنيين لا يعرفون الألقاب الكبيرة، كما أن الألقاب التي يستخدمونها محدودة^(٢). ويمتدح نيسور سعة اطلاع الفقيه أحمد، ومعرفته بالبلدان الأوروبية، ومواقفها وأحوالها، رغم أنه لم يفلتر اليمن أبداً. ولكنه، على أي حال، كان على اتصال بالتجار الأوروبيين، بصورة خاصة، والأجانب بصورة عامة، الذين يأتون إلى اليمن^(٣).

ج. عامل اللحية:

أمير اللحية، أو دولة اللحية، أو عامل اللحية، أو حاكم اللحية، كلها الألقاب أطلقها نيسور على المنصب نفسه. وكان عامل اللحية، عند مجيء نيسور إلى اليمن، هو الأمير فرحان. وقد حرص نيسور على إعطائه قدراً من الاهتمام في كتاباته، أكثر مما أعطاه لغيره. ولعل ذلك يرجع إلى كرمه وحسن استقاله للبيعة. وقد سجل نيسور عنه معلومات مفيدة، تساعدنا، ليس فقط في معرفة شخصيته، بل أيضاً في الوقوف على جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية، في بصر القرن الثامن عشر: كوضع عمال المناطق، ومجال سلطاتهم. وموقعهم في الهرم الإداري للدولة، وكوضع العبيد الاجتماعي، ودورهم السياسي. إلخ.

فقد كان الأمير فرحان أفريقياً شديداً السواد، جيء به صبيّاً من إفريقية، وبيع إلى رجل من الأعيان اسمه العباس^(٤)، كان لسنوات عديدة عاملاً للإمام

(١)

Niebuhr, C., BVA, S. 206.

(٢) نهر ص ٨٠ - ٨١ من هذا البحث.

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 416 - 417.

(٤) ربما يكون هو نفسه الفقيه العباس، الذي ذكر نيسور أنه واحد من كبار قادة جيوش الإمام. نهر ص ٢٤٤ - ٢٤٥ من هذا البحث.

على بيت الفقيه، «ثم أصبح من أهم وزراء الإمام»^(١). وقد حرص العباس على نشئة فرحان تنشئة طيبة. ثم أخذ يكلفه ببعض الأعمال والمهام البسيطة. وأصبح هذا العبد، شيئاً فشيئاً، معروفاً في البلاط بخدماته، واكتسب سمعة طيبة. وسرعان ما تقلد منصباً رسمياً، كعامل على إحدى المناطق. ثم استقر أخيراً في وظيفته، كعامل على اللحية. وكان مستقيماً، ولطيفاً في تعامله، وخاصة مع الأغراب^(٢).

د. أسرة الوادعي وأسرة إسحاق:

أشار نيبور إلى هاتين الأسرتين، إشارات عابرة، في أكثر من موضع، خلال وصفه لرحلته، وعند حديثه عن المناطق الإدارية المختلفة في المين. ولكنه لم يقدم معلومات تفصيلية عنهما، أكثر من أن أسرة الوادعي، وعلى رأسها النقيب محمد بن عبد الله صاحب Robò el Hawà الواقع قرب المخادر، تنتمي أصلاً إلى منطقة حاشد وبكيل، ولكنها استقرت في منطقة المخادر منذ سنوات طويلة. وأنها تمتلك أراضي وقرى عديدة، في الجهة الغربية من جبل سمارة^(٣).

وأما أسرة إسحاق، فهي تنتمي إلى الإمام المؤيد محمد بن القاسم^(٤). ونقيم في منطقة وصاب السافل، وإليها يعود دخل هذه المنطقة^(٥).

Niebuhr, C., RB. Bd 1, S. 295.

Niebuhr, C., RB. Bd 1, S. 295 - 296.

Niebuhr, C., BVA. S. 238

Niebuhr, C., BVA. S. 224

(١) الإمام المؤيد محمد بن القاسم تولى الإمامة بعد وفاة والده القاسم عام ١٠٢٩ هـ/ ١٦٢٠ م، واستمر فيها حتى وفاته عام ١٠٥٤ هـ/ ١٦٤٤ م.

١. الصنعة

أورد

شاهدها أثراً

السوق المع

في كتاباته،

تجول فيها،

يزورها، بل

مشاهدتها،

أما الـ

٢. صناعة

شاهد

حيس، التي أ

شاهد فيها معاً

(١)

(٢)

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

١. الصناعة:

أورد نيبور إشارات متفرقة، إلى بعض الحرف والصناعات، التي شاهدها أثناء تجواله في اليمن، وهي بمجملها صناعات، كانت تلبي حاجة السوق المحلية. وباستثناء صناعة الحديد، فإن ما أورده نيبور بصورة متناثرة في كتاباته، قد اقتصر على حرف وصناعات، شاهدها بنفسه، في المناطق التي تجول فيها، مما يبقى الاحتمال قائماً بوجود صناعات، في المناطق التي لم يزرها، بل وبوجود صناعات أخرى، في المناطق التي زارها، لم يتمكن من مشاهدتها، وبالتالي لم يأت على ذكرها في كتاباته.

أما الصناعات التي شاهدها وضمن كتاباته إشارات إليها، فهي:

أ. صناعة الأواني الفخارية:

شاهد نيبور صناعة الأواني الفخارية في قرى ومدن مختلفة، كمدينة حبس، التي أشار إلى أنها تمتد جزءاً كبيراً من اليمن بهذه الأواني^(١)، وذكر أنه شاهد فيها معامل كثيرة، لصناعة الأواني الفخارية، وخاصة فناجين القشر^(٢)،

Niebuhr, C. R.B, Bd 1, S. 352 U. BVA, S. 224..

Niebuhr, C. R.B. Ibid. 1, S. 352.

(١)

(٢)

التي يستخدمها الصينيون بشكل عام، أما الفناجين المعروفة بالصينية^(٥) فقد كان استخدامها مقصوراً على الأعيان^(١).

وعدا عن مدينة حيس، فقد شاهد نيبور هذه الصناعة في قرية المط Maha'd الواقعة على طريق بيت الفقيه - زبيد^(٢)، وفي قرية الضحي^(٣). ومن الملاحظ أن إشارات كلها بالنسبة لصناعة القفار، قد اقتصرت على المناطق النائية. ويبدو أنه لم يشاهد أي معامل للقفار في المناطق الجبلية.

ب. صناعة الأقمشة:

أكد نيبور وجود معامل كثيرة لصناعة الأقمشة، وأورد اسم إحدى المناطق التي تصنع فيها الأقمشة، وهي بني ضبيبي Beni Dobejbi، في منطقة Kusuma. إلا أنه أشار إلى أن الأقمشة اليمنية متوسطة الجودة وخشنة. ولذا، فإن الأقمشة الناعمة تستورد من الهند. كما يستورد نوع أقل جودة من مصر^(٤). وفي قرية الدريهمي Drehami، التابعة لمنطقة بيت الفقيه كانت توجد معامل كثيرة لصناعة اللحف^{(٥)(٥٥)}.

ج. صناعة النيلة:

أشار نيبور إشارات متكررة إلى نبات الأنديجو Indigo المنتشر في نهاية وهو النبات الذي تستخرج منه النيلة الزرقاء اللون، التي كانت إلى عهد قريب

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 56.

(٢) Niebuhr, C., BVA, S. 227.

(٣) Niebuhr, C., RB, bd. 1, S. 315.

(٤) Niebuhr, C., BVA, S. 217, 248.

(٥) Niebuhr, CS., BVA, S. 227.

(٥٥) الصينية والحبيسي اسمان معروفان، الأول يطلق على الفناجين المستوردة من الصين. وكانت قليلة الاستعمال، حتى عام ١٩٦٢ م. والثاني يطلق على الفناجين المصنوعة محلياً في مدينة حيس. وفي أماكن أخرى إلا إن اسم حيس غلب على هذا النوع من الفناجين باعتبارها أهم مكان لصناعة.

(٥٥) اللحف قطعة قممات مستطيلة توضع على الكتف.

تصنع بها الملابس وتدهن النساء بها أجسامهن. فقد كانت تقوم مقام الأصابع المستوردة الآن. وقد شاهد نيبور في أماكن عديدة قديماً ضخمة، تحضر فيها مادة النيلة، فالى جانب أفران حرق الفخار خارج مدينة الضحى، كان يوجد عدد كبير من هذه القدور مملوءة بالنيلة^(١). وفي القرب من قرية تحية Tahite الواقعة على بعد ميلين وربع «حوالي ١٧ كيلومتراً»^(٢)، غرب زبيد، تمكن نيبور من إحصاء ما يزيد على ست مئة قدر ضخمة، مخصصة لتحضير النيلة^(٣).

د. صناعة الأسلحة:

رغم شهرة السيف اليمني في بلاد العرب، إلا أن صناعة السيوف كان قد عفا عليها الزمن، عند زيارة نيبور، كما عفا على الكثير من مهارات اليمنيين وإبداعاتهم. ومع أن نيبور قد أكد أن السيوف لم تعد تصنع في اليمن، إلا أنه قد أشار إلى أن اليمنيين يصنعون أسلحة أخرى، كالجناي والسكاكين، وأنهم وبدؤوا منذ سنوات قليلة يصنعون بنادق بأنفسهم، ولكن نوعيتها لا تزال رديئة^(٤).

هـ. صناعة الحديد:

ذكر نيبور أن اليمنيين يستخرجون الحديد، من مناجم الحديد، الموجودة في منطقة سهام، ولكنه حديد غالي الثمن، ورديء النوعية^(٥). ويرجع نيبور سبب رداءة الحديد اليمني إلى «نقص الأخشاب وجعل اليمنيين

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 315.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 331.

(٣) Niebuhr, C., BVA, S. 217.

(٤) قدر نيبور المسافات بالميل الألماني القديم وهو يساوي ٧٥٣٢ متراً
(٥) ازدهرت صناعة الحديد في اليمن قبل الإسلام ازدهاراً تدل عليه شهرة السيوف والدرع وغيرها من آلات الحرب اليمنية. ولكن من الواضح أن هذه الصناعة قد تدهورت خلال العصر الوسيط.

هدنوع من الصناعة^(١) هذه الصناعة تحتاج إلى جانب المهارة قدر كبير من وفود نلارم لصهر الحديد.

و. صناعات أخرى:

إلى جانب الصناعات الأربعة الذكر، أشار يسور إشارات متفرقة إلى صناعات أخرى عديدة، شاهدها أثناء رحلته في اليمن. فقد شاهد في مدينة حجة مصنع كثيرة لصناعة الصابون^(٢). كما شاهد في نهاية معصرة للزيت، تدعى بوسفة نور^(٣). وذكر أنه قد أنشئ مصنع للزجاج في مدينة المحامد سوت^(٤) وأشار إلى أن اليمسين يصنعون الحبال من نباتات برية تسمى لسماء^(٥) هاللة والنمحة^(٦) Dennedje. وفي القرب من مدينة اللحية شاهد صنعة استخراج الصدف، حيث كانت تجلب الأحجار المرجانية من البحر وتحمى وتحرق في محارق متشرة في العراء، ويستخرج منها الصدف^(٧). وفي معطف لملاح شاهد، وهو في طريقه من بيت الفقيه إلى المخا، حمراً كثيرة، تملأ مياه البحر، بواسطة قنارات، ثم تترك ليتبخر الماء بفعل حرارة الشمس، ويبقى الملح مترسباً في الحفر^(٨). وكان يصنع في اليمن أيضاً قديد^(٩)، الذي تخصص في صناعته اليهود، وخاصة يهود صنعاء، حيث كانوا

Niebuhr, C. BVA, S. 271.

Niebuhr, C. BVA, S. 239

Niebuhr, C. BVA, S. 217

Niebuhr, C. BVA, S. 217.

Niebuhr, C., BVA, S. 150

Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 308

Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 359

(١) تسمى في المعطف بوسطة (الصلب)
(٢) دكر يسور أن صلب المعطف كزهر

ون ليس بمرور المشروبات الكحولية من اليمسين يتكلمون، ولا يشربونها إلا مساة في بيوتهم بطر.

Niebuhr, C. BVA, S. 56.

بحسب ما كليات تفيض عن حاجتهم، يبيعونها للمسلمين بحذر شديد^(١). وفي منطقة قرب قرية الصحي شاهد نيسور معملًا، ينتج كميات كبيرة من حمود المدبوعة^(٢). هذا عدا عن بعض الصاعات الحرفية الدقيقة، التي كانت تحرس غالباً من قبل اليهود، وأبرزها صياغة الذهب والفضة^(٣)، التي أكد نيسور أنها كانت تمارس بصورة متقنة^(٤)، وكان الهنود البينيان يشاركون يهود في إتقان واحتراف الصياغة.

ويبدو أنه لم يكن هناك حرفيون، يتقنون الحرف المتصلة بالصناعات الحديثة. فقد أكد نيسور مثلاً، أنه ولم يكن يوجد في كل اليمين شخص واحد يصنع أن يصلح ساعة^(٥).

٢. الزراعة:

نصت كتابات نيسور إشارات، وملاحظات كثيرة، حول الزراعة في بيس، وسوف نحاول فيما يلي أن نرتبها، بطريقة تمكنا من رسم صورة متكاملة وروصة، قدر الإمكان، للمناطق الزراعية وأنواع المحاصيل وتوزعها وأدوات لزراعة وأنظمة الري، في القرن الثامن عشر.

لم يسجل نيسور ملاحظات كثيرة حول الزراعة في تهامة، واكتفى بالتأكيد على أن سكان تهامة لا يكادون يزرعون شيئاً آخر غير الدرة، وأن الدرة تكاد تكون الغذاء الوحيد لعامة الناس^(٦). كما أنه قد لاحظ، وهو متجه من تهامة نحو العدين، أن الزراعة تكثر كلما ابتعد عن المناطق التهامية، وتوغل في

Niebuhr, C., RB Bd. 1, S. 420 - 421, 298.

Niebuhr, C., BVA, S. 229.

Niebuhr, C. RB, Bd. 1, S. 422.

Niebuhr, C. BVA, S. 216.

Niebuhr, C. BVA, S. 216.

Niebuhr, C. BVA, S. 226

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

الجمال^(١)، وعندما مرتب في طريقه إلى بيت الفقيه عائداً من العدين، لاحظ
 لك الزراعة نقل، كلما ابتعد عن تيز^(٢). أما المناطق الجبلية فقد أشار إلى
 خصوبتها وأنواع المزروعات فيها وأنظمة الري. إلخ... وقد وجد أن أخصب
 المناطق الزراعية هي تلك الواقعة في جبل صبر والعدين وجبله وكسمة ويافع
 ونجران، وهي المناطق اليمنية، التي لا زالت تتركز فيها أخصب الأراضي حتى
 الآن. وسيصح توزيع الزراعة ومناطقها، من خلال استعراضنا لأهم المحاصيل
 الزراعية، وخاصة المحاصيل ذات الأهمية التجارية.

أ. المحاصيل الزراعية:

ـ البن:

كان البن يحتل المرتبة الأولى، على رأس المحاصيل الزراعية في اليمن،
 وكان يشغل معظم الأراضي الخصبة في المرتفعات الجبلية. وسقف هنا على
 ماسجله نيبور عنه في حدود كونه محصولاً زراعياً، تاركين الحديث عن
 أهميته كسلعة تجارية إلى الجزء الخاص بالتجارة.

أشار نيبور إلى أن البن كان يزرع بصورة خاصة في الجهة الغربية من
 المرتفعات الجبلية، الممتدة في وسط اليمن، من الشمال إلى الجنوب، وأن
 زراعته تكثر أيضاً في بلاد حاشد وبكيل وقعطة ويافع، ولكن أفضله كان يزرع
 في مناطق العدين وكسمة والجبي. ومن هذه المناطق كان يأتي معظم البن
 وأجوده^(٣). وكان بن العدين أجود أنواع البن في اليمن، وبالتالي - كما أكد
 نيبور - في العالم كله^(٤). وكانت أشجار البن تزرع في مدرجات، تمتد حتى
 قمم الجبال، بعضها يروى بمياه الأمطار، وبعضها يروى من بركة في أعلى

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 343.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 350.

Niebuhr, C., BVA, S. 143-145.

Niebuhr, C., BVA, S. 245.

المدرج، تمتد منها قنوات، لتصل إلى جميع أشجار الحقل «ويقال إن
الأشجار، التي تروى بهذه الطريقة، تعطي محصولين في العام. إلا أن
المحصول الثاني ليس بجودة المحصول الأول»^(١).

وقد أشار نيبور إلى أنه لم يشاهد حقول البن منذ شهر مارس
١٧٦٣^(٢)، أي منذ قيامه من بيت الفقيه بزيارة لمنطقة العدين، وحتى عودته من
صنعاء، باتجاه المخا، في أغسطس من العام نفسه^(٣)، حيث شاهدها مرة
أخرى قرب مقهى أطلق عليها اسم الدورة^(٤) (Eddora) ^(٥). ولعل هذا يدل
على أن البن لم يكن يزرع في المناطق التي مر بها بعد شهر مارس في طريقه
من بيت الفقيه إلى المخا فتعز فإب فيريم وذمار إلى صنعاء.

وذكر نيبور أن اليمنيين، كانوا يوقعون عقوبات صارمة، على من يحاول
أن ينقل شجرة البن إلى الخارج. وأن الهولنديين والفرنسيين والإنجليز قد
تمكّنوا، رغم ذلك، من تهريبها وزرعها في مستعمراتهم، إلا أن البن اليمني قد
ظل أفضل أنواع البن في العالم. ويرجع نيبور سبب جودة البن اليمني إلى أن
المناخ وارتفاع الحقول الجبلية قد وفر للبن شروطاً ممتازة، لم تتوفر له في تلك
المستعمرات. ويؤكد اليمنيون - كما أشار - أنهم قد جلبوا شجرة البن من
الحشة، وأن هذه الشجرة لا زالت موجودة بكثرة في بلاد الحشة ولا تقل بعض
أصنافها جودة عن البن اليمني^(٦).

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 335.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 433.

(٣) Niebuhr, BVA, S. 143-145.

(٤) وصلت البعثة إلى اليمن في نهاية شهر ديسمبر ١٧٦٣م وغادرت اليمن في شهر أغسطس من العام نفسه.

(٥) كان خط رحلة البعثة في اليمن على النحو التالي: اللحية - بيت الفقيه ومنها قام نيبور
برحلات جانبية إلى زبيد وغليفقة والحديدة والعدين وجيلة وتغز وحيس) - المخا - نمر - إب -
فيريم - ذمار - صنعاء، ثم العودة من صنعاء إلى المخا عن طريق معحق وبيت الفقيه.
(٦) يبدو من وصف نيبور ومن خاوطه أن تلك المقهى تقع في منطقة حراز.

القات.

على الرغم من أن زراعة القات، في القرن الثامن عشر، لم تكن تمثل أهمية كبيرة. قياساً بأنواع المزروعات الأخرى، وهو ما نلاحظه من خلال كتابات نيبور، إلا أن الأهمية التي اكتسبتها هذه الشجيرة، عبر أكثر من مئتي عام، أي منذ زيارة نيبور وحتى الآن، حيث أصبحت اليوم تمثل نوعاً من الزراعة لابناس ولا يقاوم إغراؤه، وذوت أمام جبروته شجرة البن الثمينة رمز اليمن ونافذته إلى عالم العصر الحديث، تجعلنا على غير رضى نسرد هنا ما سجده نيبور حوله:

لقد سجل نيبور أول ملاحظة عن القات، عند حديثه عن وصول البعثة إلى نعر، فخلال الأشهر التي قضاها متجولاً في تهامة، لم يتطرق إلى ذكره، وحتى أثناء رحلته القرعية، من بيت الفقيه إلى العدين وجبله، ثم إلى حيس ماراً بالقرب من مدينة نعر دون أن يدخلها، ثم إلى بيت الفقيه، لم يسجل أي ملاحظة تتعلق بالقات. وعندما غادرت البعثة بيت الفقيه إلى المخا ومن المخا إلى نعر، في طريقها إلى صنعاء، استقرت بضعة أيام في نعر، وذهبت لزيارة عامل نعر، وفي مجلسه شاهد نيبور القات، وسجل عنه في يومياته العبارات التالية: «إنه عارة عن أغصان رطبة من شجرة معينة، يستعملها اليمنيون، لتعضية الوقت، مثلما نستعمل نحن الشقوق»^(١) ومثلما يستعمل الهنود التنبل. ولكننا لم نستع طعمه، مع أن اليمنيين يجدون طعمه لذياً»^(٢). ويأتي نيبور على ذكر القات مرة أخرى، في سياق حديثه عن استعدادات اليمنيين في نعر، لاستقبال العيد، حيث جهز المواطنون أنفسهم بمحتاجات العيد وبالقات^(٣). ليردني نيبور أنه شاهد رُبط القات بعد ذلك في المناطق الجبلية، لدى

(١)

(٢)

Nebuhr, C., RB. Bd. 1, S. 376.

Nebuhr, C., RB. Bd. 1, S. 376.

(٣) يسمى في اليمن البردقان.

لأعيان، وأن الولع به يعتبر من مكمالات الشخصية المحترمة، وأن صاحب
الأسان يضعونه مباشرة، وهو في نفس الحالة، التي يقطف منها الأشجار،
والذين ليست لهم أسنان سليمة، فإنهم يلحظون إلى دقه في ملق الهون، قبل
وضعه في أفواههم^(١).

وكما هو الحال بالنسبة لشجرة البن، فإن القات قد جذب من الحبشة
أيضاً، إلا أن القات - كما لاحظ نيبور - لا يحقق إيراداً لليمنيين من العملات
الاجبية^(٢).

البخور:

ذكر نيبور أنه كان للبخور اليمني شهرة كبيرة في التاريخ القديم، رغم
أن البخور الذي كان يصدر من اليمن لم يكن جميعه يزرع في اليمن نفسها، بل
كان يستورد جزء كبير منه ويعاد تصديره، أما الآن - أي عند زيارة نيبور - فقد
تراجعت أهميته، ومع ذلك فلا زال يزرع في الجنوب الشرقي من ظفار. وفي
نن ومرباط Merbāt وحاسك Häsek والشحر، في جنوب اليمن. وهناك أنواع
من البخور مستوردة من الحبشة وسمطرة وسيام وجاوة، ومن بين تلك الأنواع
نوع يعرف بالجايوي. وقد لاحظ نيبور أن اليمنيين يقرون بعدم جودة البخور
اليمني، ولذا فإن الأعيان يستعملون البخور الهندي، كما يستعملون المستكى
بكميات كبيرة^(٣).

- محاصيل زراعية أخرى:

فكر نيبور أن الذرة كانت تزرع في معظم مناطق اليمن التهامية
والجبيلة، وأنها تكاد تكون الغذاء الوحيد لعامة الناس. وإلى جانب الذرة، كان
يُزرع القمح والشعير والفاصولياء والعدس وقصب السكر والتبغ والفصن والورس

Nachtr. C. BVA 5 50

Nachtr. C. BVA 5 105

Nachtr. C. BVA 5 141 144

(١)

(٢)

(٣)

وفيلة، وكثير من الأشجار المثمرة. ولم يلاحظ نيسور أن اليمسين يزرعون
الأرز. وقد استعرب فدنك، حيث كان الفرنسيون والدين زاروا مدينة المواسم
عام ١٧١٢ م قد زعموا أنهم رأوا مزارع الأرز في طريقهم إلى المواسم^(١)
وقد حدد نيسور أنواع المروغات وساطقتها على النحو التالي:

هي منطقة (البحر الأعلى)^(٢)، وعاصمتها جيلة، تزدهر زراعة القمح
والذرة وأنواع كثيرة من الفواكه، إلى حد أن هذه المنطقة قد سميت ومنز
حوب البحر^(٣)، كما يزرع فيها بنات الورس الأصفر اللون، الذي تصلوه
كميات كبيرة إلى صفت^(٤). وفي العدين تزرع مختلف المحاصيل، وخاصة
القمح، ويوجد فيها كثير من أشجار الفواكه^(٥)، ويزرع فيها كذلك قصب السكر
إلا أن روعة رتبة^(٦) وهي منطقة سحان، وعاصمتها صنعاء، تكثر الأشجار
المثمرة، كالنخيل والشمش والفرسك والعنب والوز والعنب، الذي يوجد به
أكثر من عشرين صفاً^(٧). وفي منطقة مغرب عس، وعاصمتها ذمار، تكثر غلال
الحبوب بأنواع^(٨). وفي منطقة نجران، وهي منطقة وفيرة المياه، تزرع أنواع
الحبوب بكميات كبيرة، وفيها أنواع شتى من الأشجار المثمرة، وخاصة النخيل،
كما توجد فيها مزارع ممتازة^(٩). وتنمو أشجار النيلة بكثرة في بعض الوديان،

Niebuhr, C., BVA, S. 150-151.

Niebuhr, C., BVA, S. 238.

Niebuhr, C., BVA, S. 238.

Niebuhr, C., BVA, S. 245.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 344.

Niebuhr, C., BVA, S. 230.

Niebuhr, C., BVA, S. 235.

Niebuhr, C., BVA, S. 272.

(١٠) د. طيب إحدى السفن الفرنسية الراسية في المخا واسمه بارسيو الإمام المهدي محمد بن أحمد
في محنت المواسم لمعاملته وزاد في الرحلة الرائدة في لاجر بلوثير. انظر: مأكرو، البحر
ص ٣٩-٤٠

(١١) هكذا سمي نيسور هذه المنطقة، إلا أن اسمها وفقاً لموقعها هو: اليمن الأوسط، وليس
الأعلى.

كوني المسطح Wadi el-Mahad ، ووادي زيد^(١) . ويزرع التبغ بصورة خاصة في
 سفحه وصاب العالي ، وهو أجود أنواع التبغ في اليمن^(٢) . وتوجد في اليمن
 شجرة البلسم ، وقد ذكر نيبور أن اليمنيين يسمونها شجرة (أبو شم) لرائحتها
 نركية ، ولكنهم لا يعرفون أنها شجرة البلسم ، ولهذا فإن بعض التجار في
 نحبدة يرسلون أوعية إلى (المدينة) ، في الحجاز لملئها بالبلسم ، حيث يجمع
 هناك ، ويرسل دون أن يغش ، أما البلسم الذي يباع في جدة فإنه مغشوش^(٣) .
 ويوجد في اليمن كذلك شجر الأراك ، الذي تستخدم أغواذه لتنظيف الأسنان ،
 وتصدر منه كميات كبيرة إلى المدن العربية ، مثل البصرة وحلب^(٤) .

وإلى جانب ذلك أشار نيبور إلى خصوصية بعض المناطق ، دون أن يذكر
 أنواع الزراعة فيها ، مثل جبل صبر ، الذي أشار إلى أنه خصب جداً ، إلى درجة
 أن اليمنيين يعتقدون ، أنه يحوي كل أنواع النبات في العالم^(٥) ، وحضرموت
 التي تحتوي على وديان خصبة^(٦) .

ب. المياه وأنظمة الري:

أشار نيبور إلى اعتماد اليمن في زراعتها على مياه الأمطار ، وقد لاحظ
 هطول الأمطار في الصيف بانتظام ، كل يوم تقريباً ، في فترة بعد الظهر ، وخاصة
 في المنطقة الواقعة بين جبلي صبر وسمارة^(٧) . وعندما وصلت البعثة إلى يريم ،
 كانت يريم تعاني من عدم هطول الأمطار ، ولذا قرر الأهالي أن يصلوا صلاة
 الاستسقاء^(٨) . وترتبط باعتماد اليمنيين على مياه الأمطار ظاهرتان ، تكررت

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 327. U. RB, Bd. 1, S. 331, 326.

(٢) Niebuhr, C., BVA, S. 245.

(٣) Niebuhr, C., BVA, S. 245.

(٤) Niebuhr, C., BVA, S. 149.

(٥) Niebuhr, C., BVA, S. 241, U. RB, Bd. 1, S. 385.

(٦) Niebuhr, C., BVA, S. 283.

(٧) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 377, 401.

(٨) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 401-402.

بشدة يسور بينهما، الأولى كثرة الأسر الجوفية، والثانية كثرة السدود،
وقد ذكر يسور أن المياه ترفع من الأسر الجوفية، بطريقة (المسنى) وأنه شاهد
نموا ترفع من المياه بواسطة ست بكرات، تنصب عند فوهتها، فإذا رويت
الأرض بيبه الأسر بهذه الطريقة، فإن الزراعة تصبح مكلفة جداً، كما أن طريقة
نوى هذه طريقة ضيقة ومرهقة وعلى خلاف طرق الري التي يشاهدها المرء في
مدن أخرى من الشرق^(١).

وقد لاحظ نيسور وجود نوعين من السدود، النوع الأول، يحفر في
الأرض، وتحفظ فيه مياه الأمطار، لشرب الإنسان والحيوان ولري الحقول.
ونوع الثاني، عبارة عن سدود مؤقتة، تقام في مجاري السيول، لرفع المياه
وتوجيه جزء من المياه إلى الحقول، على جانبي المجرى، ففي هجير Hadejir،
مسقط النحي مثلاً، شاهد سدين، سماهما خزانين^(٢)، أحدهما لشرب
نموشي، والآخر لشرب الناس^(٣). وفي الطريق من مفتح إلى سهام Schân
شاهد سد حرائف، قال عنها إنها «تصح في أوقات معينة من السنة سيئة جداً،
رمد لها لا تنطف، كما أنها تترك مكشوفة»^(٤)، وفي وادي زبيد شاهد في
مجرى ليل، السدود الترابية التي تعترض المجرى وترفع منسوب الماء إلى
مستوى الحقول^(٥). ويتم ري الحقول وفق نظام محدد، فكل فلاح يقيم سداً من
التربة في مجرى الماء، ليرفع بذلك منسوب الماء، ويدخله إلى حقله، ويروي
حقله. صم وقت محدد، يترك بعده الماء ينساب إلى حقل جاره^(٦).

(١)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 315, 320, 323, 350.

(٢)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 410, 396-397.

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 434.

(٤)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 432.

(٥)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, 437.

(٦)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 356.

(٧)

للمقصود ما بالحزمات والسدود الترك المنتشرة في قرى اليمن ومدنها ويطلق في بعض المناطق
نفس الاسم على حواد الماء في الشكل المستدير. أما الخزان ذو الشكل المستطيل فيطلق عليه
نفس التسمية لوالترك.

(١)

(٥) حوالي ٢٥٠ متراً.

وهي سفت الإشارة إلى طريقة ري بعض حقول البن في المدرجات الجبلية،
عن طريق برك في أعلى الحقل، متصلة بقتوات، ينساب فيها الماء ليصل إلى
جميع أشجار البن في الحقل.

وتحدث نيبور عن سد مارب، وأهميته التاريخية، وقدم وصفاً له،
منشأ في ذلك على السماع، إذ إنه لم يزر منطقة مارب. وقد أكد، في سياق
حديثه عن سد مارب، أنها توجد في اليمن سدود كثيرة، أقامها الإنسان اليمني،
لحجز وحفظ مياه الأمطار، التي لا تهطل إلا في أوقات معينة من السنة. إلا أن
تلك السدود صغيرة الأحجام، ولا تقاس بضخامة سد مارب. واختتم حديثه عن
سد مارب بالعبارة التالية: «إنه من الممكن، ومن المفيد للسكان اليوم، نظراً
لخصائص الطبيعة لمنطقة مارب، إعادة بناء السد، تماماً مثلما كان بناؤه ممكناً
وميداً في الماضي. ولكن مارب كانت في الماضي عاصمة لملك، كان حكمه
يشمل جزءاً كبيراً من اليمن وحضرموت، في حين أنها الآن مقر لشريف فقير،
لا يمتد حكمه خارجها إلا إلى عدد محدود من القرى، يكاد يعجز أن يدافع عنها
في وجه جيرانها، وهو أعجز من ذلك بكثير في أن يفكر بإعادة بناء سد كبير
كهداه^(١).

والى جانب إشاراتِه عن الآبار والسدود، لفتت نظره الطريقة التي يتم بها
توصيل المياه إلى مدينة إب وبيوتها، وكذا الطريقة التي يتم بها تزويد المسافرين
بمياه الشرب.

ففي شرق مدينة إب يقع جبل بعدان، الذي ينساب منه الماء في قناة،
توق جدار طوله ١٥٠ خطوة مزدوجة^(٢) إلى جامع كبير، ومنه إلى المنازل، وإلى
المساجد الأخرى. ولأن الجامع الكبير يقع في مكان منخفض، فإنه يتم رفع
المياه من خزان الجامع إلى خزان آخر مرتفع، بطريقة المسمى. ومن الخزان

Nicholson, C., BVA, S. 277-279.

(١) حوالي ٢٥٠ متراً.

المرتفع ينسب الماء إلى المدينة^(١).

وفي المناطق الجبلية صادف نيبور ، بصورة متكررة ، على امتداد طرق المسافرين ، ماسماً ماجل Madsjil ، ويعرف حتى اليوم في بعض جهات المنطقة الوسطى ، في منطقة محافظة إب ، بالسقاية ، وقد وصفه على النحو التالي :

وفي هذا الجبل^(٢) وجدنا ثلاثة مواجل ، أو بيوت ماء صغيرة ، وهي تملأ باستمرار بماء صاف عذب ، وذلك ليجد المسافرون ماءً طيباً يجلسون به نشاطهم . وخزانات المياه هذه عبارة عن بناء مربع مساحته حوالي ٢٠ قدم وارتفاعه ٥ إلى ٧ أقدام وسطحه من الأعلى إما مدور أو مخروطي الشكل ، وله في إحدى جهاته فتحة صغيرة ، يُصب منها الماء إلى داخله . ويجد المسافرون هذه المواجل وعاءة صغيرة ، إما من القرع أو من الخشب^(٣) .

وقد أكد نيبور أنه خلال تجواله في اليمن ، لم يشاهد طواحين هوائية لومائية^(٤) .

ج . الأدوات الزراعية :

تحدث نيبور عن الأدوات المستخدمة في الحقول ، وطرق استخدامها ، ضمن كتابه (وصف بلاد العرب) رسوماً لها^(٥) ، وهي بمجملها أدوات وطرق لازالت تشاهد في الحقول اليمنية حتى اليوم . فقد أشار إلى المفرس^(٦) ، والمحر اليدوي ، الذي يستخدم بواسطة فلاحين متواجهين ، أحدهما يسحب نحور ، بواسطة حبلين مشدودين إليه ، والآخر يضغطه في الوقت نفسه إلى

(١)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 396.

(٢)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 344, 396, 410, 431.

(٣)

Niebuhr, C., BVA, S. 217.

(٤)

جبل المسعد el Mass'ad .

(٥)

انظر الملحق .

(٦)

استخدمنا هنا التسميات المعروفة في المنطقة الوسطى (محافظة إب) .

الأسفل، بواسطة مقبض خشبي، لينغرس في التربة، ويجرفها معه. كما أشلر إلى المحر، الذي يسحب بواسطة الثيران، ويعمل عليه فلاح واحد، بتولى صفته إلى الأسفل، في حين تسحب الثيران إلى الإمام، جارفاً معه التربة، وإلى المحراث وحجر درس القمح (المدوم) والمنشار^(١).

ولاحظ نيبور عداً عن ذلك، أن الفلاحين في مناطق الجبال يستعملون نهم مقاعد فوق الأشجار، يراقبون منها حقولهم. أما في تهامة فينصبون لهم مصطبة عالية، فوق أربعة أعمدة خشبية، يعلوها سقف^(٢).

٢. الثروة الحيوانية:

يستشف من إشارات نيبور أن الثروة الحيوانية في اليمن كانت تتكون من المواشي وحيوانات النقل (الحمير والجمال والخيول). ففي يافع^(٣)، كما في (اليمن الأعلى)^(٤)، وعاصمته جبلة^(٥)، تكثر الحيوانات ذات القرون، أي الأغنام والأبقار، كما يشاهد المرء «في قاع جهران أغناماً جميلة وباعداد كبيرة»^(٦). وفي نجران تكثر المراعي الممتازة، مما يساعد على تربية الخيول والجمال، التي تطلب في جميع أنحاء اليمن^(٧). وتشتهر الجوف بتربية الخيول والجمال أيضاً، وتباع منها سنوياً أعداد كبيرة في مملكة الإمام^(٨). أما في مملكة الإمام فإن المنطقة الوحيدة، التي تربي فيها الخيول، هي منطقة مغارب عس، وعاصمتها ذمار^(٩). وللخيول الذمارية شهرة ممتازة^(١٠). وتباع الخيول اليمنية في

Nebuhr, C. RB. Bd 1, S. 217.

Nebuhr, C. Bd 1, S. 435.

Nebuhr, C. BVA, S. 282.

Nebuhr, C. BVA, S. 238.

Nebuhr, C. BVA, S. 233.

Nebuhr, C. BVA, S. 272.

Nebuhr, C. BVA, 276.

Nebuhr, C. BVA S. 235.

Nebuhr, C. RB Bd 1, S. 407.

(١٠) انظر هامش ص ١٥٦ من هذا البحث.

المخاض، مبلغ يتراوح بين ثمان مئة إلى ألف ريال للخيل الواحد. وقد أكد أحد التجار الإنجليز لنيبور، وأن أحد مواطنيه اشترى في العام الماضي (١٠) واحداً من هذه الخيول، وأنه قد عرض له فيه في البنجال ضعف المبلغ الذي اشتراه به، ولكنه فضل أن يرسله إلى بريطانيا، على أمل أن يحصل على أربعة أضعاف ثمنه الأصلي (١١).

وذكر نيبور أنه يوجد في اليمن نوعان من الجمال، نوع متوسط الحجم، لونه بني فاتح، ويكثر في مملكة الإمام، ونوع ضخيم الحجم، لونه بني داكن، يجلب من نجران إلى مناطق اليمن الأخرى. كما يوجد في اليمن نوعان من الحمير، نوع صغير، ونوع ضخم الحجم، وجده نيبور أثناء سفره ومريحاً أكثر من الحصان (١٢). وتُجلب أفضل الحمير من صبيا (١٣) في أبو عريش (١٤) إلى مناطق اليمن الأخرى.

والى جانب إشارات نيبور عن المواشي وحيوانات النقل، تحدث عن الجراد، ومع أن الجراد لا تدخل ضمن مفهوم الثروة الحيوانية، وإنما هي بالأحرى من الآفات الزراعية المهلكة، إلا أن إمكانية تحولها من آفة زراعية إلى مصدر غذائي، جعلنا نميل إلى ذكر إشارات نيبور عنها ضمن هذا السياق.

شاهد نيبور الجراد لأول مرة في اليمن في منطقة تهامة، وذلك في شهر مايو عام ١٧٦٣ م عند بداية نضج البلح. فقد جاءت أسراب هائلة من الجراد، فلدت من الغرب والجنوب، لتستقر بعض الوقت في تهامة، ثم تعود من حيث أتت، أو تواصل رحلتها نحو المناطق الجبلية في الشرق. وقد شاهد أسراباً فلتت من الجنوب، واتجهت رأساً نحو الشمال، ثم شاهد بعد أيام أسراباً قادمة

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 164.

(٢) Niebuhr, C., BVA, S. 164.

(٣) Niebuhr, C., BVA, S. 268.

(٤) أي عام ١٧٦٢ م.

(٥) لعل هذا هو سبب تسمية هذه الحمير بالحمير الصيانية وهي تسمية معروفة في اليمن حتى اليوم.

من الشمال نحو الجنوب، ربما أنها - كما أشار - كانت هي الأسراب التي جاءت
 فل أيام من الجنوب نفسها. كما شاهد كميات كبيرة من الجراد طافية فوق مياه
 البحر، لعلها - كما ذكر - تعبت، ولم تستطع أن تعبر البحر من الساحل الإفريقي
 المقابل، فسقطت، وطففت ميتة فوق مياه البحر. وفي شهر يولييه شاهد أسراباً
 هائلة، في جبل سمارة ويريم ومفحق^(١). كما شاهد عملية حماية الحقول من
 هذه الأسراب، في جبل سمارة فبمجرد أن رأى المزارعون أسراب الجراد، قادمة
 في السماء، أخذوا يصرخون، ويهرعون إلى حقولهم، ويربطون أقمشة على
 أعواد طويلة، يمشون بها فوق مزروعاتهم، ليمنعوا الجراد، أن تحط عليها^(٢).

وتتحول عملية الدفاع عادة إلى هجوم. فقد شاهد نيبور في جبل سمارة
 أيضاً رجلاً. . . يحمل فوق ظهره كيساً كبيراً مملوءاً بالجراد. وتباع الجراد في
 جميع المدن العربية من المخا وحتى البصرة^(٣). ولا تشكل الجراد طعاماً لذيقاً
 للمسلمين وحدهم، بل إن اليهود أيضاً يأكلونها ويزعمون أن الطير الذي أرسله
 الله لبني إسرائيل في الصحراء ليس سوى الجراد^(٤).

٤. الثروات الطبيعية :

ذكر نيبور أن اليونانيين قد أكدوا وجود ذهب وحديد في اليمن، بكميات
 كبيرة. ولكنه يعتقد أن وجود الذهب أمر غير أكيد. فلو كان الذهب متوفراً لما
 لجأ - في رأيه - الإمام المهدي عباس، عندما فكر في سك عملة ذهبية محلية،
 إلى إذابة العملة الذهبية الآتية من البندقية، وسكها من جديد. أما الحديد فقد
 أكد نيبور وجوده في منطقة صعدة، حتى عصره - أي عصر نيبور - ويحتمل
 كما أشار أن يكون موجوداً في مناطق أخرى من اليمن^(٥).

Niebuhr, C., BVA, S. 169.

Niebuhr, C., BVA, S. 174.

Niebuhr, C., BVA, S. 171.

Niebuhr, C., BVA, S. 172.

Niebuhr, C., BVA, S. 141 - 142.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

وعدا عن الحديد أشار نيبور إلى وجود الأحجار الكريمة، المعروفة بالمعيز اليمني، في جبل هران Hirrān، قرب مدينة ذمار^(١)، وفي الجبال الواقعة بين نعر وسمار^(٢). وفي السواحل التهامية شاهد كميات كبيرة من الملح، كما في منطقة الملاح وغيليقة واللحية... إلخ^(٣) وذكر وجود الملح أيضاً في منطقة مأرب^(٤).

وفي جزيرة فران Firān ذكر أنها تستخرج كميات كبيرة من اللؤلؤ^(٥). كما أشاء إلى عملية استخراج الصدف، قرب مدينة اللحية^(٦)، وإلى وجود الأسماك بكثرة، في السواحل اليمنية^(٧)، غير أن اليمنيين - كما أشار - يمارسون الصيد بقوارب بسيطة، لعلها أبسط وأقدم قوارب صيد في العالم^(٨).

٥. التجارة:

كانت المدن والأسواق الأسبوعية هي الأماكن التي تمارس فيها التجارة. وحتى التجارة الخارجية لم تكن تمارس عن طريق وكلاء لليمن في الخارج، بل كان التجار العرب والأجانب يأتون لشراء السلع اليمنية، في الأسواق اليمنية نفسها، ثم يدفعون ضرائبها المقررة، ويشحنونها في السفن بأنفسهم.

والأسواق اليمنية نوعان، أسواق دائمة في المدن الرئيسية، وأسواق أسبوعية، كثرت إشارات نيبور إليها أثناء تجواله في اليمن، مما يدل على انتشارها في جميع المناطق، وضمن مسافات متقاربة^(٩). حتى أن نيبور ليؤكد

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 235. U. RB, Bd. I, S. 408.

(٢) Niebuhr, C., BVA, S. 142 - 143.

(٣) Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 323, 359. u. BVA, S. 227, 229.

(٤) Niebuhr, C., BVA, S. 276.

(٥) Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 294.

(٦) انظر ص ١٥٠ من هذا البحث.

(٧) Niebuhr, C., BVA, S. 168.

(٨) Niebuhr, C., BVA, S. 215.

(٩) Niebuhr, C., BVA, S. 239, u. RB, Bd. I, S. 339, 431.

منه «ربما لا يجد المرء بلداً تكثر فيه الأسواق كما تكثر في اليمن»^(١). فلذا
حاولنا أن نبين محتويات السوق اليمنية، في ذلك الحين. فإن أفضل ما يقدمه
نيبور لنا هو وصفه لسوق صنعاء:

«في سوق صنعاء، كما في المدن التجارية الأخرى في الشرق، توجد
مطاح كبيرة للقوافل، ومسمرة (Simsera)^(٢) لمبيت التجار والمسافرين، وأماكن
تباع فيها الأخشاب والحطب والحديد والذهب^(٣)، والحبوب والزبدة والملح
والخبز. ويكثر وجود النساء في سوق الخبز. ويوجد في صنعاء أيضاً سوق،
يسطح فيها المرء أن يستبدل ملابسه القديمة، بملابس جديدة. كما يوجد نهار
يبيعون بضائع هندية وفارسية وتركية، وغيرها من البضائع الأجنبية. كما تباع
البهارات والأدوية والقات وأنواع الفواكه المجففة والطازجة، التي تتوفر بكميات
كبيرة، مثل العنبوت والمشمش والقرسك والتين، وغيرها من الفواكه. كما
يشاهد المرء في سوق صنعاء التجارين والحدادين والإسكافيين والسراجين^(٤)،
ونحايي الملابس وخياطي الطاقيات والبنائين والصاغة والحلاقين والطهارة
ومجلي الكتب والكتبة، الذين يكتبون العرائض^(٥)، لرفعها إلى الإمام،
أو إلى غيره من الحكام، مقابل مبلغ زهيد من المال، كما يقومون إلى جانب
ذلك بتدريس الأطفال ونسخ الكتب، ويجلسون طوال النهار في أماكنهم في
مواقع معينة من المدينة. وتعتبر أخشاب البناء ثمينة جداً في اليمن. كما أن
الحطب في سوق صنعاء غال، لأن الجبال في منطقة صنعاء صخرية. ولا تنبت
فيها الأشجار، لذا فإن الحطب يجلب من مسافة يومين إلى ثلاثة أيام، ويباع

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 28.

(٢) الشفرة بفتح السين الأولى وتشديدها وسكون الميم وفتح السين الثانية هي الزل التي يبيت
في المسافرين

(٣) أشار نيبور إلى أن هناك ما يزيد على عشرين صنفاً من أصناف الذهب، معروضة للبيع في
سوق صنعاء. انظر: Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 420.

(٤) صانعو سروج الخيل.

(٥) العريضة هي عبارة عن شكوى مكتوبة يرفعها المواطن إلى أحد الحكام.

حمل الحمل الواحد برمالين. وقد أكد لي أحدهم أنه يُستخدم في صنعاء أيضاً.
 للمحم للحجري، سبب نقص الخطب^(١).
 ومن الملاحظ أن نيبور لم يذكر البن ضمن السلع المعروضة في سوق
 صنعاء، ولغته لم يكن من السلع الهامة في هذه السوق، فقد كان استخدامه
 المحلي نادراً، كما يستشف من يوميات نيبور، حيث لم يذكر أنه قدم له خلال
 رحلته مشروب آخر سوى القشر.

وقد تركزت أسواق البن في تهامة، وفي بعض الأسواق الجبلية، القرية
 من تهامة، كقرية الحديدة Hadie، الواقعة في جنوب غرب كسمة، والتي كانت
 تعتبر سوقاً هامة للبن، إذ يجلب إليها ويباع وتدفع الضرائب عليه، في القرية
 نفسها، ثم ينقل إلى بيت الفقيه، أو إلى الحديدة مباشرة. وقد ذكر نيبور أن
 هذه القرية تكاد تكون معروفة لجميع التجار الأجانب، الذين يأتون إلى بيت
 الفقيه^(٢). وكقرية علوجة في منطقة كسمة أيضاً، وهي سوق هامة للبن، ومنها
 ينقل مباشرة إلى الحديدة^(٣). ولكن بيت الفقيه هي أهم سوق للبن في اليمن،
 بل وفي العالم كله، حيث يباع فيها البن الآتي من المناطق الجبلية المجاورة ثم
 ينقل إلى الحديدة والمخا^(٤)، وفيها يتجمع تجار من بلدان عديدة ومن الحجاز
 ومصر وسورية والقسطنطينية وبلاد البربر وفاس ومراكش والحبشة والسواحل
 الشرقية للجزيرة العربية وإيران والهند، وأحياناً من أوروبا^(٥).

ولقد ازدهرت التجارة الخارجية عبر الموانئ اليمنية، ازدهاراً كبيراً، حتى
 أصبحت الضرائب، التي كانت تدفع على السلع اليمنية المصدرة، تشكل أهم
 مصدر من مصادر إيرادات الإمام، كما سنرى.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

Nichols, C. RB, Bd. 1, S. 420

Nichols, C. RB, Bd. 1, S. 339 U. BVA. 247 - 248.

Nichols, C. BVA, S. 248.

Nichols, C. BVA, S. 226 - 227.

Nichols, C. RB, Bd. 1, S. 319

البن^(١): كان البن أهم سلعة يمنية تصدر إلى الخارج. وكان يتم تصدير أفضل أنواعه وهو البن الآتي من العدين والجبي وكسمة عبر مينائي المخا والحديدة. وكان ميناء الحديدة يعتبر ميناء بيت الققيه، فعنه يصدر البن الآتي من سوق بيت الققيه، على ظهر السفن إلى جدة. كما كانت السفن العمانية تنقله إلى مسقط ولصرة وموانئ الخليج^(٢).

وكان يصدر من ميناء الملحية البن الآتي من المناطق الجبلية القريبة، وهو قه جودة من البن الذي كان يصدر من المخا والحديدة. إلا أن رخص أسعاره وقرب الملحية من ميناء جدة، كان يقلل من تكاليف شرائه ونقله، مما جعل كثيرين يفضلون شراؤه من الملحية وشحنه إلى جدة. ولهذا فقد كان هناك تدرج خاص من مصر - يقيمون في الملحية ويتولون شراء البن وتصديره إلى جدة - إلى مصر وتركيا. وإلى جانب التجار الأجانب المقيمين كان هناك تجار يون سويًا لشراء البن بأنفسهم^(٣).

وكان البن الآتي من بلاد حاشد وبكيل يصدر من ميناء جيزان إلى جدة ثم إلى السويس والقاهرة^(٤). ومن ميناء عدن كان يصدر بعض البن «ولعله يأتي من سقطتي يافع وقعطة»^(٥).

Nachtigal C BVA. S 228-229-227

(١)

Nachtigal C RB Bd I. S 305-306

(٢)

Nachtigal C BVA. S 267

(٣)

Nachtigal C BVA. S 254-255

(٤)

(٥) فلان يعرف الأوروبيون أنش كان الهولنديون. ابتداء من القرن السادس عشر، يقومون بشراء من اليمن ويبيع في بعض البلدان الآسيوية بكميات قليلة، ولم يصبح سلعة تجارية ذات أهمية إلا حوالي عام ١٧٥٠. عندما بدأ طلب الأوروبيين له. وقد نمت زينة الطلب عليه وارتفع أسعاره. وفي سنة ١٨٠٠ في اليمن إلى قيام الهولنديين والفرنسيين والإنجليز بزرعته في مزارعهم. لأن وقتها كانت أقل خوفاً من السن اليمني. قازن: عدد ٥٥، هوسد ونهاسد بحري ص ٢١

لاقتله الهام
جمية كنت تستو
صنع هدية وترك
يكن ليسيل لا
ي. لمحا هو سل
حديده الذي يش
وعند حديث

نترد إلى اليمن
بالتصدير والسيوف

وقد سجل

داخلية في اليمن

تجار الحضارة

إمام^(١)

وتحدث نيب

لأثمان هذه البيض

نقريباً:

- الفترة الأولى تم

- الفترة الثانية تم

- الفترة الثالثة تم

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

سلع أخرى
مع أن يمين قد امتدحوا - كما ذكر نيسور - عن تجارة البحر
ونصر. في زدهوت في تروبيهم القديم، متجارة السرا إلا أن بعض العصر
لا - أي في عصر نيسور - يصدر من ميناء المحاء، ولا زال صبر سفرة
مضوء غامضاً - كما يصدر البحر والنحور من ميناء الشحر^(١) ومن مواين
مرباط وحسك وفاز ويصدر بحور ففاز لحدود من بحور مرباط وحاسك، وهذا
لحد من بحور الشحر^(٢). ويصدر من المواين، الحضرمية أيضاً المروم التتو
Drachmen خاصة إلى سقط والهند^(٣).

ومن السلع ائمية الأخرى التي تصدر إلى الخارج أعواد الأراك التي
ننحمه لشعيف الأسماك. حيث تصدر بكميات كبيرة، إلى المدن العربية
كالبصرة وحنا^(٤) كما تصدر كميات كبيرة من الزبيب^(٥)، لم يشر نيسور إلى
الحيث التي كنت تصدر إليها. وفي ميناء جيزان ازدهرت تجارة أوراق السن
Senecblatrem، ذات النوعية الممتازة التي كانت تنمو في منطقة جيزان^(٦)
ويصدر اللورس بكميات كبيرة إلى عمان^(٧). وفي سياق حديث نيسور عن
الاسمر، أورد أسماء سلع أخرى. يمنية كالصدف، وغير يمنية، تستجلب من
بندر أخرى. ويعاد تصديرها من ميناء المخا^(٨)، كما سنرى.

ب. أهم الواردات:

كانت أهم السلع المستوردة تأتي إلى اليمن من الهند. وقد سبقت الإشارة

Niebuhr, C., BVA, S. 284.

Niebuhr, C., BVA, S. 282.

Niebuhr, C., BVA, S. 287.

Niebuhr, C., BVA, S. 283.

Niebuhr, C., BVA, S. 149.

Niebuhr, C., BVA, S. 147 - 148.

Niebuhr, C., BVA, S. 267.

Niebuhr, C., BVA, S. 238.

Niebuhr, C., BVA, S. 220 - 221.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

(٩)

والقمشة الهندية. وقد ذكر نيبور أن الأقمشة الأقل حودة من الأقمشة هندية كانت تستورد من مصر^(١). وفي حديثه عن سوق صماء أشار إلى وجود صناعات هندية وتركية وإيرانية. ولكنه لم يبين أنواعها. أما السلع الأوروبية فقد ذكر أن نيبور لا يحتاجون إليها كثيراً. لهذا فإن معظم ما يحلبه الأوروبيون من سلعها هو سلع هندية. والسلعة الأوروبية الوحيدة، المفضولة كثيراً، هي الحديد، الذي يشتريه الإنجليز من الدينمارك، ويأتون به إلى ميناء المخاب^(٢).

وعند حديث نيبور عن الأسعار - كما سنرى - ذكر أسماء سلع كانت تستورد إلى اليمن، وهي الفولاذ ومواسير البنادق والمسدسات ومادة الرصاص والقصدير والسيوف والمرايا والسكاكين والكاسات والشموع^(٣).

وقد سجل نيبور ملاحظة، تشير إلى شكل من أشكال الحركة التجارية داخلية في اليمن، بين موانئ حضرموت، وموانئ تهامة، وعدن، حيث كان تجار الحضارمة يجلبون الأقمشة والمفارش والجناني إلى موانئ مملكة إمام^(٤).

وتحدث نيبور عن نظام تسديد أثمان البضائع الأجنبية المستوردة، فذكر أن أثمان هذه البضائع تسدد في ثلاث فترات، كل فترة منها مدتها ستة يوم تقريباً:

- الفترة الأولى تمتد من ١٧ سبتمبر وحتى ٢٢ ديسمبر.
- الفترة الثانية تمتد من ٢٣ ديسمبر وحتى ٢ أبريل من العام التالي.
- الفترة الثالثة تمتد من ٣ أبريل وحتى ١٠ يولييه.

Niebuhr, C., BVA, S. 217 - 248.

Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 446 - 447.

Niebuhr, C. BVA, S. 220 - 221.

Niebuhr, C., BVA, S. 283.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

وكل صناعة تسلم صور إحدى هذه الفترات، فلا بد أن يسدد ثمنها قبل
انقضاء فترة شهر^(١).

ويصور خلال مسحلة نييور، أثناء رحلته في يومياته، أن التجار، في
المركز التجارية والموانئ المختلفة، كانت ترصدتهم بعضهم علاقات وثيقة.
وسند على ذلك من خلال التوصيات، التي حملتها البعثة معها، من تجار
عرب وهنود في جلة إلى تجار في النجبة والمخا ومن تجار في اللحية إلى
زملائهم في بيت النقيب. ومن بيت النقيب إلى المخا. ومن المخا إلى نجر
وصعدة^(٢) بل إلى كات تم تحويلات مائية، على الأقل بين التجار الهنود.
فقد ذكر نيور أن الميسر لا يتعاملون بالتحويلات المالية بل يحملون النقود
معهم فيكونون بذلك عرضة للسرقة. ولكن المسافر يستطيع أن يتعامل مع
الهنود، فهم أكثر أماناً. وبواسطتهم يمكنه أن يحصل على تحويل مالي، كما
يمكنه أن يحصل على توصيات إلى زملائهم، في الموانئ والمدن المختلفة.
لتقديم المساعدة اللازمة لهم^(٣).

جـ - الأسعار والأوزان^(٤):

في تسجيل نيور للأسعار اعتمد على ما دونه زميله فورسكال في
لورقه، التي حنفها، من أسعار للبضائع، التي كانت قد جلبتها سفيتان
هولدين إلى ميناء المخا، وللمصانع، التي حملتها السفيتان معها من المخا.
وكأن فورسكال قد دون هذه الأسعار معتمداً على معلومات استقاها من الوكيل
التجاري للباخرتين. وقد أبدى نيور بعض التحفظ على دقة هذه الأسعار،
وذلك سبب ما لمسه في الوكيل التجاري من طبيعة استغلالية. ومع ذلك ورغم

(١) لم يصرح

(٢)

(٣)

(٤) انظر:

Niebuhr, C. RB, Bd 1, S. 445 - 446

Niebuhr, C. RB, Bd 1, S. 296, 317, 360, 373, 377.

Niebuhr, C. BVA, S. 289

Niebuhr, C. BVA, S. 219 - 221.

منه يسود يمكن لهذه الأسعار، وبعد مضي أكثر من مئتي عام على
حجمها، أن تعطينا ولو صورة تقريبية للأسعار المتداولة في السوق في ذلك
سواء بالسنة للبضائع المستوردة، أو بالنسبة للبضائع المصدرة.
لنأخذ بعض البضائع المستوردة إلى ميناء المخا:

٣٠ ريالاً للبحار الواحد.	من الحديد
٤٠ - ٥٠ ريالاً للبحار الواحد.	نولاد
١٠ - ١٢ ريالاً للقطعة الواحدة(*)	مأسورة البندقية
ريالين للفراسلة.	مادة الرصاص
ولم يكن يحق لغير العامل أن يشتري مادة الرصاص.	نفسه
٥ ريالات للفراسلة.	

ولم يورد نيور أسعار المرايا والسكاكين والسيوف والكاسات والشموع
لتي جاءت بها السفيتان المذكورتان. أما المسدسات فلم تتمكن السفيتان من
بيع شيء منها.
أسعار البضائع المصدرة:

الن/٥٥ ريالاً للبحار الواحد. ويتم دفع ريال واحد إضافة إلى السعر، مقابل
عملة الوزن، ونصف ريال كبقشيش. وذلك عن كل بهار من الن.
وإضافة إلى ذلك يتم دفع ٣٪ من القيمة، كضريبة جمركية(**)، وهذا ينطبق
على جميع أنواع البضائع المصدرة.

(*) كان الصينيون يستوردون مأسورة البندقية فقط أما خشب البندقية وأجزاءها الأخرى فكانوا
يصنعونها، ويتركبونها محلياً، وكانت بنادقهم تعمل بواسطة الفتل.
انظر:

Niebuhr, C., BVA, S. 220.

(**) ذكر نيور في موضع آخر أن الإمام كان يحصل على ربع قيمة البضائع المصدرة. وليس واضحاً في
كانت نيور فيما إذا كانت الضريبة المذكورة (٣٪) تدخل ضمن الربع أم أن هذه الضريبة
بفصلها المشتري الأجنبي في حين يدفع الربع من قبل التاجر المحلي أو العرّاع. انظر:

Niebuhr, C., BVA, S. 210

- الصر الطي / ٢٠ ريالاً للبهار الواحد.
 - الحر / ٥ ريال للفراولة. وأفضل أنواعه تجلب من الحبشة ويعد تصديرها.
 - البخور / ١٢ - ١٥ ريالاً للبهار الواحد.
 - السنا / ٥ ريالات للبهار الواحد.
 - خواتم ذهبية، حبشية المنشأ / ٢٠ - ٢٢ للوقية (الوقية تساوي $\frac{1}{15}$ رطل هولندي).
 - العاج، حبشي المنشأ / ١٠٠ ريال للبهار الواحد.
 - الصدف / ريال واحد للثة قطعة.
 - النحاس / ٧ - ١٠ ريالات للفراولة، ويجلب من الحجاز وسورية ثم يعاد تصديره.
 هذا وقد أشرنا سابقاً إلى أثمان الخيول التي كانت تتراوح بين ٨٠٠ - ١٠٠٠ ريال للخيل الواحد.

أما الأوزان فقد اعتمد نيبور في إيرادها على معلومات استقهاها من تاجر انجليزي، زار بيت الفقيه والمخاعدة مرات، ودرس بعناية - كما يذكر نيبور - الأوزان المختلفة، التي كان يجري التعامل بها، في كل من بيت الفقيه والمخا. ويبدو أن الأوزان لم تكن جميعها موحدة. فهناك أوزان في بيت الفقيه، تختلف في مقاديرها، عنها في المخا. ولعل ذلك كان حال الأوزان في المدن، والمناطق البعيدة المختلفة. وسنوردها فيما يلي كما أوردها نيبور نفسه:

١٦ ديتو Dito = قفلة واحدة Caffila.

١٠ قفلات Caffilas = وقية واحدة Wakie (*).

(*) لا يبدو محتملاً أن تكون هذه الوقية هي نفس الوقية التي كان يوزن بها الذهب ونحوه $\frac{1}{15}$ رطلاً هولندياً كما هو مذكور أعلاه.

١.٢٢ وقية = بيك واحد Bck.
٨٧ بيك = وزن ١٠٠ ريال أسبانيا.

الأوزان الكبيرة في المخا:

رطل واحد = ١٥ دقيقة.
موند واحد Maund = ٤٠ ديتو.
٤٠٠ ديتو أو ١٠ موند = فراسلة واحدة.
٦٠٠ ديتو أو ١٥ فراسلة = بهار واحد Bahār.

الأوزان الكبيرة في بيت الفقيه:

٢٩ ديتو = موند واحد.
٢٩٠ ديتو = فراسلة واحدة.
١١٦٠٠ ديتو أو ٤٠ فراسلة = بهار واحد.

وقد ذكر نيبور أن صديقه فورسكال كان قد سجل أيضاً أوزاناً مشبهة،
بوزن الأونس والرطل الهولندي والرطل الإنجليزي. وهما محتفظان، فالفراسة
سوي ٢٨ رطلاً هولندياً وتسوي ٣٢ رطلاً إنجليزياً^(١).

١. العملات:

أشار نيبور مرة واحدة فقط إلى عملية بيع وشراء، تمت بحريفة
شاذة^(٢)، وذلك في سياق حديثه عن رحلة البعثة من جدة إلى المحبة هي
منطقة، ذكر أنها تقع بين أبو عريش والحجاز، قدم بعض السكان لمسيبة،
ثم كانت تقبل أعضاء البعثة، الحليب والزبدة، مقابل الفرة والزلأ^(٣).

^(١) Bahār C. BVA. S. 220

^(٢) Bahār C. BVA. S. 291 L. RB. Bd. I S. 292-293

^(٣) كنت طريقة المقايضة لا تزال موجودة في مناطق التريف نيجري إلى عام ١٩٢٢. من بعض
نقطة أنه كانت أكثر انتشاراً في عصر نيبور. ولعل عدم تكرار ذكره يرجع إلى أنه
لم يصبه شخصياً أثناء رحلته سوى مرة واحدة.

وعدا ذلك من كل ما تحل كداته من معلومات يدل على أن العملات
سابقة كانت هي وسيلة الدفع، وهي في معظمها عملات أجنبية، ثم
عملات محلية فقد كانت مقصورة على القطع النقدية الصغيرة^(١٠٠). وكانت
هذه عملات فضة وعملات ذهبية كما سرى

أ. العملات الأجنبية:

إن أكثر عملة تكررت إشارات نيسور إليها هي الريال النمساوي، الذي
كان يسمى في أوروبا الريال القيصري الروماني^(١٠١)، وأما اليمينيون فكانوا يسمونه
ريال حراً^(١٠٢)، وهو عملة نمساوية. وذكر نيسور أنه عندما لوحظ في قيس أن
هناك طلب متزايد على الريال القيصري، وأنه أصبح يصدر بكميات كبيرة إلى
مدن شرق البحر الأبيض، وخاصة إلى مصر، ثم إنقاص محتواه من الفضة
سنة ١٨٠٤ عن السابق وقد تمه اليمينيون إلى ذلك سريعا، وأخذوا يحرصون
على ألا يقبضوا الريالات الجديدة التي سكنت بعد عام ١٧٥٦م^(١٠٣).

والى جانب الريال القيصري (النمساوي) كانت هناك عملة قيصرية
أخرى مرفقة نصف الريال كما كان يوجد لدى التجار الريال الأسباني والريال
الفرنسي. وكان الريال الأسباني يعتبر أفضل من الفرنسي. ولا يكاد المرء يفتقر
في نيسور على عملة ذهبية سوى الدوكاتن Ducaten، وهي عملة ذهبية كانت

(١٠١)

Niebuhr, C. BVA. S. 217-219

(١٠٢)

Niebuhr, C. BVA. S. 217-219

(١٠٣) سنة ١٨٠٤ عندما وضع نظام في عهد المملكة المتوكلية الحميرية (١٩١٨ - ١٩٦٢)

(١٠٤) تمتد إلى سنة ١٨٠٤ على أساس ملكي وقد أطلقت هذه التسمية في البلاد العربية في القرنين
١٨، ١٩ على عملات فضة كبيرة، هولندية وألمانية ونمساوية وفرنسية وأسبانية. وقد صرحت
١٩٠٢ النمساوية. أو. ب. أن ماريانبرغ، لأول مرة عام ١٧٥١ م وسحقها، في كل مرة يذكر
في نيسور، عملة الريال النمساوي. لأنه كان الريال المتداول بين الناس عد دياره نيسور كما
نرى من تلك الإشارات

Rutmann, D. Münzsammlerlexikon, Unter Latein Ducaten

وكذلك النيسورية، ص ٩٠٥

السكينة وكانت قيمتها تصل إلى ٢٦ ريالاً^(١). وهناك عملة صغيرة تسمى
نيبور وهي الاشتوفر Stuver. وهي في مستوى الفلس والسنت.
ولم يذكر نيبور مصدرها.

وقد أورد نيبور في كتابه (وصف بلاد العرب) أسماء عديد من العملات
الأوروبية، ذكر أنها شائعة الاستعمال في شرق البحر الأبيض، كالدوكاتن
نيسبركي والشلنج والروبية إلخ^(٢). ولعل هذه العملات أو بعضها كان
ستعملاً في البلاد العربية. إلا أن نيبور لم يشر في يومياته إلى وجود أي منها
في اليمن، باستثناء ما سلف ذكره.

ب. العملات المحلية:

لم تكن النقود في اليمن تسك - كما أشار نيبور - إلا بكميات قليلة، وقد
ذكر أحد أسماء الإمام المؤيد محمد بن إسحاق، واسمه أحمد، كان يقيم في الدن
يحصل على إيرادات وصاب العالي والسافل، قام بسك عملة باسمه، قبل
سنوات من مجيء (نيبور) إلى اليمن، مما دفع بالإمام المهدي عباس إلى إحصائه
عس القذوم إلى صنعاء والإقامة فيها^(٣). أما الإمام المهدي عباس نفسه فقد قام
بسك عملة ذهبية محلية صغيرة، قيمتها ريال ونصف، وثلاثة أرباع الريال.
بذلك يتدوَّب عملة البندقية الذهبية (الدوكاتن)، وإعادة سكها ولكن هذه
عملة الذهبية المحلية لم تكن رائجة الاستعمال، ولا يكاد المرء يعثر عيها
لدى الصرافين إلا نادراً. كما تم سك ستة آلاف قطعة من العملة الذهبية، قيمة
القطعة ثلاثة ريالات. ولكن لا يستطيع المرء - كما أشار نيبور - أن يعثر عليها
حتى لدى يهود صنعاء^(٤). أما العملات المحلية الفضية فقد سككت بقطع

(١) Niebuhr, C. BVA S. 217-219

(٢) Niebuhr, C. BVA S. 97-98

(٣) Niebuhr, C. BVA S. 245

(٤) Niebuhr, C. BVA S. 216

(٥) كان معظم المشتغلين في صنعاء بالصيرفة من اليهود. انظر

مختلفة الأحجام والقيم. وأكبر قطعة منها كانت تساوي نصف ريال، وتسمى بأسماء مختلفة. فقد كان هناك الكبير والخماسي والبالولة والحرف. وكان الريال يساوي ٣٢ كبيراً أو ٦٤ خماسياً أو ٧٢ بالولة أو ١٦٠ حرفاً. وكانت هناك أنواع كثيرة من الخماسي، بعضها يستعمل في مناطق ولا يقبل في مناطق أخرى. وكانت الأسعار تحسب بصور مختلفة، «ففي اللحية تحسب الأسعار عند شراء شيء من السوق بالبالولة. أما في بقية مناطق تهامة فبالخماسي. وفي المناطق الجبلية بالحرف وبالكبير. وأما الصيارفة فيحسبون أسعار العملة وفقاً لعملة وهمية هي البقشة»^(١)، حيث يساوي الريال ٨٠ بقشة^(٢).

وقد أثبت نيبور في كتابه (وصف بلاد العرب) صورة لنصف الريال اليمني، وقدم وصفاً له^(٣)، وقد كتب على أحد وجهيه: أمير المؤمنين المهدي العباس بن المنصور بن المتوكل. وعلى الوجه الآخر: بن القاسم بن الحسين بن المهدي، دامت خلافته، ضرب في صنعاء ١١٧٧^(٤). ولاحظ نيور أن هناك عملة عربية وتركية، مكتوب عليها عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله). إلا أن العملة الجديدة، في تركيا والبلاد العربية، لم يعد يكتب عليها إلا اسم الحاكم ولقبه. ويقول نيبور: «وقد فسر لي أحد الملاء في البصرة سبب ذلك، وهو أن المسلمين لا يريدون أن يلمس النصارى واليهود والوثنيين بأيديهم غير الطاهرة هذه الكلمات المقدسة. ولكنني أشك في أن سلطان القسطنطينية وإمام اليمن يفكران نفس تفكير رجل الدين هذا. إذ أنهما،

(١)

Niebuhr, S. 217-219, U.S. 141.

(٢)

Niebuhr, C., BVA, S. XXXIV.

(٣)

(٤) يلاحظ نيبور هناك ما يبدو أن هذه العملة لم يكن يجري التعامل بها في السوق. ويحدث مثل هذا الأمر عادة إذا كان قد تم التعامل بعملة لفترة طويلة ثم اختفت، فإن التعامل بها بعد ذلك بصورة نظرية أو وهمية أمر مفهوم لأنها لا تزال باقية في أذهان الناس، فالريال والبريزة عملة المحتمل أن يتداول الناس اسم عملة لم يسبق لهم التعامل بها. ولكن من غير (٥٥) انظر الملحق.

(٥)

الأخرى، قد تركا كتابة هذه الكلمات على العملة ليفسحا مكاناً لكتابة اسميهما
والتيبهما^(١).

وفي المخا لاحظ نيبور أن التجار، عندما يسلمون بعضهم مبالغ كبيرة،
يلحظون بدلاً من عد القطع النقدية، إلى وزنها؛ ولهذا فإن صراف الإمام يقوم
بمراقبة وفحص موازين التجار والصرافين أيضاً^(٢).

أما عملية نقل النقود، فقد شاهد نيبور بنفسه تجار بيت الفقيه، وهم
يغنون نقوداً، من بين الفقيه إلى المخا، على ظهور الحمير^(٣). ومن المخا
نقل كميات كبيرة من النقود على ظهر السفن إلى الهند. وقد عادت السفينة
الإنجليزية، التي أقلت من بقي حياً من أعضاء البعثة، عادت إلى الهند وعلى
ظهرها مبلغ من الريالات القيصرية وعملة البندقية الذهبية (الدوكاتن)، يساوي
مئتين وخمسين ألف ريال^(٤). وذكر نيبور أن بعض السفن، العائدة من جدة
ومن البصرة إلى الهند، تحمل أيضاً نقوداً أوروبية على ظهرها، ثمناً للبضائع
الهندية، التي جاءت بها «وإذا فكر المرء بكمية الفضة التي تأخذ طريقها من
أوروبا، على شكل عملة إلى الهند والصين سنوياً، فإنه سيستغرب كيف أن
أوروبا لم تستنزف منذ وقت طويل. هذا إذا لم يضع في اعتباره الكنوز التي
تجلب من أمريكا إلى أوروبا»^(٥).

٧. الموانئ اليمنية وحركة السفن فيها:

نضمن عرضنا السابق للسلع، المصدرة والمستوردة، إشارات ضمنية إلى
الموانئ اليمنية. وسوف نحاول هنا رسم صورة لهذه الموانئ، في القرن
الثامن عشر، من خلال إشارات نيبور المتفرقة إليها. فنقف على حالتها

Niebuhr, C. BVA. S. 99-100.

Niebuhr, C. BVA. S. 219.

Niebuhr, C. RB Bd I S. 437

Niebuhr, C., RB. Bd. I. S. 445-446

Niebuhr, C., RB. Bd. I. S. 445

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

معرفة كانت ت
 وح مياه الحد
 معرفة، وهو
 غرة: فيلو أن
 وهو الشعب
 (١)
 وقد أشار
 بشهوراً في
 Mauschel نفسه
 أما ميناء
 نبي اسمه الع
 نوانى الأفريقية
 إلى النوانى إلى
 لأن علاقة ح
 شقة، ومع ذلك
 موانى إلى
 في تصدير الب
 (١)
 (٢)
 (٣)
 (٤)
 (٥)
 (٦)
 (٧)
 (٨)
 (٩)
 (١٠)
 في موضع آخر
 في الموقع نفسه
 لم تسجل اسم
 الحروف. انظر

ولمبها وحركة السفن منها وإليها، وعلاقتها بالموانى الأجنبية.
 من الشمال إلى الجنوب بدأت ملاحظات نيبور عن الموانى اليمنية
 بعد أن عاين حدود الحجاز. وقد ذكر أن «كل المناطق الواقعة جنوب خليج
 جزء من اليمن» (١). إلا أن أول ميناء هام في المناطق اليمنية أشار إليه هو ميناء
 حبرى، التابع لمنطقة أبو عريش. وكانت معاملة شريف أبو عريش
 للأعراب، وخاصة لرعايا إمام صنعاء، معاملة غير ودية (٢). ومع ذلك فقد كان
 ميناء حبرى هو ميناء تصدير البن الآتي من منطقة حاشد ويكيل إلى جدة، ومنها
 إلى السويس والقاهرة، وكانت تصدر منه أيضاً أوراق السنا، كما سبقت
 الإشارة. وكان لتجار جيزان علاقات تجارية مع الموانى الأفريقية الشرقية (٣).
 ولون مياه هام إلى الجنوب من جيزان هو ميناء اللحية، وهو أول موانى
 الإمام من جهة الشمال. وقد سبقت الإشارة إلى أهميته بالنسبة لتصدير البن إلى
 جدة بشكل خاص. وكان لتجاره أيضاً علاقات مع الموانى الأفريقية
 الشرقية (٤). وقد نزلت البعثة فيه، فرست السفينة التي أقلتها على بعد
 ١٢ الميل (ميل ألماني (٥))، أي حوالي ٥,٦٥٠ كلم، من اليابسة وتم إزال
 الأفرار والأمتعة بواسطة القوارب الصغيرة (٥).
 وكان ميناء الحديد أفضل حالاً من ميناء اللحية. ومع ذلك لم يكن
 يستطع استقبال السفن الكبيرة (٦). وكانت الحديد تعتبر ميناء بيت الفقيه. وقد
 حل ميناؤها محل ميناء غليفقة، الذي ربط نيبور بين أهميته وأهمية مدينة
 زيد. فقد أدى تراجع أهمية ميناء غليفقة إلى تراجع أهمية زبيد نفسها. إذ أن
 (١)
 (٢)
 (٣)
 (٤)
 (٥)
 (٦)
 (٧)
 (٨)
 (٩)
 (١٠)
 انظر ملحق ص ١٤٩ من هذا البحث.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 291.
 Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 294.
 Niebuhr, C., BVA, S. 267.
 Niebuhr, C., BVA, S. 267.
 Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 295, 298.
 Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 324.

معمقة كانت تعتبر ميناء زبيد. وهكذا حلت بيت الفقيه محل زبيد في الأهمية.
 ومن ميناء الحديدية محل ميناء غليفقة. وقد حاول نيبور أن يفسر اندثار ميناء
 غليفقة، وهو يشاهد مدينة غليفقة، وقد أصبحت مجرد قرية صغيرة مهملة،
 غزوة: ويبدو أن السبب في ذلك ليس فقط تراجع مياه البحر في السواحل العربية
 ومن الشعاب المرجانية، وإنما أيضاً بسبب الرمال الناعمة الكثيفة التي تتراكم
 هنا^(١).

وقد أشار نيبور إلى ميناء سماه ميناء موسى، وقال عنه إنه «كان مزدهراً
 مشهوراً في التاريخ القديم»^(٢)، وأن موضعه ربما كان في قرية موشد^(٣)
 Moushad نفسها، وذلك لتشابه الاسم والموقع الجغرافي^(٤).

أما ميناء المخا فهو أهم الموانئ اليمنية على الإطلاق. ومنه اكتسب البن
 جبي اسمه العالمي مكا. ويقع ضمن مملكة الإمام، وله علاقات تجارية مع
 نوانى الأفريقية الشرقية^(٥). وقد تضمنت كتابات نيبور أيضاً إشارات متفرقة
 إلى الموانئ اليمنية الجنوبية التالية: ميناء عدن: وهو - كما أشار - ميناء ممتاز،
 لأن علاقة حاكم عدن بجيرانه سيئة، مما أدى إلى عدم وجود حركة تجارية
 نشطة، ومع ذلك فلا يزال البن الآتي من يافع وقعطة يصدر من هذا الميناء^(٦).

موانئ الشحر ومرباط وحاسك وظفار: وأهم نشاط تجاري لهذه الموانئ
 هو تصدير البخور والصبر، خاصة إلى عمان والهند^(٧).

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 323.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 358.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 358.

Niebuhr, C., BVA, S. 267.

Niebuhr, C., BVA, S. 254-255.

Niebuhr, C., BVA, S. 282, 287.

^(٨) في موضع آخر ذكر نيبور أن اسم هذه القرية هو موشد أو موشج ولعله يقصد موشج التي تقع
 في الموقع نفسه الذي حددته، على الساحل بين المخا وزبيد. ولأنه قد اعتمد كثيراً على السمع
 في تسجيل أسماء القرى والأماكن فقد التبست عليه بعض الأسماء بسبب تشابه مخرج بعض
 الحروف. انظر: BVA, S. 225.

وقد ذكر نيبور أن السفن تحتاج إلى مرشدين، أثناء مرورها في المنطقة الواقعة بين مياي حمة والنفجة، وخاصة السفن الأوروبية، وذلك لكثرة الشمل المرحية ولأن الموانئ في هذه المنطقة ليست موانئ بالمعنى المصهور، على خلاف الموانئ الواقعة بين جدة والسويس^(١).

وتحدث نيبور عن نظام هبوب الرياح على السواحل اليمنية وتأثيرها على حركة السفن. فالرياح تهب ستة أشهر من الجنوب وستة أشهر من الشمال وهذا لا يعني - كما لاحظ نيبور - أنها لا تهب رياح من اتجاهات أخرى، ففي بعض شجر الرياح الشمالية ومع ذلك تهب أحياناً رياح غربية. ومرة تهب كذلك رياح شرقية إلا أن الرياح الشمالية، والرياح الجنوبية، تبقى في السيطرة والمنحكمة في حركة السفن، من الموانئ اليمنية وإليها^(٢). فالسفن التي تبحر من الموانئ اليمنية إلى الهند مثلاً لا تبحر قبل شهر مايو^(٣).

وقد لاحظ نيبور، أن اليمين لم يعودوا قادرين على السيطرة على حركة النقل الحرة، بل لم يعودوا قادرين حتى على نقل كل بضائعهم المصدرة على سفهم، فهم يقومون فقط بنقل جزء من البن، من موانئ المحاء والحديدة واللحية وحيزان إلى جدة، وينقل جزء من البخور والصبر، من الموانئ الحوية في حضرموت إلى مسقط، في حين تتولى السفن العمانية نقل الجزء الآخر.

وفي سياق حديث نيبور عن رحلة البعثة من جدة إلى اللحية، أكد تفوق السفن العمانية على السفن اليمنية. فقد نصحت البعثة وهي في جدة أن تبحر على سفينة عمانية، لا على سفينة يمنية، فأشركة السفن العمانية شبيهة بأشركة السفن الأوروبية والهندية. في حين أن أشركة السفن اليمنية مصنوعة من

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 287-288.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 445.

(٣) Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 309.

مصر، كما أن قاعدة السفن العمانية أكثر خبرة، ومعركة بالبحار، من اليمن،
 وقد نت لنيبور أن السفن العمانية أفضل من اليمنية، عندما لحقت السفينة
 اليمنية التي أقلت البعثة، بعد سبعة أيام من إبحارها من جدة، بسفينة يمنية،
 كانت قد غادرت ميناء جدة، قبل إبحار السفينة العمانية بثلاثة أيام. وكان هذا
 كما يقول نيبور: «دليلاً على أن سفينتنا العمانية أفضل من السفينة اليمنية، لأن
 يمنية عند هبوب رياح معاكسة خفيفة لا تستطيع، بأشرعتها الحصرية، حتى
 أن تغادر الميناء»^(١).

ولعله بسبب هذا التفوق وجد العمانيون مجالاً للاشتغال بنقل البضائع،
 من وإلى الموانئ اليمنية، حتى إن كثيراً من العمانيين - كما أشار نيبور -
 أصبح يعيش على نقل البن من اليمن إلى موانئ الخليج^(٢). وكانت حركة
 نقل بين اليمن وعمان تتم عن طريق البحر، لأن طريق البر، كان طريقاً غير
 آمن ومرهق ويمر عبر مناطق كثيرة تتبع مشايخ مستقلين كثيرين^(٣).

وإذا وضعنا في اعتبارنا ما ذكره نيبور من أن بعض السفن الأجنبية تعود
 إلى الهند، بعد بيع حمولتها من بضائع الهند في المحاء، غير محملة، وذلك لأن
 نعم ما تصلره اليمن هو البن، والهنود لا يحبون البن كثيراً^(٤)، فإنه يمكن
 استنتاج، أن حركة السفن المحملة بالبن من اليمن كانت تتركز في اتجاهين:
 اتجاه جدة، حيث ينقل البن من هناك إلى السويس في مصر، كما سبقت
 الإشارة، واتجاه مسقط وموانئ الخليج، العربية والإيرانية. وقد شاهد نيبور
 خلال رحلة البعثة من جدة إلى اللحية سفناً كثيرة، صغيرة الأحجام، محملة
 بالبن، ومنجها من موانئ اليمن إلى ميناء جدة^(٥).

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 289 - 290.

(٢) Niebuhr, C., BVA, S. 35.

(٣) Niebuhr, C., BVA, S. 289. U. RB, Bd. 1, S. 286.

(٤) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 445 - 446.

(٥) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 290.

لما كانت بحركة البحر الوحشية، فيمكن أن يستخلص من إشارات

بحر المصوب الثانية

كانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية ترسل من أوروبا إلى المصا، عبر
ومى منهم، سبعة كل عامين، نجلت البس. وكان عليها في كل مرة تاجر برسل
في البحر، وينوجه إلى بيت الفقيه، ليقصي فيها صفة أشهر. وعدا عن هذه
السبعة السبعة للشرق، كانت تأتي إلى الموانئ اليمنية من إنجلترا أخرى،
من قبل بحر من الشمال ومدارس وموسى وسورات^(١). ورغم أن شركة الهند
الشرقية الإنجليزية لم تكن ترسل سوى سفينة واحدة كل عامين، إلا أنها طلت
تحتفظ بيوت مستخرة في كل من المصا وبيت الفقيه بصورة دائمة. ويبدو أنها
لم تكن تحفز من تجارتها مع الموانئ اليمنية، ما كان يحققه التجار الإنجليز
للمينوب في الهند من مكاسب. فقد أرسل هؤلاء عام ١٧٦٣ م إلى ميناء المصا
معتبر من الشمال، وسفينة من موسى، وسفيتين من سورات. وكان التجار
الإنجليز يتركون - أحيانا - تاجرا منهم في المصا، ليقى فيها طوال العام. ولكن
بعد أن عمل أحداهم معاملة سيئة، أصبح جميع التجار، الذين يأتون على
البحر، يحرصون على مغادرة المصا، عائدتين على سفنهم في نهاية الموسم،
توكلين صلاتهم، التي لم يتمكنوا من بيعها، لدى وكلائهم التجاريين^(٢).

وأما الفرنسيون فلم يعودوا يرسلون سفنا إلى الموانئ اليمنية منذ سبع
سنوات على محي. يسور إلى اليمن، وذلك نتيجة لحرب السنين السبع التي
كان من أثر أطرافها فرنسا وبريطانيا^(٣). ومع ذلك فقد ظلوا يحتفظون بمقرات
بوينهم التجارية في كل من المصا وبيت الفقيه، وكانت إيجاراتها تدفع بواسطة
وكيلهم الهندي الجنسية^(٤).

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C. BVA, S XII XIII, 222

Niebuhr, C. RB, Bd I, S 444

Niebuhr, C. RB, Bd I, S 444, U BVA, S 222.

(٤) شنت حرب السنين السبع في الفترة من ١٧٥٦ م إلى ١٧٦٣ م وكان من نتائجها أن أصبحت
مصرها القوة الاستعمارية الأولى في العالم على حساب فرنسا.

ولما الهولنديون فقد كان آخر عهد سفنهم بالموانئ اليمنية قبل عامين من
 مرسى بورس. عندما جاءت إلى المخا سفيتان من مستعمرتهم (تافيا
 ١٩٥٠) (١٩٥٠). ويبدو أن تجارتهم مع الموانئ اليمنية، لم تعد مربحة، لهذا
 رحلت سفنهم عن المجرى إليها (١).

وأما البرتغاليون، الذين كانت لهم تجارة مزدهرة في الماضي مع الموانئ
 اليمنية، فقد توقفت سفنهم عن المجرى، منذ سنوات طويلة (٢).

وقد أكد نيسور أن اليمنيين، بل والعرب عموماً، قد خسروا خسارة
 كبيرة، عندما اكتشف الأوروبيون طريق رأس الرجاء الصالح (٣٠)، وأصبحو
 يتمكنون بمد أنفسهم في أوروبا، بواسطة سفنهم، بالبضائع الهندية والصينية،
 ويمدون بها أيضاً عرب المغرب ومصر وتركيا (٣).

وفي سياق ملاحظاته عن التجارة الأجنبية مع الموانئ اليمنية، سجل
 نيسور ملاحظة أشبه ما تكون بتوصية موجهة إلى الدنماركيين. فالسبع
 (أروية) لأنهم اليمنيين كثيراً باستثناء الحديد، الذي يتاجر به الإنجليز،
 ينزوه من الدنمارك، ويجلبونه إلى المخا وجدة، وهما من الممكن جداً
 - ينزله الدنماركيون أنفسهم جلب الحديد الأوروبي والأقمشة البنجالية
 يبيعونها من البضائع الهندية، وأن يقوموا بنشاط تجاري ممتاز، مع الموانئ

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 362, 444. U. BVA, S. 222.

(٢) ولقد أيضاً: فان دام، هولندا، ص ٣٠ - ٣١.

(٣) Niebuhr, RB, Bd. 1, S. 444, U. BVA, S. 222.

Niebuhr, C., BVA, S. 284, 285.

(٤) تافيا هي جاكارتا عاصمة أندونيسيا. وقد كان هذا هو اسمها حتى عام ١٩٥٠. انظر:

NUL, Bd. 1, S. 404.

(٥) منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح قضى نهائياً على دور اليمن كوسيط تجاري. ومع ذلك
 فقد ظلت سوقاً تلقى فيه تجارة الهند والصين بتجارة الشام ومصر وتركيا وأوروبا. كمثال للسبع
 ظني كانت ثاني من الشرق والغرب إلى المخا في بداية القرن السابع عشر انظر
 راور، اليس، ص ٩٨ - ١٠٠.

فقرية، مطلقين من مستعمرتهم ترينكلو، مثلما يعمل الإنجليز مطلقين من مستعمرتهم نيباه^(١).

٨. القوافل التجارية:

نشر بيور إلى أن القوافل التجارية كانت قديماً نشق (بلاد العرب) من الجنوب إلى الشمال. وبهذا لم تكن الموانئ، التي تصل إليها بضائع الهند، تنحز وحدها مكسب مالة، بل كانت المدن الأخرى داخل البلاد تحقق مكسباً أيضاً. وكذا البدو، الذين كانوا يزودون القوافل بالجمال. وذكر أن مثل هذه القوافل كانت لا تزال موجودة عندما كان هاينرش مدليتون Heinrich Middleton^(٢) في المنحأ وذلك عام ١٦١١ م، فقد قدمت في ذلك العام قافلة كبيرة إلى المنحأ ضمت تجزئاً من دمشق والسويس ومكة، جاؤوا ليتاجروا مع ساحل الهند^(٣).

وإضافة إلى هذه الإشارة، تعرض نيبور مراراً إلى ذكر السفر مع القوافل إلا أننا لا نستطيع أن نستدل مما ذكره على أن تلك القوافل كانت قوافل تجارية، إلا على سبيل الافتراض. وعلى أي حال فقد كانت تلك القوافل وفقاً لإشارته، تحرك ضمن المناطق اليمنية، كما كان بعضها يتجه نحو الحجاز عن طريق صعدة.

وقد تحدث نيبور عن قافلة الحج، التي - كما ذكر - كان يرأسها عادة واحدة من وجهاء بيت الكسي، وكانت رحلتها من صنعاء إلى مكة تستغرق خمسة وأربعين يوماً مع أن المسافة بين المدينتين حسب تقديره لا تتجاوز مئة ميل.

(١) Niebuhr, C. R.B. Bd. 1, S. 336-347.

(٢) Niebuhr, C. BVA, S. 285.

(٣) هو السير هري ميهلتون، الذي قاد الرحلة الحرة السلسلة لشركة الهند الشرقية الإنجليزية. ولد في صيد هند والمها، أواخر عام ١٦١٠ م وتم اعتقاله من قبل عامل المنحأ ومنه حوّل إلى سجن من سجنه معه وأُخذوا جميعاً إلى صنعاء. ثم تمكن من الهروب إلى سفن الراسية في ليمون لليمين نظر. مأكرو، اليمن والعرب، ص ٢٦ - ٢٧. وبراو، اليمن، ص ١١٢.

تم، وهي مسافة يمكن للمسافر أن يقطعها في ما لا يزيد عن عشرين يوماً
يرجع القافلة تتوقف في المدن التي تمر بها لممارسة التجارة^(١)، مما كان
يجعلها تحتاج إلى أكثر من ضعف الزمن المعتاد للوصول إلى مكة.
١. إيرادات الإمام:

يمكننا أن نصف إيرادات الإمام في صنعاء، استناداً إلى كتابات نيسور،
في يومين:

أولهما: إيرادات المناطق الزراعية، وثانيهما: إيرادات الجمارك، وخاصة
جمرك الموانئ.

ولم يكن الإمام يتسلم إيرادات جميع المناطق الزراعية، فقد كانت هناك
مركز تذهب إيراداتها إلى أفراد من أسرة الإمام، أو إلى أسر أخرى. فعلى
سبيل المثال، كانت تذهب إيرادات منطقة وصاب السافل، ومنطقة المخادر،
إلى عائلة إسحاق^(٢). وإيرادات رماع ابن حميد، وبعض القرى في منطقة
سحان، إلى أفراد من أسرة الإمام^(٣).

أما بالنسبة لإيرادات الموانئ، فقد كانت إيرادات اللحية والحديدة
والمخا، تذهب إلى خزانة الإمام، في حين أن جيزان وعدن وموانئ حضرموت
جميعها، كانت تقع خارج حدود مملكته. وقد أبرز نيسور أهمية مينائي المخا
والحديدة - بصورة خاصة - بالنسبة للإيرادات. فذكر أن الحركة التجارية في
نمعا كانت مزدهرة جداً، ولذا فإن إيراداتها الجمركية التي كان الإمام يحصل
عليها، كانت إيرادات عالية.

وسجل نيسور في يومياته صورة لطريقة التعامل في جمرك المخا،

Niebuhr, C. BVA. S. 285

Niebuhr, C. BVA. S. 224, 237.

Niebuhr, C. BVA. S. 232, 250, 251.

ومقدّر نصرت فمتحصلة، فذكر أن انتجار الأتراك والعرب واليهود كانوا يتجهون بضائعهم مباشرة إلى حمرة المدينة لمعايتها من قبل موظفي الجمرك. ودفع نصرت المستحقة عليها. وكانوا يدفعون عدة ضريبة تتراوح بين ٨٪ إلى ١٠٪ من قيمة البضاعة في حين كان الأوروبيون يدفعون على بضائعهم، الأتية من أوروبا، ونصير والهند، ضريبة مقدارها ٣٪ فقط من قيمة السلعة، وكانوا يستوفون بحسب آخر، وهو أنه كان يسمح لهم بقل بضائعهم مباشرة من السفن إلى مخازنهم في المدينة، حيث تتم معايتها من قبل موظفي الجمرك، في المخازن نفسها. وحتى تلك البضائع، التي كان الهنود يجلبونها إلى المخازن الهندية أصبح الإنجليز يتولون جلبها بعد أن بسطوا سيطرتهم هناك، أضحت نصح للضريبة بمسها المقررة على الأوروبيين، أي ٣٪. ويقوم التجار المحليون في المحلة بتدبير ضريبة على هذه البضائع مقدارها ٥٪ بعد شرائها من الإنجليز وهكذا يحافظ الصينيون على علاقاتهم الطيبة بالأوروبيين، وفي الوقت نفسه لا تلحق بهم خسائر نتيجة لتوسع تجارة الإنجليز في الهند^(١). وكذا الأوروبيون يدفعون على البضائع التي يحملونها من المحلة ضريبة مقدارها ٣٪ أيضاً^(٢).

ولما بالنسبة لميناء الحديدة فقد اكتسب أهمية كبيرة، بفضل تصدير البن، وكذا بحرق دخلاً جمركياً عالياً^(٣). وكان عامل الحديدة يبدو - كما أشار نسور - وكأنه لا عمل له سوى قبض الضريبة الجمركية^(٤).

وإضافة إلى الإيرادات الجمركية، التي كانت تحققها الموانئ، كانت هناك صرائب، تدفع على مرور البضائع والمسافرين، في الجمارك التابعة للمناطق الإدارية المختلفة، ففي قرية Orasch كانت تدفع ضريبة جمركية على

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 444.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 444.

(٣) Niebuhr, C., BVA, S. 228.

(٤) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 324.

سمع الذي كان ينقل إلى يافع، باعتبار أن يافع لم تكن تابعة للإمام^(١). وفي بيت الفقيه وزيد، كما في قرية موشج الواقعة على الساحل بين زيد والمخا بقرية Machas، الواقعة في طريق بيت الفقيه - العدين، كان المسافرون يدفعون مائة على أحمال جمالهم^(٢). وقد ذكر نيبور أنه وزميله فورسكال قد دفعا في قرية Machas ضريبة مرور مقدارها ربع ريال فقط. وعلق على ذلك بقوله: «هذه الضريبة، وكل الضرائب التي تأخذها الحكومة اليمنية من المسافرين، صلبة جداً، مقارنة بما يجب أن يدفعه المرء في أوروبا»^(٣).

وكان يتم تسديد ضريبة البن في قرية الحديدية Hadie التابعة لمنطقة مكة، قبل أن يتم نقله إلى بيت الفقيه أو إلى الحديدية مباشرة^(٤). ولم يوضح نيبور ما إذا كان يتم دفع ضريبة أخرى على هذا البن في ميناء التصدير.

وكان يتوجب على المسافرين المتجهين من مملكة الإمام إلى نجران بمغطة فحطان ومكة، دفع ضريبة باهظة، في جمرك مدينة صعدة، التي كانت تزين السفر تمر عبرها. وكانت هذه الضريبة تذهب إلى إمام^(٥) صعدة^(٥).

وقد حاول نيبور أن يقدم صورة واضحة، عن مقدار إيرادات الإمام مهدي عباس، مع تأكيده، أنه «من الصعب على الرحالة الأجنبي أن يحصل على معلومات دقيقة، عن إيرادات حاكم بلد من البلدان، وخاصة في البلاد العربية. حيث يضطر المرء إلى طرح أسئلته بصورة غير ملحوظة. ونادراً ما يجد فرصة للتحدث مع أناس، تتوفر لديهم، أنفسهم، معرفة كافية بهذه الإيرادات»^(٦). وكانت أفضل المعلومات هي تلك التي حصل عليها من يهودي

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 374.

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 340, 358 U. BVA, 224.

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 340.

Niebuhr, C., RB Bd. 1, S. 336.

Niebuhr, C., BVA, S. 272.

Niebuhr, C., BVA, S. 209.

في سنة ١٨٣٠ م عراقي (Orda)، كانت له حظوة لدى إمامين متعاقبين. وعدا
 عن له كد واحداً من أهم موظفي البلاط (١)، فإن المرء لا يخشى أن يطرح
 عليه شكته موضح. وحسب معلومات العراقي، كانت إيرادات الإمام المهدي
 محمد بن ٨٣ ألف ريال قصري شهرياً، أي تسع مئة وستة وتسعين ألف ريال
 سنوياً. ولكن بعد أن انفصلت قطبة وعدن وأبو عريش ونعز وأصبحت إيرادات
 هذه والملاح وقسم من بلاد آس وحواز تذهب إلى بعض الأمراء، انخفضت
 الإيرادات في عهد الإمام المتصور إلى ثلاثين ألف ريال شهرياً. أي إلى ثلاث
 مئة وسبعين ألف ريال سنوياً، ثم ارتفعت في عهد الإمام المهدي عباس، لتبلغ
 أربعين ألف ريال شهرياً، أي أربع مئة وثمانين ألف ريال سنوياً، وذلك بعد أن
 استطاع الإمام المهدي عباس بسط نفوذه على بعض المناطق، التي كانت قد
 انفصلت عن مملكة الإمام (٢).

وقد استقى نيبور معلومات، من مصادر مختلفة، عن إيرادات المناطق
 الإمدية التابعة للإمام، كل على حدة. وعبر عن اعتقاده، بأن الأرقام التالية،
 هي أكثر قرباً إلى الحقيقة (٣):

- إيرادات المحلة: في أشهر أبريل ومايو
- ويونيه ويولي، أي في أشهر الموسم: ٧٠٠٠ ريال شهرياً
- في الأشهر الأخرى: ٤٠٠٠ ريال شهرياً
- إيرادات الناحية: في أشهر أبريل ومايو
- ويونيه ويولي ٣٠٠٠ ريال شهرياً
- في الأشهر الأخرى: ٢٠٠٠ ريال شهرياً

(١)

(٢)

(٣) نظراً

Niebuhr, C., BVA, S. 209.

Niebuhr, C., BVA, S. 209.

Niebuhr, C., BVA, S. 210.

(٤) ذكر نيبور أن العراقي هذا كان قبل أن يجرده الإمام المهدي عباس من وظائفه مسؤولاً عن
 الحسابات جميعها ومن ماضي دواجر الإمام.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 422 - 423. ولقد: حطب، ابن الأمير، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

٣٦٠٠ ريال شهرياً ^(١٠)	بيرويات بيت الفقيه:
١٤٠٠ ريال شهرياً.	بيرويات الحديدية:
١٥٠٠ ريال شهرياً.	بيرويات حراز:
١٢٠٠ - ١٤٠٠ ريال شهرياً.	بيرويات حفاش:
١٤٠٠ ريال شهرياً.	بيرويات زبيد:
٢٤٠٠ ريال شهرياً.	بيرويات الجبي وبرع:
٤٠٠٠ ريال شهرياً.	بيرويات كسمة:
١٠٠٠٠٠ مئة ألف ريال سنوياً	بيرويات الحيمتين:

ومنه الأرقام - كما أشار نيبور - أرقام قريبة من المعلومات التي حصل عليها من العراقي، الذي لم يستطع أن يقابله سوى مرة واحدة، بعد وصوله إلى صنعاء^(١١).

ويبدو من المستغرب أن تكون إيرادات الحديدية ١٤٠٠ ريال شهرياً فقط في سلوية لإيرادات زبيد، وأقل من إيرادات اللحية، فهذا الرقم لا يتناسب مع تأكيد نيبور بأن الحديدية تحقق إيراداً عالياً وأن عاملها لا شغل له إلا تحصيل الإيرادات، ولا مع تأكيديه بأن أهمية زبيد قد تلاشت وحلت محلها بيت الفقيه كما حلت الحديدية محل ميناء زبيد (غليفة).

وكانت ضريبة البن هي أهم مصدر من مصادر إيرادات الإمام «إذ يقال أن الإمام يحصل على ربع ثمن البن كضريبة، قبل أن يسمح بشحن الكمية المباعة في السفن»^(١٢) ولم يوضح نيبور ما إذا كان هذا الربع قد حسبت ضمنه الضريبة التي كانت تدفع في جمارك الموانئ، أم أن الضريبة الجمركية في الموانئ كانت تدفع من قبل التجار الأجانب، في حين يكون الإمام قد استحوذ من المزارعين على ربع ما قبضوه ثمناً لما باعوه من محصولهم^(١٣).

Niebuhr, C., BVA, S. 209.

Niebuhr, C., BVA, S. 209.

^(١٠) قارن. عامل ص ١٧١ من هذا البحث.

^(١١) لم يميز نيبور بين الإيرادات أشهر الموسم والأشهر الأخرى إلا بالنسبة للمخا واللحية.

١. تصنيف

لم يتعرض

استخلاصه من

والمدعي بالأس

أ. المسلمون:

وينقسمون

المنطقة الممتدة

المناطق غير ال

الزبديين، متساو

أسمع أنهم يكر

ب. اليهود:

وهم أقلية

(١)

(٢)

(٣)

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية

أ. تصنيف السكان:

لم يتعرض نيبور للتركيب الاجتماعي للسكان، ولذا فإن أقصى ما يمكن استخلاصه من إشاراته، هو تصنيف للسكان، يختلط فيه الأساس الديني والمذهبي بالأساس القومي. وذلك على النحو التالي:

أ. المسلمون:

ويتقسمون إلى سنين، يسكنون تهامة ومنطقة تعز، وزيديين، يسكنون المنطقة الممتدة من إب إلى صنعاء^(١). وهذا التقسيم يهمل، كما هو واضح، المناطق غير الخاضعة للإمام. وقد أكد نيبور أن عدد السنين، نسبة إلى الزيديين، متساو تقريباً. وأن «اتباع المذهبين يتعايشون بصورة ممتازة. ولم أسمع أنهم يكرهون أتباع الأديان الأخرى»^(٢).

ب. اليهود:

وهم أقلية يسكنون في قرى منفصلة خارج المدن^(٣). ففي صنعاء مثلاً،

Niebuhr, C., BVA, S. 183 - 184. U. RB, Bd. 1, S. 396.

Niebuhr, C., BVA, S. 23.

Niebuhr, BVA, S. 25.

(١)

(٢)

(٣)

يسكون في قرية معصلة عن صحاء، اسمها (عسر)^(١). ولأنه لا يسكنها سوى
يهود، وقد نسي بعض قديم اليهود وهي عبارة عن قرية كبيرة، أو بالأحرى
مدينة صغيرة^(٢) تقع قرب بير العزب. ويقدر عدد اليهود فيها بحوالي ألفي
سنة بهم أهل الحرم، ولهم النضاع. هي اليمن، يعملون طوال النهار،
في سوق صحاء، ويعودون مساءً إلى بيوتهم. ويحد المرء بينهم أناس أغنياء،
ويهم شخص اسمه عراقي (Oraki)^(٣)، عمل موظفاً كبيراً لدى الإمامين
متتبعين عمل مع الإمام المصور ثلاثة عشر عاماً. ثم عمل مع الإمام المهدي
عمر^(٤) خمسة عشر عاماً، كمسؤول عن الجمارك، وعن مبانى ومزارع
الإمام. ولكن الإمام المهدي زج به في السجن، وغرمه خمسين ألف ريال،
وذلك قبل محي، العثة اليمينية إلى اليمن بعاميين^(٥)، ثم أطلق سراحه
فل واصل العثة إلى صنعاء بأسبوعين. ومنحه خمس مئة ريال. وفي الفترة
هنا التي توقع فيها الإمام المهدي بالعراقي، أمر بهدم معابد اليهود في
قرنتهم. فهم مهاجرين عشر معبداء، ولم يبق لهم سوى معبدتين. كما قرر عدم
السبح لهم بالسكن في منازل يزيد علوها على طابق واحد، فتم تهديم الطوابق
فرقة^(٦).

ويختلف اليهود في ملابسهم عن المسلمين، فهم لا يضعون على

(١) Niebuhr, C., BVA, S 232

(٢) Niebuhr, C., BVA, S 232 U RB, Bd 1, S 422-423

(٣) هكذا كتب نيبور اسمه عصر بالأحرف العربية.

(٤) في كتاب من الأمير وعصره ورد أن رحمة اليهود هو سالم العراقي، وأنه كان يتحكم في حاشية
الإمام بعد أن صعدت بصفه تفضل، ولعل عراقي الذي ذكره نيبور هو سالم العراقي هذا
هو نظر عالم، من الأمير، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

(٥) نرى الإمام المصور الإمامة من عام ١١٢٩ هـ / ١٧٢٧ م وحتى وفاته عام
١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م. وحلقه ابنه الإمام المهدي حتى وفاة الأخير عام
١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م. انظر الجراحي، المقنطف، ص ١٩٣ وما بعدها، وكذا
القمي، مة عام، ص ١١، ١٩، وما بعدها.

(٦) (٥٥٥) وصفت لمة النيسورية، إلى اليمن في نهاية ديسمبر ١٧٦٢ م وغادرتها في ليلة
الخميس ١٧٦٣ م.

وأولهم أكثر من طاقية صغيرة، تتدلى من تحتها خصلتا شعر طويلتان، على
 حدين، تميز اليهود عن غيرهم، وقمصانهم وسراويلهم وأحزمتهم، كلها من
 لفنسل الأزرق اللون. ولا يسمح لهم بحمل أي نوع من أنواع الأسلحة، بما
 في ذلك الجنبية^(١). ويشير نيبور إلى أن عدد اليهود قد تضاعف عبر السنين،
 وإن عددهم في مملكة الإمام، حسب تقدير اليهود أنفسهم، يبلغ - أي في عام
 ١٧٦٥ م - خمسة آلاف نسمة. وهم إما تلموديو المذهب أو فريسيون^(٢).
 وكانت أهم مناطقهم السكنية هي تلك التي كانت في تنعم، بخولان، ولا زالت
 توجد هناك أسر يهودية، وبعض المعابد وهذا يعني أنه إذا كانت هناك
 مخطوطات قديمة من التلمود في اليمن، فيجب البحث عنها في هذه المنطقة.
 يدّعي اليهود في نغز وصنعاء قد أكدوا لي أنهم لم يسمعوا عن وجود مخطوطات
 في اليمن، عمرها أكثر من خمس مئة عام. أما الكتب التي رأيتها لديهم فقد
 كانت جميعها مطبوعة في أمستردام والبندقية^(٣).

ومن ضمن القرى اليهودية، التي ذكرها نيبور، قرية بجانب مدينة جبلة
 بقرية بجانب مدينة ذمار.

ج. اليهود:

أشار نيبور إلى أن المرء يجد هنوداً في جميع المدن اليمنية الكبيرة،
 يعملون في التجارة أو كحرفيين أو خدماً لدى أغنيائهم، أي لدى أغنياء
 اليهود^(٤). وهم يمارسون طقوسهم الدينية بحرية، لكنه لا يسمح لهم بحرق
 موتاهم، كما لا يسمح لهم بجلب نساءهم من الهند^(٥)، ويمكن بعضهم سنين

(١) Niebuhr, C. BVA. S. 66 - 67. U. RB. Bd. I. S. 423.

(٢) Niebuhr, C. BVA. S. 184.

(٣) Niebuhr RB. Bd. I. S. 306

(٤) Niebuhr, BVA. S. 25 - 26. U. BD. S. 319.

وقد أبرز الفرق الدينية اليهودية. انظر: NUL. Bd. 3, S. 1490.

وقد الموسوعة، ص ١٢٩٩.

طوبى في اليمن. ولكنهم جميعاً يعملون ليكبسوا مالاً ثم يعودون في النهاية إلى بلادهم مهما حال مكنتهم في اليمن. وينظر اليمنيون إليهم دائماً كغزاة^(١). وهم، على خلاف اليهود، يسكنون داخل المدن مع المسلمين^(٢). وكانوا يلبسون ملابس بضاه، كما هو الحال في بلادهم، ثم أمروا أن يلبسوا ملابس حمراء. ولم تقبلوا بتقديم مبلغ كبير من المال للإمام، ألغى الإمام أمره السابق. إلا أنه سرعان ما صعد إليهم أمر جديد بأن يلبسوا عمامات حمراء اللون ولم تعد لديهم رغبة في تقديم مبلغ آخر للإمام، ولذا فإنهم يشاهدون الآن وهم يلبسون ملابس بضاه وعمامات حمراء^(٣). ولا يسمح لهم - تماماً كالْيَهُود - بحمل أسلحة ولا حناقي.

ولورد نيبور تقديرات لأعداد اليهود في بعض المدن اليمنية، على النحو التالي^(٤):

- في النجدة حوالي ٤٠ شخصاً.
- في بيت الفقيه أكثر من ١٢٠ شخصاً.
- في المخا حوالي ٦٠٠ - ٧٠٠ شخص.
- في صنعاء حوالي ١٢٥ شخصاً.

د. اليهود:

أكد نيور أنه لا يوجد بدو في مملكة الإمام^(٥). ولكنه أشار إلى وجود بدو في شمال أبو عريش يعيشون مستقلين تحت حكم مشايخهم. وهم مسلحون بالحراب، وملابسهم بسيطة، فليس على جسد الواحد منهم سوى

(١) Niebuhr, C., RB. Bd. I, S. 443.

(٢) Niebuhr, C., RB. Bd. I, S. 417.

(٣) Niebuhr, C., BVA, S. 67.

(٤) Niebuhr, C., RB. Bd. I, S. 309, 319, 443, 423.

(٥) Niebuhr, C., RB. Bd. I, S. 339.

(١) انظر على التوالي:
(٥)

صحة فماش، ملفوفة حول خصره، وعلى رأسه رباط بدلاً من العمامة، وبعضهم
بمس طافيات مصنوعة من سعف النخل الأخضر. وشعورهم مرسله وهم
سائرون لا يعتدون على أحد ما لم يستخدم معهم القوة^(١). وقد شاهدت
ثمة بعض هؤلاء البدو أثناء رحلتها من جدة إلى اللحية. كما أشار نيبور إلى
وجود بدو في الجوف، مشهورين بشجاعتهم^(٢).

هـ، العبيد:

تدل إشارات نيبور على وجود العبيد في اليمن. ونقرأ أول ذكر لهم في
سابق وصفه لرحلة البعثة من جدة إلى اللحية. فعلى ظهر السفينة كان الملاحون
عبيداً أفريقيين، وعددهم تسعة ملاحين^(٣). وفي اللحية كان عاملها (الأمير
وحيان) عبداً سابقاً ثم اعتق^(٤). كما كان أحد التجار يمتلك العديد من
لجواني^(٥). وكان الإمام المهدي يمتلك جوارى كثيرة. ولكنهن أقل مما كان
يملكه والده الإمام المنصور «الذي يقال أنه كان يمتلك أكثر من مئتي
حارية»^(٦). وكانت أم الإمام المهدي عباس نفسه جارية، مما حدا بأحد
الأشراف، الذين قابلهم نيبور في زبيد، إلى أن يعبر عن ازدرائه بأصل الإمام
الذي «اعتبر أن دمه غير نقي لأن أمه حبشية»^(٧). وكان بعض العبيد، الذين
يملكهم الحكام، يعتقدون ويقلدون مناصب إدارية أو عسكرية، كما حدث
بالنسبة للأمير فرحان، وكذا بالنسبة لبعض نقيب الجيش، الذين كانوا عبيداً فيما
سوى^(٨).

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 292. U. BVA, S. 269.

Niebuhr, C., BVA, S. 276.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 285.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 295 - 296.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 303 - 304.

Niebuhr, C., BVA, S. 204.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 329 - 330.

Niebuhr, C., BVA, S. 207, 211.

٢. معلومات عن الحياة اليومية:

كثرت إشارات نيبور إلى جوانب تلمس الحياة اليومية، كالطعام والشراب والنوم والملابس والسفر والسكن والتطبيب والبيع والشراء. كما تضمنت كتاباته بعض الإشارات إلى وسائل التكييف والاستمتاع، كالقات والدخان والكحول والحشيش. وسوف أحاول هنا أن أستعرض ما ذكره من معلومات حول هذه الجوانب، باستثناء البيع والشراء، حيث سبق تناولهما عند حديثنا عن الحياة الاقتصادية.

أ. الطعام والشراب:

لم يلاحظ نيبور تنوعاً في طعام اليمنيين. إذ تشكل الذرة المادة الغذائية الرئيسية، إذا لم تكن الوحيدة، ولا يقدم في المقاهي (المطاعم) غير خبز الذرة مع قهوة القشر، وأحياناً مع حليب النياق^(١). ونادراً ما يحصل المسافرون على خبز مصنوع من القمح^(٢). وأما شراب اليمنيين فلا يتكون من غير الماء وقهوة القشر. ونادراً ما يشربون قهوة البن، لاعتقادهم أنها «تسخن الدم»^(٣). لهذا فإنهم يصنعون قهوتهم من قشور حبوب البن. ومنظر هذه القهوة ونكهتها أشبه ما تكون نكهة ومنظر ماء الشاي. إنهم يعتبرون هذه القهوة أبرد بالنسبة للجسم، وبالتالي فإنها صحية أكثر من قهوة البن. ويسمون قهوة أو قشر، ويشربونها في فناجين مصنوعة من الفخار. أما وجهاؤهم فيشربونها في فناجين صينية^(٤). وشاهد المرء في الطريق من يريم إلى ذمار أناس يبيعون قهوة القشر للمسافرين، ويجلسون بين جدران أربعة دون سقف^(٥). واليمنيون عموماً معتدلون في طعامهم وشرابهم^(٦).

Niebuhr, RB, Bd. 1, 341.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 314.

Niebuhr, C., BVA, S. 55.

Niebuhr, RB, Bd. 1, S. 313. U. BVA, S. 55 - 56.

Niebuhr, RB, Bd. 1, S. 406.

Niebuhr, C., BVA, S. 51.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(١)

(٢)

(٣) انظر بعض

(٤) لم يتمكن

ملكة الإمبراطورية

يلبس وجهاء اليمنيين، شأنهم في ذلك شأن الأتراك والهنود، ملابس طويلة، لكنها تختلف في جزء منها عن ملابس هؤلاء. ففي اليمن تكون ملابس الصف الأسفل واسعة، وفوقها قميص أبيض في تهامة وأبيض أو أزرق في الجبال. مع أكمام طويلة وواسعة أو قصيرة وضيقة. ويلبسون صدرية وجاكيت وشاب تركية أو حذاء جلدي أصفر اللون. كما يتمنطقون بجنبية ذات حزام جلدي مطرز. وملابسهم العليا تصل إلى تحت الركبة بقليل. ويضعون على أكتافهم قطعة قماش طويلة وأنيقة، ويغطون رؤوسهم بغطاء غال الثمن وغير مريح. إذ يضعون فوق رؤوسهم عدداً من الطاقات مطرز بعضها بآيات قرآنية. ونرى ذلك كله يلفون هذه الطاقات بقماش طويل. «وإنه لمن المتعب إبقاء هذا الحمل الثقيل فوق رؤوسهم بصورة دائمة. ولذا فإنهم يخلعون هذا الغطاء عندما يكونون في بيوتهم أو لدى أصدقائهم، ولا يبقون منه إلا طاقة واحدة أو طائفتين، تغطيان رؤوسهم»^(١). أما عامة الناس فلا يغطون رؤوسهم إلا بطائفتين ملفوفة عليهما قطعة قماش طويلة، ولدى بعضهم سراويل وقمصان، وبعضهم يلبس قطعة قماش واحدة فقط، يلفها حول خصره، لتغطي الخصر إلى ما تحت الركبة، وما عدا ذلك يبقى عارياً. ويسيرون - أي عامة الناس - حفاة الأقدام. وفي المناطق الجبلية يرتدي عامة الناس جاكيتاً من جلد الماعز^(٢). ولدى ملكة الإمام يخلق الرجال شعر الرأس^(٣)، وأما في المناطق الأخرى من اليمن فيرسلون شعورهم. وحتى المشائخ في هذه المناطق يتركون شعورهم مرسله، شأنهم في ذلك شأن عامة الناس. ولا يرتدون طاقات ولا عمامة، بل

(١) Niebuhr, C. BVA. S. 62 - 63, 64.

(٢) Niebuhr, C., BVA. S. 64.

(٣) انظر بعض نماذج من الملابس في الملحق.

(٤) لم يتمكن نيبور من التوصل في جميع مناطق مملكة الإمام ونحن نستبعد أن جميع الرجال في مملكة الإمام كانوا يخلعون رؤوسهم.

يكون موضع حرقه فوق شعورهم العنقية. أما ثلثو في حدود أسوار عريش
يصعدون فوق رؤوسهم طائفت مصوعة من سعف نخيل الأخضر، كما تقدم
ويكده جميع نبيس يحملون حروراً مرسوطة إلى سواعدهم، وحوائم فضية في
أصابعهم^(١). وتكون ملابس النساء، بشكل عام، من قميص طويل وسراويل.
ولكن النساء في نهضة يلففن أجسادهن بقطعة من القماش، من الخصر إلى
تحت الركبة، ولا يتحدثن السراويل. أما الصف الأعلى من الجسم فيغطيه
جديرة. وفي بعض المناطق كاللحبة، تضع النساء قطعة قماش على
رؤوسهن، ويمتد إلى تغطية وجوههن بها، ما عدا العينين، إذا سرن في
الطرق. ويكهن أحياناً لا يتشددن في تغطية وجوههن، خاصة عندما يعتقدن
أن وجوههن جميلة، أو عندما تريد إحداهن أن تزي وجوها لشخص ما، بصورة
تبعير متممة^(٢). وفي تعز والمخا وصنعاء تغطي النساء وجوههن، بما في
ذلك النجيب، بقطعة من القماش. وفي مناطق الجبال تبدو النساء أكثر انغلاقاً
من ساء المدن، فلا يسترن وجوههن. ويتحدثن مع الرجال بحرية وثقة
ويلبس قمصناً طويلة، وسراويل من القماش، المخطط باللونين الأزرق
والأبيض. والقمصان مطرزة عند الرقبة وتحت الركبة بألوان مختلفة، أما
السراويل فمطرزة في الأسفل حول الساق^(٣). وتحمل النساء كمية كبيرة من
الأسورة والحوائم، وبعض الأسورة مصنوعة من الزجاج. كما يلون أكفهن
وأفهامهن بالحناء ويزين عيونهن بالكحل، ووجوههن بالخضاب^(٤). وتكثر
النساء من استعمال البينة الزرقاء. فملابهن غالباً مصبوغة بها^(٥).

ولما ملابس الأقليات، وهم اليهود والهنود، فقد سبق الحديث عنها.

(١) Netzer, C., BVA, S. 64 - 65

(٢) Netzer, C., RB, Bd. 1, S. 304

(٣) Netzer, C., RB, Bd. 1, S. 335 - 336.

(٤) Netzer, C., BVA, S. 65 - 66.

(٥) Netzer, C., BVA, RB, Bd. 1, S. 315.

سجل نيبور ما لاحظته من اختلاف في المساكن، بين منطقتي تهامة ونعمان. ففي الجبال تبنى البيوت بالحجارة. أما في تهامة فمعظم بيوتها عبارة عن أكواخ، وبنائها لا يكلف كثيراً، فهي تبنى من أغصان الشجر والأعشاب، ويكسى جدرانها بالطين المخروط ببراز الأبقار، وتدمن من الداخل بالكلس، وبفومها مبنية بأعشاب متوفرة بكثرة في تهامة. ونادراً ما تكون هناك نوافذ. أما لأبواب فهي مجرد قطع من الحصير. وفي هذه البيوت وحولها توضع سرر أشبه بكراسي طويلة، منسوج سطحها بخيوط من القماش، يجلس المرء عليها وينام. ومثل هذه السرر - الكراسي لا توجد في مناطق الجبال. ونادراً ما تكون للأكواخ مقسمة في الداخل إلى أجنحة أو حجرات. فإذا كان حجم الأسرة كبيراً أو كانت هناك حيوانات، فإنه يتم بناء أكثر من كوخ للأسرة الواحدة، ثم تحيط جميعها بسياج واحد، مبني من أغصان الشجر^(١).

د. النوم:

لفت نظر نيبور في مناطق الجبال استخدام المواطنين لكيس كبير من القماش، ينامون فيه عراة تماماً، ويحكمون إغلاقه عليهم، ليحموا أنفسهم من الحشرات^(٢). ولم يشاهد مثل هذا الكيس في تهامة. ويقول: «لم أحاول أبداً أن أستمع مثل هذا الكيس. ولكنني تعودت سريعاً على تغطية وجهي أثناء النوم، وخاصة في العراء»^(٣). وعادة تغطية الوجه أثناء النوم، عادة لا يعرفها الأوروريون، لكن نيبور وجدها عادة عملية، إذ تجنب المرء أذى الرياح، وما يمكن أن يحمله الهواء من أتربة ومواد دقيقة^(٤).

(١)

Niebuhr, C. RB. Bd. 1. S. 307 - 308. U. BVA. 62.

(٢)

Niebuhr, C., BVA. S. 64

(٣)

Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 341.

(٤)

Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 341

د. الطيب:

لم يتحدث نيبور عن النظام العلاجي أو عن الأمراض السارية. ولكن يمكننا أن نستخلص من إشارات المتأثرة المعلومات التالية:

تشر الملاريا في تهامة، وهو المرض الذي قضى على أفراد البعثة جميعهم، الواحد تلو الآخر، ما عدا نيبور. وقد أظهر المواطنون اهتماماً بطبيب البعثة طوال وجود البعثة في اليمن، فقصده في اللحية والمخا ودمار للعلاج، حتى أن أحد المرضى في دمار رافق البعثة إلى صنعاء، ليبقى قريباً من الطبيب^(١).

وفي سوق مدينة يريم شاهد نيبور بعض الحجاجين يخذشون جلود بعض المواطنين بسكاكين رديئة، ويضعون على الجروح محاجم، من قرون الحيوانات، يمصون بواسطتها الدم^(٢). وأثناء مقابلة البعثة للإمام المهدي في صنعاء، أحضر إلى طبيب البعثة صندوق مملوء بالأدوية الغربية، كان أحد البريطانيين قد أهداها للإمام. وقد طلب الإمام من الطبيب تحديد أسماء تلك الأدوية وشرح دواعي استعمالها. وتم باللغة العربية تسجيل الكثير مما شرحه^(٣).

و. وسائل التكيف والاستمتاع:

تكون وسائل التكيف والاستمتاع، بصورة رئيسية، من الفات والكحول، وقد سبق الحديث عن الفات، في سياق حديثنا عن الحياة الاقتصادية. وكان نيبور قد أتى على ذكره لأول مرة عند وصوله تعز. مما يعني أنه لم يصادفه خلال رحلته في تهامة. ثم شاهده بعد ذلك في المناطق الجبلية، وهو في طريقه إلى صنعاء. وأما الكحول فقد ذكر نيبور أن المسلمين لا يشربونه، نظراً

(١)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 300, 367, 407.

(٢)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 403.

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 426.

لتعريم شربه دينياً. إلا أنه يوجد من بينهم أناس «مولعون به أشد الولع»^(١).
لكنهم يتكتمون في شربه. ولا يشربونه إلا مساءً في بيوتهم^(٢).

وقد وجدت البعثة الكحول متوفراً في اللحية، ولكن نوعيته رديئة^(٣)، بل
لقد وجد طيب البعثة لدى أحد أغنياء اللحية معدات كاملة لتحضير
الكونياك^(٤). وفي المخا يتم استيراد العرق الهندي، بواسطة التجار
الإنجليز^(٥). أما أفضل أنواع النبيذ فيمكن الحصول عليه في صنعاء، حيث
يصنعه اليهود من الأعناب بكميات كبيرة، ويبيعونه للمسلمين بحذر شديد، لأن
من ضبط منهم وهو يحمل نبيذاً إلى بيت أحد المسلمين، فإنه يعاقب عقاباً
صارماً^(٦).

ولم يشر نيبور إلى الحشيش سوى مرة واحدة، وذلك في اللحية، حيث
دخن أحد القائمين على خدمة البعثة مادة الحشيش، ثم خيل إليه أنه يستطيع أن
يحدث أربعة جنود، صادفهم في الطريق، وأن يغلبهم جميعاً. ولما أصر على
معاركتهم قام أحدهم بضربه وإرجاعه إلى البيت^(٧). ورغم أن نيبور لم يشر
إلى الحشيش سوى مرة واحدة، خلال تجواله في اليمن، فإن إشارته تدل على
أن هناك أناس كانوا يستعملونه. فقد قال: «لأن عامة الناس لا تستطيع أن
تحصل على المشروبات الكحولية، فإن البعض يلجأ إلى تدخين الحشيش
كوسيلة من وسائل المتعة»^(٨).

Niebuhr, C., BVA, S. 56.

Niebuhr, C., BVA, S. 56

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 299.

Niebuhr, C., BVA, S. 56.

Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 261.

Niebuhr, C., S. 420-421, 298.

Niebuhr, C., BVA, S. 57.

Niebuhr, C., BVA, S. 57.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

والى جانب القات والكحول يدخن اليمنيون التبغ بواسطة المشرفة والمداعة^(١).

ز. السفر:

يسافر اليمنيون سيراً على الأقدام، أو على ظهور الحمير أو الجمال. وفي تهامة لا يسافر الناس إلا ليلاً، وذلك بسبب الحر الشديد^(٢). وتنتشر المقاهي^(٣) في طرق السفر الرئيسية. كما توجد في تهامة كثير من المضافات، التي تسمى في اليمن (متلة)، وهي أماكن يستطيع المسافر أن يأكل ويشرب ويبيت فيها مجاناً^(٤). ويحصل المسافر عادة في هذه المنازل، كما في المقاهي، على خبز الذرة وقهوة الفشر^(٥). وإضافة إلى المقاهي والمنازل، فإن المسافر إذا مر بآثار أثناء الطعام، فإنهم عادة يلحون عليه أن يشاركهم طعامهم^(٦). وفي المناطق الجبلية، وخاصة في منطقة جيلة والعدين، يجد المسافر في طريقه ما تسمى بالغايات^(٧)، التي تملأ بالماء، ليشرب منها المسافرون^(٨). كما يجد أيضاً مباني صغرى خالية، يلجأ إليها عند هطول الأمطار^(٩). وقد لاحظ نيبور أن بعض الطرق الرئيسية، خاصة في جيلة والعدين، مرصوفة بالحجارة، ولكنها - كما أشار - قد أهملت، ولم تعمل لها صيانة منذ سنوات طويلة^(١٠).

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 58-59. U. RB. Bd. 1. S. 322.

(٢) Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 355-356.

(٣) Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 314. U. BVA, S. 46-47.

(٤) Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 314.

(٥) Niebuhr, C., BVA, S. 46-47.

(٦) Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 344, 355.

(٧) Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 344, 396.

(٨) Niebuhr, C., RB. Bd. 1. S. 344.

(٩) المشرفة هي الاسم اليمني للعليون. أما المداعة فهي ما يعرف بالشيشة أو النارجيلة في بعض البلاد العربية.

(١٠) يطلق اليمنيون اسم مقهاية وجمعها مقاهي على المكان العام لشرب الشاي والقهوة كما على الأماكن المصمتة ليت وإطعام المسافرين.

(١١) انظر ص ١٦٠ من هذا البحث.

وإذا كان المسافر المعادي يفتن بما يجده في المقاهي والمنازل، من خبز
بلدة وقهوة القشر وماء السقايات، فإن الأغنياء والأعيان يسافرون
مصححين معهم الخدم وكل وسائل الراحة. وقد عاش نيبور حياة المسافر
اليمني المعادي وتعامل مع كل ما يصادفه هذا المسافر في طريقه، وتخلّى عن
عاداته الأوروبية، خلال تجواله في اليمن^(١).

٢. بعض العادات والتقاليد:

أشار نيبور إلى أن اليمنيين يميلون إلى الحياة الاجتماعية فيجتمعون في
المقاهي والأسواق^(٢). ولا يميلون إلى الخصام. لكنهم إذا ما بدؤوا
بنخاصمون، فإنهم يصرخون بأصوات عالية، وربما يتطور الأمر إلى أن يمتشق
أحدهم جنبته. إلا أنه سرعان ما يتدخل الحاضرون ويصلحون بينهم في
الحال، أو يتفق المتخاصمون على تنصيب حكم بينهم. وليس لدى اليمنيين
الفاظ سباب كثيرة، كما لدى الأوروبيين، ولكنهم حساسون تجاه كلمات
السباب، ولا يتراجعون عن الانتقام لكرامتهم^(٣).

وقد تحدث نيبور عن بعض الصفات الأخلاقية كالخداع والنفاق،
واعتبرها صفات غير شائعة، وعادات لا يمارسها اليمنيون^(٤).

ويحيي اليمنيون من يقابلهم بالتحية المعتادة، وهي (السلام عليكم)،
ويرد الآخر التحية بقوله: (وعليكم السلام). ويلقون هذه التحية حتى على
المسيحيين، خلافاً لما في مصر. فالمصريون يكتفون تجاه المسيحيين بالقول:
(صباح الخير) أو (صاحب سلامات)^(٥).

(١) انظر ص ٥٦-٦٩ من هذا البحث.

Neebahr, C., BVA, S. 27-28

Neebahr, C., BVA, S. 28-32

Neebahr, C., BVA, S. 28-29

Neebahr, C., BVA, S. 28-29

ويمكن تصور أنه في المناطق الحبلية، وخاصة لدى المعسكر
والسحري، يحيى نفس بعضهم بالقول: (يوم النور)، ويرد الآخر: (يوم
النور) (١)، ويعني على هذه النحية مقوله: «أفهم معنى هذه النحية، ولكنه
في أي حد الإسد المائل لا يقول: يوم القصور، ولكنها عبارة ثقيل بصورة
تخفي رداً على من يقول: يوم النور» (٢).

وقد عثر يسور أيام عيد الأضحى في مدينة تمز وسجل وصفاً
للاستعدادات ولطهر الاحتمال بالعيد. قبل العيد بأيام يستقبل العامل والأعيان
لهذب من ثوبين، وهي عبارة عن عدد كبير من الخراف. أما من لا أمل له
في الحصول على خراف مجتاً، فإنه يقوم بشراء العدد الذي يحتاجه منها،
لا يسهل ولا يثويج على الفقراء. ولأن العيد يدوم يومين إلى ثلاثة أيام ولا يأتي
فلاحد أثناء مستوحاتهم إلى أسواق المدينة، فإن كل شخص في المدينة
يقوم قبل العيد بتحضير نفسه بكل ما يحتاجه من مواد غذائية. وفي ليلة العيد
أخفت مدافع باب الشيخ موسى ثلاث طلقات، وأطلقت مدافع حصن القاهرة
طفتين. إعلاناً بقدوم العيد. وفي صباح العيد أطلقت المدافع عدة طلقات،
واتجه العمل والمواطنون إلى خارج المدينة، لتأدية صلاة العيد في العراء.
وبعد حوالي ساعة واحدة أطلقت المدافع مرة أخرى. وعاد موكب العامل إلى
المدينة وبدأ الجنود والأعيان يقومون بعملية استعراض بخيولهم، شبيهة بعملية
الاستعراض التي تتم عادة بعد صلاة الجمعة. حيث تركض الخيول تبعاً في
حزب بسك كل راكب ومعه عاليًا، كما لو كان يسدده نحو هدف في الأمام.
وبعد الاستعراض بصرف الجميع إلى بيوتهم، يأكلون ويمضفون القات
ويدخنون، فتمتحن بيهجة العيد ومسراته (٣).

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 49.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. I, S. 386-387.

(٣) هذه نحية عربية لا يخلطها البيهون. إلا إذا كانت ثقيل على سبيل المزاح.

وفي صنعاء شاهد نيبور موكب الإمام المهدي عباس، وهو عائد من صلاة الجمعة^(٥)، وهو موكب أصبح يعتبر جزءاً من حياة الناس العامة في صنعاء، وقدم وصفاً له^(٦). فبعد انتهاء صلاة الجمعة، اتجه الإمام إلى باب ليس، ثم سلك طريقاً خارج المدينة إلى باب شرارة. وكان يسير أمامه بضع مئات من الجنود، وفوق رأسه ورؤوس أمراء الأسرة الإمامية رفعت المظلات وهو امتياز لا يتمتع به إلا الأمراء^(٧) أو حكام المناطق المستقلة، كمشايف باقع ومشايف حاشد ويكيل وشريف أبو عريش وغيرهم، تعبيراً عن استقلالهم. وعدا عن الأمراء كان هناك حوالي ست مئة رجل ومن الأعيان الدينيين والديوبنديين والعسكريين^(٨)، بعضهم يمتطي أحصنة مطهمة، وبعضهم يسير على الأقدام. وإلى جانب الإمام كان يرفرف علم مرفوع. لقد كان موكباً ضخماً. ولكن نيبور لاحظ أنه موكب غير منظم «فالجميع يتحرك هنا وهناك دون أدنى نظام»^(٩). وفي باب شرارة أخذ الجنود يطلقون عيارات نارية، بطريقة سيئة، قال عنها نيبور إنه لم يشاهد «في أي مكان غير اليمن أسوأ منها»^(١٠). ولم يستطع نيبور أن يستمر في مشاهدة الموكب، لأنه شعر بالتعب ولم يستطع أن يبقى فترة أطول معرضاً لأشعة الشمس، فعاد إلى بير العزب، حيث مسكن البعثة. إلا أنه أضاف: «إن من المفترض أن يقوم الجنود بعد ذلك ببعض التدريبات أمام نصر الإمام، كما يقوم الأعيان باستعراض مهاراتهم كخيالة»^(١١). وكانت أبواب صنعاء - كما لاحظ نيبور - جميعها مغلقة أثناء الصلاة^(١٢).

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 423-425.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 424.

(٣) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 424.

(٤) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 424.

(٥) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 424.

(٦) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 425.

(٧) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 425.

(٨) لم يتمكن نيبور من مشاهدة الموكب عندما كان متجهاً إلى الصلاة، ولم يستطع أن يستمر في مشاهدته حتى نهايته وهو عائد من الصلاة.

وفي يوم شاهد موكب عريس ذاهب إلى الحمام. كان في مقدمة الموكب عدد من الأصفان، يرقصون على إيقاع الطبل، ووراءهم عدد آخر من الشباب والبنات، بعضهم يرفعون بنادقهم عاليًا، ويطلقون عيارات نارية، بصرة متواصلة، والعريس يسير في مؤخرة الموكب، يحيط به بعض أصدقائه. وعاد الموكب من الحمام وقد حل الظلام. وكانت هناك بعض المشاعل مرفوعة على الأيدي لإضاءة الطريق^(١).

ونحدث نيبور عن ظاهرة الثأر. ويتضح من ملاحظاته أنها لم تكن ظاهرة عامة في المجتمع اليمني. فقد كان القاتل يخضع للقصاص، بحكم من المحكمة العليا في صنعاء. في حين كان البعض يفضل اللجوء إلى الثأر. وكان الثأر يفود إلى ثأر آخر، من قبل الجهة الأخرى. وهكذا، حتى أن بعض حالات القتل والقتل المضاد قد دامت، حسب ما تلقاه نيبور من معلومات، خمسين عاماً. ويعلق نيبور على ذلك بالقول: «ومع كل ذلك فلا أعتقد أن كل اليمنيين يلجؤون إلى الأخذ بالثأر. وإنما هناك، كما يبدو، أسر محدودة تتمسك بهذه العادة، وإلا لما سادت هذه الحالة من الأمن في تهامة، وهي حالة يلتمسها المسافرون ويعيشونها عملياً»^(٢).

ومن العادات الغريبة، التي لفتت انتباه نيبور، أن الأجانب يترجلون عند مدخل المدن، ويسرون على الأقدام إلى البيوت التي سيقيمون فيها. وقد تكررت هذه العملية، بالنسبة لأعضاء البعثة، في اللحجة وفي صنعاء. ولاحظ نيبور، في صنعاء، أن مستقبل البعثة ومرافقيها، من اليمنيين، ظلوا راكبين، في حين كان على أعضاء البعثة أن يسيروا راجلين^(٣).

٤. من حكايات المقاهي: بار بروشام والأميرة نجيمة:

تحدث نيبور عن حاشد ويكيل كقبيلة واحدة، تتكون من عشائر عديدة،

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 402-403.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 357, 358. U. BVA, S. 29-35.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 359-360, 411.

ولكل عشيرة مشائخها، وقد اتحدت حاشد وبكيل عسكرياً تحت اسم (اتحاد حاشد وبكيل)^(٥). ومن الحكايات الطريفة التي سمعها، أثناء تجواله في اليمن، حكاية تروي أصل حاشد وبكيل، فحاشد وبكيل هما ابنا باربروشام، الفارس الذي كان يعمل في بلاط الملك والد الأميرة نجيمة. وقد أحب باربروشام الأميرة نجيمة، وعاشا قصة حب مفضية، توجت بفراهما من قبضة الملك، من الأناضول إلى دمشق، ومنها انضموا إلى قافلة، متجهة إلى مكة، ومن مكة إلى اليمن، حيث استقروا وأنجبا. وتنتمي كل عشائر حاشد وبكيل إلى هذين المحبين الأسويين الخياليين. وقد علق نيبور على هذه الحكاية بأنها ولا تعدو أن تكون مجرد حادثة ألفها أحدهم، ليحصل من وراء روايتها، على مبلغ زهيد من المال، من رواد المقاهي^(٦). ويحمل هذا التعليق إشارة ضمنية إلى أنها كانت تحكى حكايات في المقاهي. ولكنه لم يدون لا في يومياته ولا في إجاباته على أسئلة العلماء، التي وجهت إلى البعثة، ما يدل على أنه قد شاهد مثل هذه الظاهرة، أو استمع إلى حكايات مماثلة. كما أنه لم يشر إلى مصدر هذه الحكاية، ولا إلى المكان الذي سمعها فيه.

٥. الفرق الدينية:

حاول نيبور أن يقدم صورة عن الفرق الدينية الإسلامية، معتمداً في ذلك على ما تلقاه من معلومات من أتباع هذه الفرق. وقد جاء تصنيفه لها متأثراً إلى حد كبير بأنظمة الحكم القائمة في بعض البلدان الإسلامية. فالفرق التي أتى على ذكرها هي: السنة - الشيعة - الزيدية^(٧) - الأباضية - المصاليخ، ثم فرقان جديدتان، أسس أحدهما الشيخ المكرمي، والآخر الشيخ محمد بن عبد الوهاب. كما أشار إلى وجود بعض الفرق في إيران، تنتمي إلى الخوارج،

(١)

Niebuhr C. BVA. S 260-261.

(٥) انظر: ص ١١٢، ١٢١ - ١٢٣ من هذا البحث.

(٥٥) لم ينته نيبور إلى أن الزيدية هي إحدى فرق الشيعة.

والى أن السنة تحكم في تركيا، والشيعية في إيران، والزيدية في اليمن، والأباضية في عمان، وأما المصاليخ فهي فرقة تتكون من البدو الذين يسكنون في الحدود بين اليمن والحجاز^(١).

ويتضح من تصنيف نيبور للفرق الإسلامية، ومن استعراضه لتعاليمها، عدم العلم بها. ولذا فإن ما كتبه بهذا الصدد لا يستحق أن نقف عنده.

وقد أعجب نيبور بالتسامح الديني السائد في اليمن. وأكد أن أتباع المذاهب الدينية الرئيسية، السنة والزيدية، يعيشون مع بعضهم بوثاق واتسجام، وأنهم من ناحية أخرى لا يكرهون أتباع الأديان الأخرى^(٢)، وإذا دخل في الإسلام مسيحي أو غيره ممن يأتون على السفن إلى الموانئ اليمنية، فإنه يتم صرف مبلغ شهري له، قدره ريال وربع الريال، ليتدبر به أمر معيشته، وربما يستطيع أن يجد له عملاً يعيش منه. ويرز تسامح اليمنيين المسلمين في عدم منعهم من أسلم، من الاستمرار في التعامل والاحتكاك بأتباع دينه السابق. كما أنهم لا يحولون بينه وبين مغادرة اليمن، متى أراد ذلك. ولو كان في صحة أتباع دينه السابق^(٣). وإذا تزوج مسلم من مسيحية أو يهودية، فإنه يحترم عقيدتها، ولا يحاول أن يجبرها على التكرار لدينها^(٤). ويمارس اليهود حياتهم وطقوسهم الدينية ويشيرون معابدهم بكل حرية. كما يمارس الهنود أيضاً طقوسهم الدينية، ولكن لا يسمح لهم بحرق موتاهم^(٥).

ولم يسمع نيبور عن وجود مسيحيين في اليمن، ولكنه يفترض أنه ربما يوجد بعض الأحباش المسيحيين في المدن الساحلية أو الجزر التابعة لليمن^(٦).

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

Niebuhr, C., BVA, S. 18-27.

Niebuhr, C., BVA, S. 23.

Niebuhr, C., BVA, S. 24.

Niebuhr, C., BVA, S. 25.

Niebuhr, C., BVA, S. 26. U. RB, Bd. 1, S. 319.

Niebuhr, C., BVA, S. 184.

تقديس الأولياء جزء من حياة المجتمع الدينية. وقد أشار نيبور إلى أن تقديس الأولياء ظاهرة ملموسة في اليمن، وخاصة في منطقة تهامة، كما ذكر أن السنين في تهامة يؤكدون أن الزيديين لا يقدسون الأولياء. وتوضح مكانة الأولياء، لدى أهالي تهامة، من خلال الربط بين نشوء المدن التهامية وبين الأولياء. وكذا من خلال ترويج الأساطير التي تحكي قدرات الأولياء ومعجزاتهم الخارقة.

ويبدو لي أن نيبور، في كل مرة كان يشير فيها إلى الأولياء، قد أقحم بصورة لا شعورية رؤيته الأوروبية الخاصة. فآدى ذلك إلى عملية مزج بين إطارين ثقافيين مختلفين، بحيث عكس حديثه عن الأولياء صورة قد لا تكون هي الصورة السائدة فعلاً في المجتمع اليمني. بل لقد استخدم عند حديثه عن دور الأولياء في إنشاء المدن مصطلح (شوتس هايلجر Schutzhilger)، وترجمته الحرفية (القديس الحامي). وهو مصطلح منبثق من إطار اجتماعي وثقافي أوروبي. ففي أوروبا هناك قديسون وقديسات حماة، فهذا القديس، مثلاً، حامي مدينة كذا، وإليه يتوجه المواطنون في هذه المدينة لطلب العون والبركة والحماية، وروحه تحوم دائماً في سماء المدينة، تعين المحتاج وتواسي الضعيف وتسح دموع المصابين وتسهر على حماية المدينة في وجه المترهبين بها. هذه الصورة الأوروبية للقديس دمجت لدى نيبور بصورة الولي في اليمن. فإذا الولي اليمني قد أصبح حامي مدينة بعينها أو ولياً لحرفة أو صناعة معينة^(١).

لقد وجدت أن التنبيه إلى عملية الدمج هذه بين صورتين مختلفتين للولي، أمر ضروري لفهم الصورة التي قدمها نيبور في كتاباته للأولياء في

اليمن، وذلك قبل أن استطرد في عرض هذه الصورة. وسوف أحاول في ما يلي أن أتبع مظهري التقديس في اليمن، كما رسمهما نيبور وهما: ربط نشوء بعض المدن بالأولياء، وترويج الأساطير حول قدراتهم ومعجزاتهم، متدرجاً في عرضي بحسب خط الرحلة، الذي سلكته البعثة، من مدينة اللحية وحتى مدينة تعز:

مدينة اللحية^(١):

أنشئت مدينة اللحية منذ حوالي ٣٠٠ عام بالنسبة للزمن الذي زار فيه نيبور اليمن. وقد أنشأها ولي يعتبره المواطنون حامي هذه المدينة. فقد بنى هذا الولي كوخاً على الشاطئ، وأقام فيه. ولما توفي أقيمت على قبره قبة. ولما كان المسلمون السنيون يبركون بالأولياء، فقد أخذ الناس شيئاً فشيئاً يبنون مساكن لهم حول قبره. وهكذا أنشئت مدينة اللحية. وكان مقر العامل، قبل نشوء مدينة اللحية، في مدينة مرايبة Maràbea. التي تبعد عن اللحية بمقدار ميل واحد^(٢)، نحو الشمال، ولكن ميناء هذه المدينة ساءت حالته مع الزمن، في الوقت نفسه الذي كانت تتسع فيه اللحية. ولذا أصبحت اللحية مقراً للعامل.

وقد قبر أحد أبناء حامي اللحية في Bahās والآخر في مور ويعتبر كل واحد منهما حامياً للمنطقة التي قبر فيها. مدينة بيت الفقيه^(٣):

ليست مدينة بيت الفقيه من المدن القديمة، فإنشأؤها يرجع إلى بضع مئات من السنين فقط. وقد أنشئت حول قبر أحد الأولياء وسميت باسمه بيت الفقيه. والفقيه المقصود بهذه التسمية هو الفقيه أحمد بن موسى. ويوجد قبره

(١)

(٢)

Niebuhr, RB. Bd. 1, 304 - 305.

Niebuhr, RB. Bd. 1, S. 319 - 320.

(٣) السجل الألماني القديم يساوي ٧٥٣٢ متراً.

في مسجد يقع خارج المدينة. وتقام حول هذا القبر زيارة في شهر ربيع الأول من كل عام. ويرتبط ازدهار مدينة بيت الفقيه بتضاؤل أهمية مدينة غلبقة ومدينة زبيد. ومع تزايد أهمية بيت الفقيه بنى حاكمها قلعة في مكان مختار قريب من الماء، وأخذ الأهالي ينون بيوتهم حول القلعة وفقد أصبحوا يرجون الحماية، كما يبدو، من العامل وقلعته أكثر مما يرجونها من وليهم^(١). وهكذا تراحموا حول القلعة، حتى أصبح لا يرى بجانب مسجد الولي الفقيه أحمد بن موسى سوى بضعة أكواخ.

ومن معجزات الفقيه أحمد، يروي الناس الحكاية التالية:

سُجن أحد الباشوات الأتراك في أسبانيا مدة عشرين عاماً، وقيد بقيود ثقيلة، ورُبط إلى صخرتين ضخمتين. وقد استمر يهتف مستغيثاً بالعديد من الأولياء، دون جدوى، حتى تذكر الولي أحمد بن موسى. فما أن هتف باسمه حتى مد الولي أحمد يده من القبر، وفي لمح البصر جاء الباشا بقيوده مع الصخرتين أيضاً. وقد حدثت هذه المعجزة في ليلة أصبحت موعداً لإقامة زيارة سوية حول قبر هذا الولي.

مدينة المخا^(٢):

مدينة المخا، كمدينة بيت الفقيه، ليست من المدن القديمة، إذ لا يزيد عمرها عن ٤٠٠ سنة بالنسبة للزمن الذي زار فيه نيبور الجمن.

وينسب إنشاؤها إلى ولي مشهور هو علي بن عمر الشاذلي^(٣). وقد عرف هذا الولي أثناء حياته بالزهد والورع، فأخذ الناس يقصدونه من أماكن بعيدة، ليستمعوا إلى تعاليمه ومواعظه. ولا يرجع إلى علي بن عمر الفضل في إنشاء

Nachbahr. RB. Bd 1. S. 319.

Nachbahr. C. RB. Bd 1. S. 419 - 440

Nachbahr. BVA. 222

(١)

(٢)

(٣)

قبر، وذلك قبل أن استرد في عرض هذه الصورة وسوف أطول في ما يلي
 أن أتبع مغربي القميص في اليمن، كما رسمهما سيور وهما: ربط شوه
 من قميص الأولياء، وترويح الأساطير حول قدراتهم ومعجزاتهم، متدرجاً في
 عرضي بحسب خط الرحلة، الذي سلكته البعثة، من مدينة المحية وحتى مدينة
 نجر

مدينة المحية^(١):

أنشئت مدينة المحية منذ حوالي ٣٠٠ عام بالنسبة للزمن الذي زار فيه
 سيور اليمن. وقد أنشأها ولي يعتبره المواطنون حامي هذه المدينة. فقد
 بنى هذا الولي كوخاً على الشاطئ، وأقام فيه. ولما توفي أقيمت على قبره قبة.
 ولما كان المسلمون السنيون يتركون بالأولياء، فقد أخذ الناس شيئاً قشياً يبنون
 مساكن لهم حول قبره. وهكذا أنشئت مدينة المحية. وكان مقر العامل، قبل
 نشوء مدينة المحية، في مدينة مرايبة Marābea. التي تبعد عن المحية بمقدار
 ميل واحد^(٢)، نحو الشمال، ولكن ميناء هذه المدينة ساءت حالته مع الزمن،
 في الوقت نفسه الذي كانت تسع فيه المحية. ولذا أصبحت المحية مقراً
 للعامل

وقد قبر أحد أبناء حامي المحية في Bahās والآخر في مور ويعتبر كل
 واحد منهما حامياً للمنطقة التي قبر فيها.
 مدينة بيت الفقيه^(٣):

ليست مدينة بيت الفقيه من المدن القديمة، فإنشاؤها يرجع إلى بضع
 مئات من السنين فقط. وقد أنشئت حول قبر أحد الأولياء وسميت باسمه بيت
 الفقيه والفقه المقصود بهذه التسمية هو الفقيه أحمد بن موسى. ويوجد قبره

(١)

(٢)

Nabahu, RB, Bd. 1, 304 - 305.

Nabahu, RB, Bd. 1, S. 319 - 320.

(٣) قبل الألفين الفصحى يسوي ٧٥٣٢ متراً.

مسجد يقع خارج المدينة. وتقام حول هذا القبر زيارة في شهر ربيع الأول من كل عام. ويرتبط ازدهار مدينة بيت الفقيه بتداول أهمية مدينة غلبقة ومدينة زيد. ومع تزايد أهمية بيت الفقيه بنى حاكمها قلعة في مكان محتار قرب من الماء، وأخذ الأهالي ينون بيوتهم حول القلعة وقد أصبحوا يرجون لحماية، كما يبدو، من العامل وقلعته أكثر مما يرجونها من وليهم^(١). وهكذا ترحموا حول القلعة، حتى أصبح لا يرى بجانب مسجد الولي الفقيه أحمد بن موسى سوى بضعة أكواخ.

ومن معجزات الفقيه أحمد، يروي الناس الحكاية التالية:

سُجن أحد الباشوات الأتراك في أسبانيا مدة عشرين عاماً، وقيد بقيود ثقيلة، ورُبط إلى صخرتين ضخمتين. وقد استمر يهتف مستغيثاً بالعديد من الأولياء، دون جدوى، حتى تذكر الولي أحمد بن موسى. فما أن هتف باسمه حتى مد الولي أحمد يده من القبر، وفي لمع البصر جاء الباشا بقيوده مع الصخرتين أيضاً. وقد حدثت هذه المعجزة في ليلة أصبحت موعداً لإقامة زيارة سوية حول قبر هذا الولي.

مدينة المخا^(٢):

مدينة المخا، كمدينة بيت الفقيه، ليست من المدن القديمة، إذ لا يزيد عمرها عن ٤٠٠ سنة بالنسبة للزمن الذي زار فيه نيبور اليم.

وينسب إنشاؤها إلى ولي مشهور هو علي بن عمر الشاذلي^(٣). وقد عرف هذا الولي أثناء حياته بالزهد والورع، فأخذ الناس يقصدونه من أماكن بعيدة، لينتموا إلى تعاليمه ومواعظه. ولا يرجع إلى علي بن عمر الفضل في إنشاء

المدينة محبس، بل يرجع إليه الفصل أيضاً، وفي الوقت نفسه، في نشر استعمال البن، وتأسيس تجارته، وإبراز قيمته، داخل اليمن وخارجها، الأمر الذي أدى إلى اعتباره حامى المقاهي، كما سنرى.

ففي يوم من الأيام ألفت إحدى السفن، المتجهة من الهند إلى جدة، مراسيها أمام شاطئ المخا. وعندما شاهد ركاب السفينة الهنود كونعاً وحيداً متصباً في الخلا، تملكهم الفضول، وأرادوا معرفة أمره، فنزلوا إلى البر واتجهوا نحو الكوخ، الذي كان يسكنه الشيخ علي بن عمر الشاذلي. وقد استقبلهم الشاذلي استقبالاً طيباً، وقدم لهم شراب البن، وهو شراب كان يحبه كثيراً. وظن الهنود، الذين لم يكونوا قد عرفوا البن من قبل، أنه نوع من أنواع الدواء، واعتقدوا أنهم إذا سقوه لتاجر، زميل لهم، كان مريضاً على ظهر السفينة، فإنه سيشفى. وقد أكد لهم الشاذلي، أنه بفضل دعواته وبفضل شراب البن، لن يشفى مريضهم فحسب، بل وسيجني أرباحاً طائلة. إذا هو أنزل بضاعته إلى البر وياعاها في هذه المنطقة. وأنه (أي الشاذلي) قد تنبأ بأن هذه المنطقة ستكون مركزاً تجارياً كبيراً. وأن الهنود سيعيرون مستقبلاً الجزء الأكبر من بضائعهم بها.

أثار الشاذلي بحديثه فضول الهنود أكثر فأكثر، وأنزلوا مريضهم إلى البر لسمع ويرى بنفسه ذلك الرجل غير العادي. وفي اليوم نفسه أم المكان أناس كثيرون. جاؤوا إليه من مناطق مختلفة ليستمعوا إلى مواعظ الشيخ الشاذلي.

شرب التاجر الهندي المريض البن، الذي غلاه له الشيخ الشاذلي بنفسه، وشعر بالتحسن. وكان بين من أم المكان تجار كثيرون، قاموا بشراء جميع البضائع المحملة على السفينة. وعاد التجار الهنود مسرودين إلى الهند. وأشاعوا هناك خبر هذا الولي، الذي أصبح، شيئاً فشيئاً، مشهوراً في الهند. وبدأت البيروت تبنى حول كوخ الشاذلي، وأخذ عدد السفن القادمة من الهند

إلى المخا بالتزايد. وتحول الكوخ إلى قرية ثم إلى مدينة مزدهرة، هي مدينة
المخا الحالية.

وعندما مات الولي علي بن عمر الشاذلي شيد على قبره مسجد معروف
باسمه. وهو يقع خارج المدينة. وهناك بئر تعرف باسمه أيضاً. كما سمي باسمه
واحد من أبواب المدينة. ولا زال واحد من أنسالة يسكن المخا، ويحظى
باحترام الناس، الذين يخاطبونه (بالشيخ). ويقسم الناس باسم الشاذلي دائماً
ولا يعتبر الشاذلي حامي مدينة المخا فحسب، بل وحامي كل المقاهي
في تهامة، فيذكره الناس في تلك المقهى كل صباح، عندما يقرؤون الفاتحة...
ويحمدون الله أنه عرفهم بواسطة الشاذلي على استعمال البن ويطلبون له ولزريته
الرحمة^(١).

مدينة تعز^(٢):

كانت مدينة عديدة، التي تقع أطلالها فوق مدينة تعز، في جبل صبر، هي
مفرحام هذه المنطقة. ولما مات أحد الحكام. وهو الملك إسماعيل مالك
Ismael Mulk، تم دفنه تحت جبل القاهرة، بناءً على وصيته. وأخذ أهالي
مدينة عديدة وغيرهم يبنون لهم بيوتاً حول قبر هذا الملك الولي. وبهذه الصورة
نشأت مدينة جديدة، هي مدينة تعز. وهكذا فإن الفضل في إنشاء مدينة تعز
يرجع إلى الأولياء المسلمين، تماماً كما هو الحال بالنسبة لنشأة كل من اللحية
وبيت الفقيه والمخا^(٣).

ويعتبر الولي إسماعيل حامي مدينة تعز. وقد بُني مسجد عند قبره، يعرف
باسمه، ولا يسمح بالاقتراب منه. ولمنع الاقتراب منه سبب توضحه الحكاية
التالية:

Nebuhr, C., RB. Bd. 1, S. 440.

Nebuhr, C., RB. Bd. 1, S. 379 - 381.

Nebuhr, C., RB. Bd. 1, S. 381.

٧. العلم
رغم
وكمقر لحا
قد أشار ع
نمارس دور
أكاديمية مع
العلوم الإس
سنوات من
الكساء^(٣).

وقد شرح
هذه
اليمين فحسب
العلم من
وكانت
الثاني فقد
كبيرة من الع
الإسلامية.
تخرجان عل

جاء متولان إلى حاكم مدينة تعز يطلبان الإحسان. فمنح الحاكم أحدهما دون الآخر. وهرع المتسول الذي لم يمنح إلى قبر الملك الولي إسماعيل، وهتف باسمه يطلب الإنصاف. وكان الولي إسماعيل معروفاً في حياته بالسخاء والجود. ولم يرد - في مماته - أن يرجع المتسول خائباً. ففتح قبره وسلم للمتسول رسالة موجهة إلى الحاكم، يأمره فيها أن يدفع للمتسول مئة ريال. وأمر الحاكم بفحص الرسالة فحصاً دقيقاً فثبت أنها بخط إسماعيل، وأنها قد مهرت بتوقيعه. فلم يجزئ الحاكم على الرفض. واضطر إلى دفع المبلغ للمتسول على مضض. لكنه أمر بعد ذلك ببناء حاجز يحول بين الناس وبين الوصول إلى قبر إسماعيل، حتى لا يتكرر ما حدث، ويذهب المتسولون إلى المقبر لطلب الإحسان.

والى جانب هؤلاء الأولياء الذين ينسب إليهم - أحياء أو أمواتاً - تأسيس مدن اللحية وبيت الفقيه والمخا وتعز، تكررت إشارات نيبور إلى أولياء آخرين، أمثال حلمي مدينة جيزان، الشيخ حسن بن صادق بن الولي الشاذلي^(١). وأحمد بن علوان، والولي المشهور المقبور في يفرس^(٢)، الذي علم مريديه كثيراً من فنون «السحر الطبيعي»^(٣)، كان يعرضوا أنفسهم لقرص الأفاعي السامة، أو يطعنوا أجسادهم العارية بالسيف، دون أن يلحقهم أي ضرر. والشيخ موسى المقبور في مسجده المعروف الواقع في خارج سور مدينة تعز، في الجهة الغربية منه، وقد سمي باسمه باب مدينة تعز المؤدي إلى مسجده، ويعرف اليوم باسم باب موسى^(٤).

وفي حضرموت تقام زيارة سنوية حول قبر النبي هود. وعدا عن المعنى الدني لهذه الزيارة، فإنها تمثل موسماً تجارياً هاماً^(٥).

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 267.

(٢) Niebuhr, C., BVA, S. 243.

(٣) Niebuhr, C., BVA, 243.

(٤) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 380.

(٥) Niebuhr, BVA, S. 288.

(١)
(٢)
(٣)
(٤)
(٥) عرفت زبيد
٤٧ مدرسة.
انظر: الأكبر

٧. العلم والعلماء:

رغم أن مدينة زبيد كانت قد فقدت أهميتها، كمدينة أولى في تهامة، وكمقر لحاكم المنطقة، وحلت محلها في الأهمية مدينة بيت الفقيه، فإن نيبور قد أشار عند زيارته لها إلى أن أهم ما فيها هو أكاديميتها، التي كانت لا تزال تمارس دورها في خدمة العلم^(١)، وتتفتح بها تهامة كلها وجزء من الهند. وهي أكاديمية معروفة ومنذ سنوات طويلة^(٢)، ولا زال طلاب العلم يدرسون فيها العلوم الإسلامية^(٣). وقد وجد نيبور في مدينة مسقط عالماً هندياً، قضى سنوات من عمره في أكاديمية زبيد، وذكر أن ذلك العالم قد شرح له معنى وأهل الكساء^(٤). كما وجد عالماً آخر في الهند، قضى أيضاً سنوات في الأكاديمية، وقد شرح له - أي لنيبور - نظام القضاء في اليمن^(٥).

هذه الإشارات تفصح عن مدى أهمية أكاديمية زبيد، ليس في داخل اليمن فحسب، بل تجاوزت أهميتها حدود اليمن، حتى أصبح يقصدها طلاب العلم من بلدان إسلامية بعيدة كاليهند.

وكانت هذه الأكاديمية أحد مركزي العلم الرئيسيين في اليمن. أما المركز الثاني فقد كان في ضمار. وقد أشار نيبور، عند مروره بضمار ومشاهدته لأعداد كبيرة من الطلاب، إلى أن أكاديمية ضمار أكاديمية مشهورة، تدرس فيها العلوم الإسلامية. وأنها تضم حوالي خمس مئة طالب^(٦). وكانت هاتان الأكاديميتان تخرجان علماء متفهمين على المذهبين، الزيدي في ضمار والسني في زبيد.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 328.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 328.

Niebuhr, C., BVA, S. 10 - 11, 270.

Niebuhr, C., BVA, S. 205.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 407.

(٥) عرف زبيد خلال تاريخها الإسلامي أكثر من مدرسة. وقد أورد القاضي إسماعيل الأكوخ أسماء ٤٧ مدرسة، كان معظم مشائخها من أتباع المذاهب الشافعي والحنفي.

انظر: الأكوخ، المدارس الإسلامية، ص ١٨ - ٢٨١.

وبكى وضع نفسه، كما يستف من بعض الإشارات، لم يكن وضعاً كريماً
 هذه تكررت بثروت يهود إلى العنصر الفقراء، وله بشر مرة واحدة إلى عالم
 من. يستند تحكمه منه. فهي سياق حديثه عن إقامة البعثة في مدينة
 فليبي قال من بين العرب الذين زارونا في هذه المدينة عالمان فقيران،
 حدثت مهم على الكثير من المعلومات الحمراية والأخبار، التي ضمنها
 كتاب وصف بلاد العرب^(١). وفي رحلته من بيت الفقيه إلى زبيد رافقه عالم
 فليبي قال ع: وقد استنمت بصحبة كثير^(٢).

وأكد بيور أنه يوجد بين اليمين علماء يعرفون الحسابات الفلكية
 ويستعملون وضع تقويم تاريخي، وأن لديهم طريقة خاصة لحساب الزمن،
 ولكنه لم يشكر من التعرف على تلك الطريقة^(٣).

٨. الفنون:

أكد بيور أن الفنون في اليمن وفي وضع سيء للغاية^(٤). فالمسلمون
 شكل عام لا يقلون التماثيل والرسوم. ولهذا لا يوجد في اليمن رسامون
 ولا حثون^(٥).

وشر كان المرء في تركيا، رغم أنها بلد مسلم، يلتمس اهتماماً
 بالموسيقى. نعت تأثير الصوفية المولوية^(٦)، فإن هذا الفن في اليمن مهمل
 تماماً فلم نسمع في هذا البلد صوت آلة موسيقية أخرى غير الطبل
 والحرارة^(٧). وينظر اليمين إلى الموسيقيين نظرة تخلو من الاحترام، ومع

(١)

Niebuhr, C. RB, Bd. I, S. 311.

(٢)

Niebuhr, C. RB, Bd. I, S. 326

(٣)

Niebuhr, C. RB, Bd. I, S. 396

(٤)

Niebuhr, C. BVA, S. 215.

(٥)

Niebuhr, C. BVA, S. 216.

(٦)

Niebuhr, C. BVA, S. 216

(٧)

(٨) الطريقة صوفية أسسها جلال الدين الرومي (١٢٠٧ م - ١٢٧٣ م).

LIW, Bd. I, S. 147 - 148.

ذلك منهم يستمتعون بالموسيقى ويطربون لها. فقد كان أهالي اللحية يتحلقون حول أفراد البعثة، حينما كانوا يعزفون في المساء بالآلاتهم الغربية. ورغم غربة الأصنام، فقد كان يلاحظ عليهم الانسجام والاستمتاع^(١).

ولعل الفن الوحيد الذي كان موجوداً في اليمن هو الشعر، فقد أشار نيبور إليه إشارة واحدة ذات دلالة، حيث قال: «يقال أن في الجوف أفضل شعراء اليمن»^(٢).

١. النقوش والآثار:

لم يشاهد نيبور نقوشاً يمنية قديمة، ولكنه أشار مراراً إلى وجود نقوش في بعض الأماكن، حكى له أنها ليست عربية ولا عبرية. وقد استنتج أنها نقوش يمنية قديمة. وأهاب بالعلماء الأوروبيين أن يزوروا مواقعها وأن يحاولوا دراستها^(٣). وقد استفاد العلماء الرحالة، الذين جاؤوا إلى اليمن فيما بعد، من إشارات نيبور وقصدوا المناطق التي تحدث عن احتمال وجود النقوش فيها. كسفطة ظفار التي استطاع (سيترز Seetzen)، استناداً إلى إشارات نيبور، أن يصل إليها ويعثر على نقوش حميرية فيها، وذلك عام ١٨٠٩ م^(٤).

وقد تحدث نيبور عن مأرب، ووصف سدها، كما تقدم معنا، ولكنه أخطأ في حكمه على قيمة آثارها، فقد قال إنها توجد في آثار مأرب «بقايا قصر بلقيس، ولكن لا توجد هناك نقوش، ولهذا ربما لا تستحق هذه الآثار أن يشاهدها المرء»^(٥). وحكمه هذا يستند إلى ما سمعه من وصف لمأرب وآثارها، إذ أنه لم يزرها بنفسه.

وفي بعض الأماكن كبيت الفقيه وغليفقة عثر نيبور على كتابات

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 302.

Niebuhr, C., BVA, S. 272.

Niebuhr, C., BVA, S. 234. U. RB, Bd. 1, S. 400 - 401.

Dawani, Yemen, S. 61

Niebuhr, C., BVA, S. 277.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

كوفية^(١) قد سقطها ونسبها بعد في كتبه (وصف بلاد العرب). ويروي في
 يوجياته. كيف استطاع أن يفلح كتابة كوفية في عبيقة^(٢). فقد وجد حجرين
 مكتوب عليهما بخط نكوفي. واستطاع أن يفلح ما كتب على أحدهما، وفي
 اليوم الثاني عد إلى مكان الحجرين، ليقل ما كتب على الحجر الآخر، ولكنه
 لم يجد في مكانه فتوجه إلى الحاكم وأخبره بالأمر ووعدته بهدية إذا هو ساعده
 في العثور على ذلك الحجر. فأجده الحاكم، وصار به غير أزقة ملتوية، حتى
 وصل إلى كوخ. تحته قبر أحد الأولياء، واسمه الشيخ صالح، وهناك كان
 الحجر الآخر. وقد أكد الحاكم لبيور أنه الحجر لم ينقله إلى هناك أحد من
 لأدني. بل أتى به الشيخ صالح نفسه، ليبقيه تحت حمايته^(٣).

وذكر بيور أن اليمينين يكتبون عادة أسماء المدن، دون وضع نقط على
 الحروف^(٤) كما لاحظ وهو في مدينة مسقط أن أهالي عمان لا يزالون يطلقون
 على أسمائهم أسماء قديمة، كتعب وحجير^(٥).

سجل
 أسماء كبيرة
 جانب ذلك،
 في بلاد العرب
 لندن، إضافة
 بعضها قام بـ
 مع.

ويعمل
 لندن والقرى
 عشر.

وسوف

لذات فيه في

أ. هليينه ال

نقع الد

(١)

(٢) انظر الملحق

Niebuhr, C, RB, Bd. 1, S. 320, 324.

Niebuhr, C, RB, Bd. 1, S. 324.

Niebuhr, C, BVA, S. 282.

Niebuhr, C., BVA, S. 186.

(٥) غير شلتق.

الفصل الرابع

وصف المدن والطرق

سجل نيبور، في ما سجله، وصفاً للمدن اليمنية، التي مر بها. كما أورد
نماء كبير من القرى المنتشرة على طول خط الرحلة. وتكررت إشارات، إلى
حاج ذلك، إلى حالة الطرق، التي سلكها. كما ضمن كتابيه (وصف رحلة
في بلاد العرب والبلدان المجاورة) و(وصف بلاد العرب) رسوماً لبعض
مدن، إضافة إلى رسوم الملابس والأدوات الزراعية والحقول. . . إلخ، (*)
مهما قام برسمه رسام البعثة باورنفايند، والبعض الآخر قام برسمه نيبور
نفسه.

ويمثل ما قدمه نيبور، من وصف ومن رسوم، توثيقاً تاريخياً لوضع
للمدن والقرى والطرق والملابس والأدوات. . . إلخ، في يمن القرن الثامن
عشر.

وسوف نستعرض هنا وصف نيبور للمدن والطرق، وفقاً للتسلسل الذي
لادته فيه في كتاباته، أي وفقاً لمسار رحلته من اللحية وحتى صنعاء.
١. **هليئة اللحية^(١)**:

تقع اللحية في منطقة قاحلة، غير صالحة للزراعة. تغمر مياه البحر جانبيها

Niebuhr, C., RB. Bd. I, S. 304 - 308.

(١) انظر الملحق.

الشمالي المنخفض، إذا استمر هبوب الرياح الجنوبية فترة طويلة، فتبدو اللحية عند ذلك كما لو أنها تقع على جزيرة. واللحية هي الميناء الشمالي للمملكة الإمام. ولكنها ميناء رديء، إذ تضطر السفن إلى الرسو بعيداً عن الشط، ويتم نقل البضائع والركاب، من السفن إلى البر أو العكس، بواسطة القوارب. وعندما يكون مستوى الجزر منخفضاً، فإن القوارب نفسها تعجز عن الوصول إلى الشاطئ.

ومدينة اللحية مدينة غير مسورة، ومع ذلك فإنها ليست مفتوحة بشكل كامل إذ إنها محاطة باثني عشرة قلعة، كل قلعة منها تبعد عن الأخرى مسافة مئة وعشرين خطوة مزدوجة (حوالي ٢٠٠ إلى ٢٥٠ متر)، ولكل منها باب مرتفع لا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة سلم متحرك. أما بيوت المدينة فبعضها مبني بالحجارة، ولكن معظمها عبارة عن أكواخ كتلك الأكواخ المنتشرة في تهامة. وبما أن هذه الأكواخ غير مقسمة في الداخل إلى غرف، فإن الأسرة الواحدة تضطر - إذا كان عددها كبيراً - إلى بناء عدة أكواخ متجاورة. مما يجعل المدينة تحل رقعة من الأرض واسعة، رغم أن عدد سكانها ليس كبيراً^(١). وفي خارج المدينة توجد عدة محارق في الغراء، تستخدم لحرق الأحجار المرجانية. والماء في اللحية سيء للغاية. ولهذا فإن مياه الشرب تجلب من بئر في وادي نعمان Naaman، الذي يبعد عن اللحية بمسافة $\frac{3}{4}$ الميل (حوالي ٥ كلم)^(٢)، نحو الجنوب الشرقي، أو من بئر Kandie، التي تبعد عن اللحية بمسافة $\frac{1}{4}$ ميل (حوالي ١٨ كلم)، أو من بئر فتية Ftite، التي تبعد عن اللحية بمسافة $\frac{1}{4}$ ميل (حوالي ١٩ كلم)، نحو الشمال الشرقي، والماء المجلوب من بئر فتية هو أفضل ماء للشرب يمكن الحصول عليه في اللحية.

(١) لم يحدد سيجور عدد السكان.
(٢) استخدم سيجور في قياس المسافات الميل الألماني القديم، وهو يساوي ٧٥٣٢ متراً.

١. مدينة بيت الفقيه^(١):

تقع مدينة بيت الفقيه على سهل فسيح ، تنتشر الزراعة فيه على الرغم من أنه يدر سهلاً غير خصب . وهي مدينة غير مسورة ، تنتشر مبانيها على رقعة واسعة من الأرض . ومعظم بيوتها عبارة عن أكواخ ، مبنية بالطريقة التهامية المعتادة . وتوجد فيها قلعة ، بداخلها بئر عميقة . وليس في المدينة منارات ، سوى منارة واحدة ، هي منارة المسجد الكبير . وبفضل موقع بيت الفقيه أصبحت أهم سوق للبن في اليمن ، بل في العالم كله ، فهي لا تبعد عن مناطق البن الجبلية بأكثر من مسافة يوم ونصف اليوم ، وعن ميناء الحديدة بمسافة أربعة أيام ، وعن ميناء المخا ، بمسافة أربعة أيام ونصف اليوم ، وعن صنعاء بمسافة ستة أيام^(٢) . ويسكن فيها عدد كبير من الهنود الوثنيين ، وخاصة من منطقة ديو Diu . وتعتبر بيت الفقيه مدينة حديثة نسبياً . إذ إن عمرها لا يتجاوز بضع مئات من السنين .

٢. مدينة غليفة^(٣):

كانت مدينة غليفة مدينة مشهورة ، عندما كانت ميناءً لزييد ، ولكنها أصبحت غير صالحة لرسو السفن ، وتلاشت أهميتها ، ولم تعد تتكون سوى من ثلاثين كوخاً على الأكثر ، مبعثرة بين أشجار النخيل . وسكانها فقراء ، يعتمدون في معيشتهم على التمر وتربية الماعز وصيد السمك . وليست غليفة غنية إلا بملح الطعام . حيث يتوفر فيها بكميات كبيرة . ولا يشاهد المرء من بقايا المدينة القديمة سوى جدران متهاوية لمسجد كبير ، هو مسجد السيد علي . والسيد علي هذا مقبور في قرية موشج ، ويعتقد سكان غليفة أنه بفضل دعواته سخر الله لهم نبع ماء عذب ، كانوا لا يزالون يشربون منه (أي عند زيارة نيبور لهذه المدينة) .

(١)

(٢)

Nachtstr. C., RB. Bd. 1, S. 317 - 320. U. BVA, S. 226.

Nachtstr. C., RB. Bd. 1, S. 323.

(٣) يدر هذا التقدير غير دقيق إذا قارنا المسافات بين بيت الفقيه والمخا ، وبينها وبين صنعاء .

٤. مدينة الحديد^(١):

تعتبر مدينة الحديد ميناء بيت الفقيه. وبعض بيوتها مبنية بالحجارة، كمقر العامل، وبنى الجمارك، وبيوت أغنياء التجار. أما الغالية العظمى من البيوت فهي عبارة عن أكواخ، مبنية على الطريقة التهامية. وفي الحديد قلعة مطلة على البحر. ويعتبر الشيخ صادق، الذي يقع قبره خارج المدينة، حامي مدينة الحديد.

٥. مدينة زيب^(٢):

تقع مدينة زيب في أكبر وديان تهامة وأكثرها خصوبة. وقد كانت في الماضي مقر حكام المنطقة، وأهم مركز تجاري فيها. ولكن بعد أن ضعفت أهمية غليظة كميناء، وانتقل الثقل التجاري إلى المخا والحديدة واللحية وبيت الفقيه، ولم يبق لزيب سوى ظلال باهتة من ماضيها الزاهر^(٣). ومع ذلك فلا زالت تبدو أكثر جلالاً وجمالاً من أي مدينة أخرى في تهامة، ويرجع ذلك إلى مكانتها الدينية الرفيعة. وقد ترتب على مكانتها الدينية أن أصبحت المؤسسة الدينية فيها أكثر ثراءً من سواها. حيث لا تقل حصة المؤسسة الدينية والمساجد عن $\frac{2}{3}$ دخل مدينة زيب والمناطق المحيطة بها. في حين لا تزيد حصة الحكام عن $\frac{1}{3}$ والسكان عن $\frac{1}{3}$ أيضاً. وتضم المدينة عدداً كبيراً من المساجد، والقباب المبنية على قبور الأولياء، ويتم تجديد طلائها كل عام بمناسبة قدوم شهر رمضان. ومن بين مساجدها: مسجد ابن عمر، ومسجد الأشعري، الذي شيد الصحابي أبو موسى، ومسجد باشا، الواقع عند باب الشبارق، والمسجد الواقع عند باب القرب، وعدد آخر بناه الباشوات الأتراك، الذين حكموا زيب. ويضيف نيسور، خطأ، وأما مسجد الإسكندرية الواقع في القلعة ومسجد

(١)

(٢)

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 324 - 325.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 327 - 328.

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 327.

الكمالية القريب منه، فيرجع الفضل في تشييدهما إلى سيدات (*) تركيات (١).
ويشاهد المرء، إضافة إلى المساجد المذكورة، مساجد أخرى كثيرة، شيدت وفقاً
للطابع المحلي المهيب. كما توجد آثار قنوات لتنظيم المياه القادمة من الجبال
إلى المدينة. ولكن هذه القنوات لم تعد صالحة. ولذا فإن السكان يحصلون
على مياه الشرب من الآبار، التي هي غير عميقة في هذه المنطقة. ويشاهد
المرء في المدينة، وحولها أيضاً، حوادث جميلة.

وعن أبواب المدينة ذكر أبو الفداء أنه كان للمدينة ثمانية أبواب. ويعلق
نيبور على ما ذكره أبو الفداء بقوله: «ولكني لم أسمع سوى عن أربعة
أبواب» (٢)، وهي: باب النخل، في الجنوب الغربي، وقد جرفته المياه قبل زمن
قصير. وباب الغرب، الذي لا يزال قائماً، ولكنه ربما يُجرف قريباً، لكونه يقع
في مجرى مياه الوادي. وباب الشبارق، الواقع في الجهة الشمالية الشرقية.
وباب سهام، في الجهة الشمالية. والبابان الأخيران باب الشبارق وباب سهام
لم تبق منهما سوى الجدران، أما عقودهما فقد انهارت.

وأما سور المدينة فقد انهار جميعه تقريباً. ويقوم المواطنون الفقراء بجمع
ما تبقى من حجارته، الملقاة على الأرض، لبيعها. ورغم ذلك - أي رغم انهيار
السور - فإنه يمكن الوقوف على نطاق المدينة القديم، بشكل دقيق. فلا يزال
يوجد في معظم الأماكن، التي كان السور مقاماً عليها، ارتفاع واضح عن سطح
الأرض وقد سرت حول المدينة متبعاً آثار سورها القديم وأبوابها، وتمكنت من
الطواف حولها في مدة ساعة واحدة وبضع دقائق (٣). ولا تشغل المساكن

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 327.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 328.

(٣) Niebuhr, C., RB, Bd 1, S. 328.

(٤) مسجد (ومدرسة) الكمالية شيده كمال الرومي، الذي حكم يزيد من عام ١٥٢٧/٩٢١ م.
وحسب عام ٩٣٠ هـ/١٥٢٤ م. وأما مسجد ومدرسة الإسكندرية فقد شيده إسكندر بن سولي
المشهور بإسكندرموز. الذي توفي عام ٩٤٣ هـ/١٥٣٧ م. بعد أن حكم في اليمن ستة أعوام
ونصف: انظر: النهرلوي، البرق، ص ٣٥ - ٣٦، ٥٦٥ - ٥٩.

الغالمة أكثر من نصف المساحة الواقعة داخل إطار السور القديم. وتوجد حول المدينة بقايا من ضواحيها القديمة، ولا تزال قائمة، وفيها بعض المساجد. وأنعم ما يوجد في زبيد هو أكاديميتها المشهورة، والتي لا تزال محظوظة بمكانتها وأهميتها، (أي حتى الزمن الذي زار فيه نيبور اليمن).

٦. مدينة العدين^(١):

مدينة العدين، مدينة صغيرة ومسورة، تتكون من حوالي مئتين وخمسين، إلى ثلاث مئة بيت، مبنية جميعها بالحجارة. ويجري بجانب المدينة مسيل (سائلة) صغير يصب في وادي زبيد. وفي خارج المدينة وعلى جبل مرتفع يتصب قصر شيخ العدين وحاكمها، حيث يسكن هو وعائلته.

٧. مدينة جبلة^(٢):

تقع مدينة جبلة على واد ضيق وعميق، متخذة شكلاً نصف دائري، بمحاذاة الوادي. ويصل امتدادها في الطول إلى حوالي خمس مئة خطوة مزدوجة^(٣). وأما عرضها فيبدو ضيقاً. ويعلق نيبور على ذلك بقوله: «ولذا فإني أشك في أن يبلغ عدد منازلها إلى ست مئة منزل»^(٤). وطرق المدينة مرصوفة، ويونتها عالية ومبنية بالحجارة، كما هو الحال بالنسبة لجميع البيوت في المناطق الجبلية. ويبدو منظرها جميلاً. وبالقرب من المدينة يسكن اليهود في قرية منفصلة.

ولقد ذكر نيبور في يومياته، أنه لم يشاهد صوراً حول المدينة كما لم يشاهد فيها أية قلعة. إلا أنه في كتابه (وصف بلاد العرب) أشار إلى أن عامل جبلة يسكن في قلعة^(٥).

(١)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 343.

(٢)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 346. U. BVA, S. 238 - 239.

(٣)

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 346.

(٤) انظر

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 346. U. BVA, 238 - 239.

(٥) حوالي ٩٠٠ متر تقريباً.

٨. مدينة حيس^(١):

تقع مدينة حيس في تهامة، وهي مدينة صغيرة غير مسورة. وفيها قلعة يسكنها العامل. وليس في حيس سوى بيوت قليلة مبنية بالحجارة.

٩. مدينة المخا^(٢):

تقع مدينة المخا في منطقة قاحلة، بسبب ندرة الأمطار. وهي مدينة مأهولة بالسكان ومسورة. وبالإضافة إلى السور، توجد أبراج للحراسة على طريق موزع، منتشرة بين المدينة وبئر البليلي Belcile. وعلى البحر تطل قلعتان مزدودتان بمدافع. وهما قلعة طيار Teiâr وقلعة عبد الرب ابن الشيخ الشاذلي. وبعض البيوت داخل سور المدينة مبنية بالحجارة وبطريقة جميلة، مشابهة لطريقة بناء بيوت بئر العزب في صنعاء. أما أكثر البيوت، سواء داخل السور أو خارجه، فإنها ليست أفضل من الأكواخ المنتشرة في تهامة. وفي خارج المدينة تنتشر أشجار النخيل بكثرة. وبين هذه الأشجار توجد حدائق جميلة.

ولسور المدينة خمسة أبواب وهي:

١- باب العمودي.

٢- باب الشاذلي.

٣- باب فجير.

٤- باب صندل.

٥- باب الساحل.

وقد ضمن نيبور يومياته المنشورة رسماً توضيحياً^(٣) حمل عليه الأبواب الأنفة الذكر وفقاً للتسلسل الرقمي المذكور كما حمل عليه، إضافة إلى ذلك، بعض المواقع الهامة، وفقاً للتسلسل التالي:

Nachtigal, C., RB. Bd. I, S. 352

Nachtigal, C., RB. Bd. I, S. 438 - 440. U. BVA, S. 222.

(٣) انظر الملحق.

٦- مقر العامل.

٧- المضرة التي يقبر فيها الأوروبيون، وقد قبر فيها أول المتوفين من أعضاء البعثة الهولندية، وهو فون هافن.

٨- أبراج على طريق موزع.

٩- الطريق إلى بيت الفقيه.

ولم يتمكن نيبور من معرفة تاريخ إنشاء مدينة المخا بصورة أكيدة. إلا أنه أشار إلى أن المدينة تعتبر من المدن الجديدة. إذ لا يتجاوز عمرها أربع مئة عام. ويرتبط إنشاؤها باسم الولي الشيخ الشاذلي^(٥)، الذي يقع قبره خارج المدينة. وقد بُني فوقه مسجد كبير سمي باسمه. ويطلق اسم الشاذلي أيضاً على بر ماء عذب يشرب منها سكان المخا.

وسكن في المخا حوالي سبع مئة هندي. كما يسكن بعض اليهود متعزلين خارج المدينة^(٦).

١٠- مدينة الدريبات وسجن ابن عقلاق^(٧):

مدينة الدريبات هي عاصمة منطقة ابن عقلاق، وهي مدينة صغيرة، تقع على جبل، وتحتها، على الطريق يقع سوق، وفيه عدد من البيوت. وأهم ما يوجد في الدريبات هو السجن المخيف المشهور في كل اليمن. ويقع هذا السجن في سوق الدريبات وهو منحوت في الصخر، ولا يدخله نور النهار، ولا يدخله الهواء بحرية إلا إذا فُتح بابه.

وقد شاهد نيبور من خلال باب السجن وهو مفتوح عدداً كبيراً من السجناء، وقد قبلوا وربطوا جميعاً إلى سلسلة حديدية طويلة.

(١)

(٢)

Niebuhr, C. RB, Bd. 1, S. 443

Niebuhr, C. RB, Bd. 1, S. 375 - 376.

(٥) مر علي بن عمر بن إبراهيم. عاش في الفترة من ١٣٥٤ م وحتى ١٤٢٥ م. انظر: الزركلي، الأعلام، مع ٤، ص ٣١٦.

(١)

(٢)

(٣) انظر الملحق

١١. مدينة تعز^(١):

تقع مدينة تعز عند أقدام جبل صبر الخصب من جهة الشمال. وهي محاطة بسور يتراوح سمكه بين ستة عشر إلى أربعة وعشرين قدماً، وعليه عدد من الأبراج الصغيرة. وقد بني السور، كما بنيت الأبراج، من الجهة الخارجية بطبقة رقيقة من الياجور المحرق، ومن الجهة الداخلية باللبن. وفي الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، وضمن سورها، يتصب مرتفع صخري حاد، يصل ارتفاعه، حسب تقدير العين المجردة، إلى أكثر من أربع مئة قدم. وعلى قمة هذا المرتفع يقع حصن القاهرة.

وقد أحيط الحصن بسورين: سور خارجي، هو امتداد سور المدينة، وسور داخلي.

وللمدينة تعز بابان: باب الشيخ موسى، والباب الكبير، وكلاهما يقعان على طريق المخا - صنعاء، وليسا بعيدين عن بعضهما، وهما مبنيان بالطريقة اليمنية. كما يوجد باب صغير في حصن القاهرة، باتجاه جبل صبر. وكان هناك باب صغير آخر، بين حصن القاهرة والباب الكبير، تم سدّه قبل سنوات قليلة.

وفي حصن القاهرة، كما على بابي المدينة: باب الشيخ موسى والباب الكبير، توجد بعض المدافع «وفي السنة التي زرنا فيها تعز كان هناك برج لا يزال في حالة التشييد، ويمكن أن توضع عليه بعض المدافع»^(٢). ويوجد في المدينة حوالي ست مئة جندي، يتمركز ستون جندياً منهم في حصن القاهرة، والباقيون موزعون على البابين والأبراج وفي داخل المدينة.

وقد ضمن نيسبور كتابه رسماً توضيحياً^(٣)، للمدينة، بين فيه المواقع التالية:

(١)

Nachbauer, C., RB. Bd 1, S. 377 - 381. U. BVA, S. 241.

(٢)

Nachbauer, C., RB., Bd 1, S. 378.

(٣) انظر الملحق.

١ - باب الشيخ موسى .

٢ - باب الكبير .

٣ - البرج الجديد .

٤ - قصر السيد أحمد .

٥ - قصر السيد عبدالله .

٦ - مسجد الأشرية ، ونسخدم أقبية كمخازن للمحبوب .

٧ - مسجد إسماعيل ، وهو مسجد كبير ، ويجدد باستمرار ، ولكنه ليس جميلاً ، ونسخدم أقبية كمخازن للبارود .

٨ - في حيس . وهي عارة عن مبنى كبير وجميل يقف وسط مكان خال لا تحيط به أية مباني وقد شيدت القبة على قبر أحد الباشوات الأتراك .

٩ - مسجد نصر عسكاً .

١٠ - السوق ، أو شارع السوق .

١١ - ساحل كبيرة خارج المدينة وقد تهدمت بعض أجزائها .

١٢ - المصلى ، حيث تقام صلاة العيد . وهو محاط بسور ، وفيه جناح للوضوء .

١٣ - الطريق إلى صنعاء .

١٤ - الطريق إلى المخا .

وفي خارج المدينة ، في الجهة الغربية منها ، يوجد مسجد الولي المشهور ، الشيخ موسى ، الذي سمي باسمه أحد بابي المدينة . وفي الجهة الشرقية من المدينة يوجد مسجد ضخم يقع على مرتفع ، وبجانبه مبنى ، لا يقل صحابة عنه ، يضم قبور الأفاضل وأسرته . ويبدو طراز بناء المسجد والمبنى الآخر شيئاً بالطراز التركي . مما يجعلني أظن أن الأفاضل (*) هذا كان باشا في

(*) الأفاضل الملقب بـ دويد أحد ملوك الدولة الرسولية ، تولى الحكم بعد وفاة الملك المعتمد عام ٧٦١/١٣٦٣ م ، وتوفي عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م . انظر : الخزرجي ، المقود ، ج ٢ ، ص ١١١ وما سماه

نبراً^(١)، وفي هذا المسجد، كما في المساجد الأخرى بالمدينة، توجد كتابات عربية، مكتوبة بشكل متداخل، تصعب قراءتها. وللمسجد منارتان، دمرت لغزاء منهما أثناء حرب تعز الأخيرة^(٢). ويوجد عدد آخر من المساجد داخل لمدينة وخارجها، ولكن معظمها لم يعد يستخدم. ولهذا فقد أخذت تتهدم شيئاً فشيئاً.

وقد اهتم حكام تعز المتأخرون ببناء القصور أكثر من اهتمام أسلافهم، وبدلاً من بناء المساجد اكتفى كل منهم ببناء مبنى صغير، عليه قبة، بجانب بيته ليركز فيه الصلاة ويقبر فيه بعد موته. وتعتبر قصور السيد أحمد^(٣) وأبنائه من أجمل قصور تعز. وقد توقف التوسع في البناء في مدينة تعز بشكل عام. وتشاهد في أماكن كثيرة في المدينة آثار الدمار التي خلفتها الحرب الأخيرة. وفي القرب من تعز تشاهد بقايا مدينتين قديمتين، هما: عُدنة Oddene، وتقع على سفح حل صبر، فوق مدينة تعز مباشرة، ولم يبق منها سوى مساجد مهدامة، ويقول العرب أنها كانت مقر حكام المنطقة^(٤). والأخرى ثعبات Tobâd، وتقع على بعد نصف ميل ألماني تقريباً، جنوب شرقي تعز، على جبل صبر، ولا تزال تشاهد بقايا من سورها ومن مسجد كبير فيها، لم تبق منه سوى قبة صغيرة. كما لا تزال تشاهد فيها جدران مسجد الأحمر، وهي مبنية بحجارة حمراء وأغرب ما فيها خط طويل كتب في أعلى الجدار، ليس كوفياً ولا عربياً حديثاً^(٥).

(١) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 380.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. 1 S. 381.

(٣) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 381.

(٤) شهدت تعز حرباً طاحنة بين الإمام المنصور حسين بن المتوكل قاسم وبين أخيه أحمد عامل تعز ولم تحسم هذه الحرب إلا بعد وفاة المنصور وذلك على يد ابنه الإمام المهدي عباس. انظر: الحطّاد، تاريخ اليمن، ص ٣٣٧ وما بعدها.

وكذا: الجرافي، المقتطف، ص ١٩٥ وما بعدها. وزيارة، نشر العرف، ص ٥٩٥ وما بعدها. والشماسي، اليمن، ص ١٤٨.

(٥) لعل المقصود هنا هو عامل تعز السيد أحمد بن المتوكل قاسم أخو الإمام المنصور، الأنف الذكر.

١٢. مدينة إب^(١)

تقع مدينة إب في قمة مرتفع، يحيط بها سور وأبراج، ويحيطها صخرة واحدة، وحرفها مرصوفة ويقدر عدد بيوتها عادة بثلاثة أرباع بيوت مدينة حجة ويحسب تقديري لا يزيد عدد بيوتها عن خمس مئة بيت. أما العرب فيقدرون عددها بشمال مئة بيت، وبيوت حجة بألف ومئتي بيت^(٢).

وهناك، في مدينة إب، عدد من المساجد الصغيرة، ولكن ليس من بينها سوى مسجدين لهما مزارات. وفي شرق المدينة يتصبب جبل مرتفع جداً، وهو جبل مدان، الذي تنحدر منه المياه، التي يشرب منها السكان.

١٣. مدينة يريم^(٣)

يريم مجرد مدينة صغيرة، أو بالأحرى قرية كبيرة. فيها قلعة تقع على مرتفع صخري حاد، يسكن بداخلها عامل المنطقة. وبيوت المدينة مبنية إما بالحجارة أو بالياجور أو باللبن المغطى بطبقة من الطين المخلوط ببراز الأبقار.

ولم يستطع نيبور أن يتعرف على المدينة بصورة جيدة بسبب مرضه. ولكم استطاع، من نافذة المنزل الذي نزلت فيه البعثة، أن يرسم القلعة وجزء من المدينة^(٤).

١٤. مدينة ذمار^(٥)

تقع مدينة ذمار في منطقة سهلية. وهي مدينة كثيرة المباني وغير مسورة. وتوجد بالقرب منها قلعة كبيرة. وأشهرها في ذمار أكاديميتها والتي تضم، كما قيل لي، حوالي خمس مئة طالب^(٦). ويسكن في المدينة عدد من الهنود. أما

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

Nebeker, C. R.B. Bd. 1, S. 396. U. BVA. S. 239.

Nebeker, C. R.B. Bd. 1, S. 396.

Nebeker, C. R.B. Bd. 1, S. 400.

Nebeker, C. R.B. Bd. 1, S. 407.

Nebeker, C. R.B. Bd. 1, S. 407.

يهود فيسكنون في قرية خاصة بهم خارج المدينة. وفي مكان غير بعيد من دمار
بحري ميل صغير، تنتهي مياهه في رمال الجوف.

وقد أشار نيبور إلى أن أحد أعيان دمار قد ذكر له أن دمار تضم خمسة
آلاف بيت، إلا أنه، أي نيبور، يشك في صحة هذا الرقم^(١).

١٥. مدينة صنعاء^(٢):

تقع مدينة صنعاء عند أقدام جبل نقم، الذي لا زالت توجد عند سفحه
بقايا قصر قديم. يقول اليمينيون إنه كان قد بناه سام بن نوح. وفي الجانب
الغربي من المدينة يوجد نهر صغير. وعلى ضفافه يقع بستان المتوكل، الذي
أنشأه الإمام المتوكل^(٣)، وقد بنى فيه الإمام المهدي عباس قصراً جميلاً.
وبستان المتوكل محاط بسور ترابي، يتصل طرفاه بسور المدينة^(٤)، وعليه
أبراج كثيرة، يبعد الواحد منها عن الآخر بمقدار ثلاثين خطوة مزدوجة^(٥).
وفي جانب المدينة المواجه لجبل نقم توجد قلعة، يؤكد اليمينيون أنها بنيت على
تل غمدان، ولها سور متصل طرفاه أيضاً بسور المدينة.

ويحيط بمدينة صنعاء سور يفصلها عن القلعة، كما يفصلها عن بستان
المتوكل. ويبلغ طول سور المدينة بما فيه سور القلعة مسافة يمكن قطعها في
مدة ساعة وثمان دقائق بالسير السريع. ولا يدخل ضمن هذه المسافة سور بستان
المتوكل.

Niebuhr, C. RB. Bd 1. S. 407.

Niebuhr, C. RB. Bd. 1. S. 418 - 422. U. BVA. S. 231 - 232.

(١) الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم تولى الإمارة بعد وفاة أخيه محمد بن القاسم عام
١٥٠٤ هـ / ١٦٤٤ م، واستمر فيها حتى وفاته عام ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م. انظر: الزركلي،
الأعلام مج ١، ص ٣٢٢.

(٢) انظر الملحق.

(٣) حوالي خمسين متراً.

وللمدينة صماء أربعة أبواب كبيرة، وهي:

- ١- باب اليس.
- ٢- باب السج.
- ٣- باب شعوب.
- ٤- باب إستران Bab Estrán. وهذا الأخير ينفذ إلى القلعة، ولكنه لم يمد بضع منذ سنوات عديدة.

وبالإضافة إلى الأربعة أبواب الكبيرة هناك ثلاثة أبواب صغيرة، وهي:

- ١- باب شرارة.
- ٢- باب حديد Hadid.
- ٣- باب فجير Foger^(١).

وتبدو مدينة صماء مدينة مأهولة بالسكان بشكل كبير، ولكنها مع ذلك ليست مزدهرة المباني، إذ تسخللها كثير من الحدائق. وقد أحصى نيبور عدد المنارات فوجدنا تسع إلى عشر منارات^(٢). ويقع الجامع الكبير في منتصف المدينة وله منارتان، وأما المساجد الأخرى فقد قيل لنيبور أن أسماءها هي: المدرسة، صلاح الدين، الطواشي، البكيرية، ومسجد آخر داخل القلعة. ولكل من هذه المساجد منارة واحدة^(٣). وقد بُني بعض هذه المساجد من قبل الأتراك. وبني الإمام المهدي عباس مسجداً فخماً غني بالمياه، التي ينتفع بها الإنسان والحيوان. وشيد بجانب المسجد مبنى صغير مجهز فيه قبراً له.

(١) ذكر نيبور اسمين آخرين للبابين الصغيرين الآخرين باب حديد وباب فجير وهما: Bab

باب حديد Hadid. انظر: الهامش. Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 418.

(٢) هذه الطريقة في التقدير تكررت لدى نيبور أكثر من مرة، وليس لها سوى تفسير واحد، وهو أن نيبور قد ساء في بعض الأحيان من تسجيل العدد في حينه، ثم حاول تسجيله لاحقاً في وقت لم يعد متأكداً فيه مما إذا كان العدد مثلاً تسعة أم عشرة.

(٣) لم يذكر نيبور مساجد أخرى غير ما ذكره أعلاه، ومع ذلك فإن عدد المنارات التي ذكرها تدل على وجود مساجد أخرى.

ويوجد في مدينة صنعاء حوالي اثني عشر حماماً عاماً. كما تنتصب مجموعة من القصور الفخمة، كقصر بستان السلطان ودار النصر ودار فتح Dar Fatch، وقد بنيت جميعها من قبل الإمام، المهدي عباس. إضافة إلى قصر الإمام المنصور وإلى العديد من البيوت الكبيرة، التابعة لأفراد أسرة الإمام. ولأعيان صنعاء. وهذه الدور والقصور مبنية بالحجارة المنحوتة أو بالياحور. وهناك بيوت كثيرة مبنية باللبن. ولتوافد البيوت مصاريع، تظل مفتوحة في الطقس الجيد، وتغلق عندما يكون الطقس رديئاً، وعند ذلك ينفذ الضوء عبر كوة صغيرة مدورة، تقع فوق النافذة، وقد سدت بقطعة سميكة من زجاج ماريا Marienglas^(*)، ينفذ الضوء من خلالها، وفي بعض بيوت الأعيان وضع زجاج، بعضه ملون جلب من البندقية، بدلاً عن زجاج ماريا. ولم يتمكن نيبور من رسم أي بيت من بيوت صنعاء، ولكنه عثر بين أوراق زميل رحلته، رسام البعثة، باور نفايند، على رسم لأحد بيوت بئر العزب، وجده كافياً لإعطاء صورة عن فن البناء اليمني.

وفي مدينة صنعاء - كما في مدن الشرق التجارية الكبيرة - محطات للقوافل ومبان مخصصة لمبيت التجار والمسافرين، يسمى الواحد منها مسرة. كما توجد في صنعاء أسواق لمختلف أنواع السلع^(١).

وتقع قلعة صنعاء على تل غمدان الشهير ويدخلها قصران: أحدهما يسمى دار الذهب Dar eddähhb، والآخر دار أمير Dar Amer. وقد شاهد نيبور في قلعة صنعاء أطلالاً لمبان قديمة. ويسكن في القلعة عدد من أفراد أسرة الإمام. كما يوجد فيها دار لسك النقود، وسجون، ذات حجرات مختلفة الأحجام. وفي أعلى موقع في القلعة توجد جرية المدافع، أي حظيرة

(١) انظر ص ١٦٤ - ١٦٦ من هذا البحث.

(*) لعله يقصد القريات المنحوتة من الرخام الأبيض الشفاف والتي لا زالت تملأ نوافذ بعض البيوت اليمنية حتى اليوم.

المدافع، وفيها عدد من المدافع. كما يوجد عدد آخر من المدافع موزع على ثلاثة أبواب من أبواب المدينة، وهي: باب اليمن وباب السبح وباب شعوب.

وفي غرب مدينة صنعاء توجد قرية، أو ضاحية بئر العزب، وفيها جامع كبير وله منارة. وتقع بيوت بئر العزب متناثرة على مسيل صغير. وبالقرب من بئر العزب توجد قرية كبيرة، تسمى قاع اليهود، يسكنها اليهود. وإلى الشمال من صنعاء تقع منطقة الروضة على مسيل، وتبعد عن صنعاء بمسافة ساعة ونصف إلى ساعتين. وتكثر فيها الحداثق. وعادة ما يشبهها العرب بمنطقة دمشق.

١٦. وصف الطرق:

تكررت إشارات نيبور إلى وجود طرق مرصوفة، سواء في المدن، كمدينة جبلة ومدينة إب أو في مناطق الجبال كما في الجبال بين العدين وجبلة وفي جبل سمارة وجبل كوكبان. لكن هذه الطرق المرصوفة قد أهملت صيانتها - كما ذكر - منذ سنوات طويلة^(١).

وإضافة إلى هذه الطرق صادف نيبور، بعد مغادرته القاعدة، متجهاً مع أفراد البعثة إلى إب، جسراً قائماً فوق عقد ضخم مبني بالحجارة وذلك قرب سمرة Mharras^(٢). ويستطيع المسافر أن يمر على ذلك الجسر، متجنباً مجرى الماء، المنحدر بقوة من الجبال. ويبدو من خلال أسماء القرى التي ذكرها نيبور مثل قرية دوشروك Duschruck وقرية دمنة Dimne، أن ذلك الحرس يقع على سائلة السياني.

(١) انظر: Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 344, 395, 396, 397, 398. U. BVA. S. 237, 257.

(٢) Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 394 - 395.

الفصل الخامس الأحداث التاريخية

تناول نيبور تاريخ اليمن على وجهين: الوجه الأول كان عبارة عن عرض عام للتاريخ اليمني، أما الوجه الثاني فقد كان تسجيلاً لروايات متفرقة عن أحداث تاريخية معاصرة.

١. العرض التاريخي العام:

لم يعثر نيبور على كتب أو معلومات تمكنه من تسجيل صورة واضحة عن تاريخ اليمن القديم. ولذا فقد اكتفى بإيراد ما سمعه من بعض اليمنيين من تفسيرات لأصل اسم تبع^(١). ثم حاول أن يقدم عرضاً عاماً لتاريخ اليمن الإسلامي، معتمداً في ذلك على نصوص من كتاب (قرة العيون)، كان قد نقلها زبيل فورسكال قبل وفاته، وعلى رواية مواطن هولندي، كان قد أسلم وقضى سنوات، في مدينة المخا وفي مناطق حاشد وبكيل، حاول خلالها أن يقرأ في التاريخ وفي العلوم الدينية. وقد قدم ذلك الهولندي روايته لنيبور شفويًا، وسجل جزءاً منها كتابة. وتغطي روايته تاريخ اليمن منذ عهد الإمام القاسم بن محمد حتى عهد الإمام المهدي عباس، أي حتى زيارة نيبور لليمن. ولا يخرج عرض نيبور لتاريخ اليمن الإسلامي، وهو عرض موجز على أي حال، ولا يتجاوز

(١) نظر.

أربع صفحات ونصف من صفحات كتبه (وصف بلاد المغرب) (١٥)، لا يخرج
في مضمونه عن منه في الكتب التاريخية التفسيرية. ولذا فإن سرده هنا لن
يكون أكثر من تكرار للأروم له.

وقد استهو بوز عرصة التاريخي العام لتحديث عن المصاعب، التي
يواجهها الرحالة لأجسي، عند محاولته التعرف على تاريخ بلد ما. ويعكس
حبه من بعض الأوراق القائمة حينذاك بين الوصف العلمي في كل من أوروبا
وإسلافة شرقية. كما نورد أسماء بعض المراجع التاريخية، التي كانت متداولة
في حين. ولعله من المبعد أن يقتطف بعض فقرات من حديثه هذا: «إذا كان
من الصعب على الرحالة أن يحصل على معلومات موثوقة عن حاضر بلد من
البلدان، فإن الأمر يبدو أكثر صعوبة بالنسبة لتاريخ ذلك البلد. وقد يشعر
الرحالة الأوروبي، وهو يتنحدر في أوروبا بالسعادة، إذا تصرف على عالم ملم
بتاريخ بلده إلا أن مثل هذا العالم، نادراً ما يكون لديه الصبر والوقت،
للتحدث مع شخص غريب، عن دقائق وتفاصيل تاريخ بلده. فإذا كان هذا هو
الحال في أوروبا، فإن ما يتوقع الرحالة الحصول عليه في البلاد العربية هو أقل
بكثير، حيث يندر وجود العلماء، ونحن لا نحسن لغتهم، الأمر الذي يتطلب
مهم بذل جهد، قد لا يجدون في أنفسهم الرغبة في بذله معناه، بنفس القدر
الذي يمكن أن يفعلوه مع أبناء دينهم. وفي جميع البلدان الأوروبية لا توجد
قطر مكنت عامة، بل يوجد أيضاً علماء يشتغلون بالتاريخ، مما يسهل على
الرحالة جمع معلومات تاريخية، عن البلد الذي ينوي زيارته، حتى وهو لا يزال
في بلده أما العرب فلا يهتمون كثيراً بالتاريخ الحديث، ولا يهتمون مطلقاً
بالتاريخ القديم، السابق على عصر محمد. ولا توجد لديهم مكتبات عامة في
أي مكان. وحتى علماءهم الكبار، لا يتوفر لديهم من الكتب، إلا ما هو
ضروري جداً لهم» (١٦).

(١٦)

(١٥) من ص ١٧٨ إلى ص ١٩١.

Nabholz, C., BVA, S. 185.

(١)

(٢)

(٣)

ثم يستطرد نيبور في الحديث عن الجهد الذي بذله للحصول على كتب تاريخية، وكيف أن البعض قد أطلعه على كتب، لكنه لم يجد وقتاً لنقلها، ولم يستطع أن يفتح أصحابها يبيعها. وينتهي إلى القول: ولهذا فإني سأذكر أسماء هذه الكتب، التي كان يشار إليها، كلما سألت عن تاريخ اليمن. فربما وجد التجار الأوروبيون، الذين سيزورون المخا في المستقبل، فرصة لشراؤها، أو ربما يتمكن المرء، بقليل من الجهد، من شرائها في القسطنطينية أو القاهرة. حيث توجد محلات لبيع الكتب. وهذه الكتب هي: البرق اليماني، نفايس الغرابع، تاريخ الأولين والآخرين، جمهرة العرب، روح الروح، تاريخ المخرجي^(١).

٢. روايات عن أحداث تاريخية معاصرة:

تلقي نيبور معلومات عن أحداث تاريخية معاصرة، لم يكن قد مضى على حدوثها زمن طويل. وكانت تفاصيلها لا تزال حية في ذاكرة المواطنين. بل لقد شاهد آثار بعضها بنفسه. مما يجعل روايته لها، بعد أن توثق من صحتها، مستخدماً منهجه، الذي أشرنا إليه في فصل سابق^(٢)، تكتسب قيمة تاريخية، لغزب الحدث من الراوي والمتلقي. وسوف نسرد هنا هذه المعلومات كما رواها وبحسب تسلسلها الزمني.

أ. لصف مدينة المخا من قبل الفرنسيين^(٣):

كان عامل الإمام في المخا يأخذ أحياناً بضائع هندية للإمام من التجار الفرنسيين، التابعين لشركة الهند الشرقية الفرنسية، دون أن يسدد ثمنها. وتراكمت الديون على العامل، أو بالأصح على الإمام، حتى بلغت اثنين وثمانين ألف ريال. وأخذ الفرنسيون يطالبون بتسديد المبلغ. وظل العامل

Niebuhr, S., BVA, S. 186 - 187.

(١) انظر ص ٥٦-٦٢ من هذا البحث.

(٢) انظر: Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 44 - 443. U. BVA, S. 222.

بسوف ويؤجل ويؤجل حوالي خمسة وعشرين عاماً. أي في عام ١٧٣٨ م،
 أرسلت الشركة إلى المحامية حربية، مراعاة لسمعتها التجارية. وقام قائد
 الحامية الفرنسي، فور وصوله إلى ميناء المحام، بإطلاق عامل الإمام. بأن
 الفرنسيين لم يزلوا بصانعتهم إلى الرء. إلا بعد أن تسدد الحكومة اليمنية ما عليها
 من ديون.

وحلول العامل إقناع الفرنسيين بؤتزال بضائمتهم أولاً، ثم يمكن بعد ذلك
 التحدث في موضوع الديون. إلا أن الفرنسيين أرادوا أن يؤكدوا جدبتهم
 وتصميمهم على تحصيل ديونهم، وذلك بعملية استعراض للقوة، فقصفوا القلعة
 النملية للمدينة ودمروها وبعد ذلك جرت مفاوضات، أوضع العامل فيها أنه
 لا يستطيع أن يدفع شيئاً دون أمر من الإمام، وطلب مهلة مدتها خمسة عشر
 يوماً لتتصل بالإمام، ويستمد منه التعليمات. ولما انقضت المهلة المحددة.
 ولم ينفذ الفرنسيون أي رد. قاموا بقصف بيت العامل نفسه. وقتل نتيجة
 للقصف أحد المواطنين. ولما لم يؤد ذلك إلى نتيجة قاموا، أثناء صلاة الجمعة
 فصف المسجد، الذي كان يصلي فيه العامل، وقتل نتيجة لذلك عدد من
 المواطنين.

وبدا المواطنون، الذين سقط منهم عدد من القتلى، بسبب دين
 الحكومة، يوجهون لهم إلى العامل، ويطالبونه بمعالجة الموقف وإرضاء
 الفرنسيين.

وقد تمت معالجة الموقف فعلاً. وذلك بأن قام أحد التجار اليمنيين
 في المحام بتسديد دين الإمام، وعادت المياه إلى مجاريها، وأنزل الفرنسيون
 بضائمتهم إلى المدينة.

ويؤكد نيبور أنه عند وصول البعثة العلمية الدنماركية إلى المحام عام

(١١)

١٧١٢ م لم يكن التاجر، الذي سدد عن الإمام دينه للفرنسيين قد استرد نفوده من الإمام حتى ذلك الوقت.

ولم تنته عملية قصف المخا من قبل الفرنسيين دون رد فعل من قبل المواطنين، فقد أقدم أحدهم على قتل أحد الفرنسيين، بعد نزولهم إلى البر، بغاماً لمقتل قريب له، كان قد قتل أثناء القصف.

ب. حرب تعز^(١)؛

كان الإمام المنصور حسين^(٢) قد عين أخاه الأمير أحمد عاملاً على تعز. وقد أظهر هذا رغبة في الاستقلال بحكم تعز عن سلطة أخيه الإمام، وضرب عملة باسمه، مما دفع الإمام المنصور إلى إرسال قوات إلى تعز لإخضاع أخيه. إلا أن أخاه استطاع أن يدافع عن المدينة بقواته المكونة من ألفي رجل. وظل مستقلاً بحكم تعز مدة اثني عشر عاماً. وقام بوضع حواجز جمركية، مما أجبر رعايا الإمام، المسافرين من المخا إلى صنعاء، أن يتجنبوا السفر عبر تعز، ورسلكوا طريق العدين.

وخلف الأمير أحمد بعد موته ستة أبناء، وهم: عبدالله وعلي يحيى ومحسن ويعقوب وحسين. وتولى ابنه الأكبر عبد الله شؤون الحكم، وقد صاد السلام بينه وبين إمام صنعاء معظم فترة حكمه. وتوفي عبد الله عام ١٧٥٩ م، وكان له ابن اسمه عبد الكريم، ولم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من العمر، حال أعمامه بينه وبين أن يخلف والده في حكم تعز. وتنازع ثلاثة منهم الحكم، وهم: علي ويحيى ومحسن. وحاول كل واحد منهم أن يجمع حوله الأنباغ. واستطاع أحدهم أن يسيطر على قلعة القاهرة، المطلة على مدينة تعز،

(١) انظر:

Niebuhr, C. R.B. Bd. 1, S. 381 - 384. U. BVA, S. 240.

(٢) الإمام المنصور حسين بن القاسم تولى الإمامة في الفترة من ١١٣٩ - ١١٦١ هـ/ ١٧٢٧ - ١٧٤٨ م، انظر: العمري، مئة عام، ص ٤٤ - ٤٥. الجغرافي المقتطف، ص ١٩٢. الحداد، تاريخ اليمن، ص ٣٣٦.

والآخر على يد الشيخ موسى، والثالث على اليد الكبير^(١) ولكن لم يكن
في مهة يملك من الإيرادات المالية ما يمكنه من حشد أتباع كافين للتغلب على
أخويه الصغير وعندما كانت تتوفر لهم بعض الدخائر، كانوا يتبادلون الترافق
بها حتى تغد. وظل الموقف بهذه الصورة، فلم يحل السلام بين الإخوة، ولم
يستطع أحدهم أن يحسم الموقف لصالحه.

ولما هذا الوضع نحا الأمير الصغير عبد الكريم إلى الاستعانة بابن عمه
إمام صنعاء المهدي عاص، الذي كان قد أصبح إماماً بعد وفاة والده الإمام
المصور عام ١١٦٦ هـ / ١٧٤٨ م. فكتب إليه يطلب نصرته ويرجو دعمه،
حتى يتمكن من السيطرة على الموقف في تعز. والقضاء على أطماع أعمامه.

وسهر الإمام المهدي الفرصة. وبعث بجيش إلى تعز، بقيادة القيب
المنس. مكلفاً برحصة المدينة، والقضاء على المتمردين. وإبصاليهم إلى
صعدة. ولما كان القيب المنس غير مجهز بمدافع، فإنه لم يستطع اقتحام
المدينة، واكتفى بمحاصرتها من الخارج. وإطلاق نيران الساق باتجاه
التحصينات. من مسجد الأفضل، الواقع خارج سور المدينة. ولم يستخذه
لمحاصرون (فتح المصادر) مدافعهم ضد جيش الإمام. خشية أن يدفع ذلك
الإمام إلى نقل بعض المدافع الضخمة. من المخا، لقصف تحصيناتهم. وبينما
كان جيش الإمام يحاصر تعز، تقدم الشيخ عبد الرب، الذي كان قد استقل
بحكمه الحربية عن مملكة الإمام - كما سيأتي معنا - ليساعد جيش الإمام في
فتح المدينة. وقد نجح الشيخ عبد الرب، باستخدام الحيلة، في اقتحام
المدينة. وذلك عن طريق رشوة بعض الجنود المدافعين. فقد وعد اثني عشر
جدياً، كانوا يدافعون عن أحد الأبراج، في الجهة الشرقية من السور، بإعطائهم
ألف ريال مقابل تعاونهم معه. وحفر ثغرة في برجهم إلى الخارج، تستطيع
بعض القوات المحاصرة للمدينة أن تنفذ منها. وقد تم ذلك فعلاً، وافتحمت

(٥) هذا الملك القرشي للمدينة تعز

(١) النظر
(٦)

نفقات الإمامية، وقوات الشيخ عبد الرب، مدينة تعز، ونهبتها وألقت القبض على الأمراء المتنافسين، وذلك عام ١٧٦٠ م. وأمر الإمام بقدم الأمراء ومعهم عبد الرب إلى صنعاء، وزج بالأميرين يحيى ومحسن في السجن. وأما الأمير علي، الذي كان والد زوجة الإمام، فقد احتفظ بحريته، وظل يعيش في البلاط صنعاء مع إخوته الآخرين وابن أخيه، الأمير عبد الكريم، الذي شاهده بيور يسير مع أعمامه في موكب الإمام، عند عودة الإمام من صلاة الجمعة. وأما الشيخ عبد الرب فقد كان له مصير آخر، كما سنرى في الفقرة التالية.

ج. الإمام المهدي عباس والشيخ عبد الرب بن أحمد^(١):

توفي الإمام المنصور في صنعاء عام ١٧٤٨ م. بعد حكم دام واحداً وعشرين عاماً، مخلفاً وراءه وخمسة عشر إلى عشرين ولداً^(٢). وكان يفترض أن يتولى الإمامة بعده ابنه علي، وهو الابن الأكبر، من الزوجة الأولى، ابنة السيد محمد بن حسين، حاكم كوكبان. ولكن هذه الزوجة، التي كانت عام ١٧٦٢ م لا تزال تسكن في صنعاء في قصر يسمى دارسنان، لم تكن بذكاء زوجة الإمام الثانية، أم ولده عباس، التي كانت جارية للإمام قبل أن يتزوجها. فقد كتمت أم عباس خبر موت زوجها، الإمام المنصور، إلى أن تمكن وزير الإمام، القاضي يحيى بن صالح، أن يحشد حوله الأنصار، للوقوف مع الأمير عباس، ونسكن من اعتقال الأمير علي وزج به في السجن. وقد بقي في السجن حتى توفي عام ١٧٥٩ م. وبعد أن تمكن عباس من الأمر وأعلن إمامته ولقب بالمهدي، أمر بالقبض على نصيره، القاضي يحيى وأودعه السجن، ولم يطلق سراحه إلا قبل فترة وجيزة من وصول البعثة الدينامركية إلى صنعاء.

خاض الإمام المهدي حروباً عديدة ضد منافسيه، وضد بعض القبائل، التي انتفضت عليه. فقد أعلن أمير كوكبان، أحمد بن محمد بن حسين،

(١) انظر:

(٢)

Niebuhr, C. RB. Bd 1. S 383-384, 307, U. BVA, S. 197-204.

Niebuhr, C., BVA, S. 204.

إمامته. ودخل في حرب مع الإمام المهدي عباس، انتهت بعقد اتفاقية سلام
بينهما وتخلي أحمد بن محمد عن الإمامة، لكنه ظل يحكم منطقة كوكبان،
مستقلاً عن سلطة الإمام.

وفي عام ١٧٥٠م دخل الإمام في حرب ضد قبائل نهم وذيبيان^(٥)، التي
تحركت بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل، حتى كادت تصل صنعاء. وقد تمكن من
إلحاق الهزيمة بها.

وفي عام ١٧٥٧م هاجمت قبائل حاشد وبكيل قوات الإمام، التي كانت
تتجمع في دمار استعداداً لمهاجمتها. وقد استطاع الإمام أن ينتصر عليها. وفي
العام نفسه، أي عام ١٧٥٧م نشبت حرب بين الإمام المهدي وبين أحمد بن
محمد بن إسحاق، أمير منطقة وصاب، الذي أعلن إمامته، وسك عملة باسمه.
وقد هزم أحمد بن محمد، وأخذ إلى صنعاء، وأُجبر على الإقامة فيها. كما دخل
الإمام في حرب ضد أبناء عمه، الذين كانوا يحكمون منطقة تعز، مستقلين عن
سلطة الإمام، كما تقدم معنا.

ورغم الحروب المتواصلة وكثرة المنافسين والأعداء، إلا أنه لم يكن بين
أعداء الإمام المهدي من هو أكثر خطورة وأشدّ مراساً من الشيخ عبد الرب بن
أحمد، أمير منطقة الحجرية. كان عبد الرب ابناً لعامل الإمام على يفرس. ولما
توفي والده عينه الإمام خلفاً لوالده، تقديراً لخدمات الوالد. وبعد سنوات
استدعاه الإمام إلى صنعاء لتقديم حساباته. وتعبيراً عن رضى الإمام عن سير
أعماله كلفه بمهمة هدم بعض الحصون والقلاع، التي يسيطر عليها بعض
المشايخ^(٥٥)، ثم عينه عاملاً على قعدة، وهي منطقة أكثر أهمية من يفرس.
وكان عبد الرب قد كثر أعداؤه، وخاصة بسبب تهديمه للقلاع والحصون. وكان

(٥) نهم وذيبيان هما من قبائل بكيل. انظر، الحجري، مجموع، مج ١، ص ٦٤، ٢٥١، مج ٢، ص ٧٤٦.

(٥٥) لم يورد نبيور أسماء المشايخ، ولا أسماء المناطق التي تقع فيها تلك الحصون والقلاع.

من أبرز أعدائه النقيب محمد بن عبد الله الوادعي، الذي كان له حصن في Robo el Halla، قرب المخادر. عمل محمد بن عبد الله على الكيد لعبد الرب لدى الإمام بواسطة أصدقائه في صنعاء، الذين استطاعوا أن يوغروا صدر الإمام عليه. فاستدعاه الإمام للمشول بين يديه، إلا أن أصدقاء لعبد الرب في صنعاء أبلغوه بحقيقة مشاعر الإمام نحوه، مما جعله يخشى السفر إلى صنعاء. وبدلاً عن ذلك أخذ يستعد للدفاع عن نفسه، تجاه أي محاولة، قد يقدم عليها الإمام، لأخذه إلى صنعاء بالقوة. وساعد امتناعه عن القدوم إلى صنعاء أعداءه في إقناع الإمام، باستخدام القوة ضده. وهكذا تم تجهيز قوة عسكرية لإخضاعه، قوامها ثلاثة آلاف مقاتل، يقودهم النقيب محمد بن عبد الله الوادعي، الذي وجد في ذلك فرصة لتصفية حساباته مع عبد الرب. حاصر جيش الإمام الشيخ عبد الرب في قطبة، ولما ضاق بالحصار غادر قطبة ليلاً مع رجاله. الذين كان عددهم يتراوح بين خمس مئة إلى ست مئة مقاتل، والتجأ إلى حصني الدمولة والمنصورة، في الحجرية، ليقاوم الإمام هناك، بين أهله وأنصاره.

وعاد النقيب محمد بن عبد الله إلى صنعاء خائباً، فأرسل الإمام جيشاً آخر إلى الحجرية، ولكنه هزم. وبعد أن استأنس عبد الرب في نفسه القوة، انتقل من موقف الدفاع إلى الهجوم، وأخذ يغير على مناطق الإمام. حتى وصل مدينة جبلة واحتلها، ثم انسحب منها، بسبب عدم توفر التحصينات فيها، فهي مدينة غير مسورة، واكتفى بأخذ مبلغ من المال من أهالي المدينة. وعاد إلى الحجرية.

وعندما عجز الإمام عن إخضاع عبد الرب، حاول أن ينسق مع السلطان عبد الكريم، سلطان عدن، الذي كان بدوره قد بدأ يخشى تعاضم شأن عبد الرب. وتم الاتفاق بين الإمام والسلطان عام ١٧٥٧م على مهاجمة عبد الرب بجيشين، يطبقان عليه من الجانبين. ولما علم عبد الرب بفحوى الاتفاق، لم ينتظر تحرك الجيشين، بل توجه من فوره باتجاه عدن، واستطاع أن يحتل لُحج، وأن يضرب

حصار على نسطور في عدد. واه حوالي خمسة أشهر، مما اضطر السلطان
إلى طلب الصلح. وقام بدفع مبلغ من المال لعدد العرب، مقابل رفع الحصار
والانسحاب من ممتلكته. وقد كان موقف الإمام أثناء ذلك كله، موقفاً سليماً،
على يحاول أن يمد يده للصاعدة إلى حليفه سلطان عدن.

وفي عام ١٧٦٠م كانت قوات الإمام تحاصر مدينة تعز، كما تقدم معنا،
وكاد عد العرب قد تمرر موقفه واستطاع أن يستولي على قلعة موزع، وكاد أن
يستولي على الناحية، لولا أنه تلقى تهديداً من عامل المخا بأنه - أي العامل - قد
تفرغ مع الإحمر، الذين كانوا يتركزون في Rehde، بأن يقوموا بقصف قوات
عد العرب لراحة، مداهمهم، إذا هي أقدمت على مهاجمة المدينة. مما أجبر
عد العرب على إيقاف زحفه. ووجد الإمام نفسه أمام موقفين صعبين. فمن
ناحية كانت قوته تقف أمام أسوار مدينة تعز عاجزة عن اقتحامها. ومن ناحية
أخرى كاد شد عد العرب يزداد تعاضماً، إلى درجة أنه أخذ يضم بعض مناطق
الإمام إليه. ولما علم الموقفين لجأ الإمام إلى مناورة هدف من ورائها ضرب
أعدائه بعضهم ببعض الآخر. فعمل على الاستعانة بعدد العرب لاحتلال تعز
ولكن عد العرب، الذي كان يعرف طريقة تفكير الإمام، لم يطمئن إلى كل
عهود الإمام ووعوده^(١)، إلا أن قائدين كبيرين من قادة جيوش الإمام، وهما
شفيب العاسر والشفيب أحمد الأحمر، استطاعا أن يقنعا عبد الرب، ويضمننا له
عهد غفر الإمام به. فتم الصلح بين الإمام وعبد الرب، على أن يساعد
عد العرب قوات الإمام في احتلال تعز، وأن لا يهاجم بعد ذلك أي منطقة من
مخفر الإمام. وبالمقابل وافق الإمام على الاعتراف بسيادة عبد الرب على
الحجرية، وعدم المطالبة مستقبلاً بأية حقوق له - أي للإمام - على هذه
المنطقة، وأن يعتبر عبد الرب صديقاً وحليفاً له. وأكد الإمام موافقته بسبعة
ليمان. وعلق نيسبور على ذلك بقوله: ولكن لماذا سبعة أيمان، ولماذا

(١)

لا يكتفي يمين واحد. هذه أحجية بالنسبة لي لم أستطع فهمها^(١). وكان شاهداً
هذا الصلح هما النقيان المذكوران آنفاً. وما أن أبرم الصلح حتى توجه
عبد الرب لتعزيز جيش الإمام، المحاصر لتعز.
وبعد أن تم احتلال تعز طلب الإمام حضور أبناء عمه أمراء الأسرة
الحاكمة في تعز، ومعهم الشيخ عبد الرب. وتوجس عبد الرب خيفة من طلب
الإمام هذا، ولكن النقيين، الماس والأحمر، ضمنا له أن الإمام لن يمسّه
بمكره. وهكذا توجه عبد الرب في موكب مهيب إلى صنعاء، وسط تحيات
وزحاح المواطنين، في كل المناطق التي مر بها. فقد كان ينظر إليه كبطل
استطاع أن يتحدى سطوة الإمام وأن يرغمه على احترامه. وخرج سكان صنعاء
لاستقباله، ودخل صنعاء دخول المنتصرين. ولكن الإمام سرعان ما أوقع به
وجرد من سلاحه وأمر بصبح وجهه ويديه باللون الأحمر، ويوضعه عارياً مقيداً
بوق جمل، ووجهه إلى الخلف، والطواف به في شوارع مدينة صنعاء، مصحوباً
بفئات الطبول. وكانت واحدة من أخوات عبد الرب تعيش في صنعاء،
ولما شاهدت أخاها في هذا الوضع المهين قذفت بنفسها من سطح الدار،
وارتطم جسمها في الشارع، أمام موكب أخيها، وفارقت الحياة. وقد ظل
عبد الرب يضرب ويعذب ويلقى به وسط القاذورات ثلاثة أيام، ثم أمر الإمام
بإعدامه. وكانت هذه - كما يقول نيبور - «هي نهاية ثائر وبطل عربي كبير، كانت
له شهرته في اليمن في السنوات الأخيرة»^(٢). ولم تنته الأحداث المرتبطة
بعبد الرب بموته وفقد ولدت الطريقة المخزية، التي خرق بها الإمام وعوده
وعهوده، كراهية في نفوس رعاياه، وخاصة في نفسي النقيين الماس والأحمر،
الذين ضمنا لعبد الرب سلامته^(٣). ولما كان النقيان يشعران بأنهما من القوة
بعث لا يستطيع الإمام أن يلحق بهما أذى، فقد بادر أولاً النقيب أحمد الأحمر

إلى مقابلة الإمام. وعرفه عن شخصه. فرح به الإمام في السحر. وما بدا
القيب الحاس في. معه لتحررت عسكرياً ضد الإمام. وعندما علم الإمام بذلك
احتان عنه. وسندعه نصف إلى قصره. واستغفنه استقلالاً بشوشاً. وقدم له
القهوة. كما هي العادة. وله تكن قهوة عادية. إذ إن القيب الحاس فاروق
النبية. قبل أن يعود إلى داره.

وفي حاشد. بعد أن وصلت أثناء سجن القيب أحمد. جهاز أخوه. الشيخ
فاسد الأحمر مقاتلي اتحاد حاشد ويكيل وزحف بهم إلى عمران. ووجه الإمام
قوات لملاقاة الشيخ فاسد. وفي أول اشتباك بين الطرفين سقط أحد أبناء الشيخ
فاسد. واسم مرشد. فتبلاً. وانسحبت قوات حاشد ويكيل وخشي الإمام إذا
مروا القيب أحمد سحياً أن تتحرك حاشد ويكيل من جديد في محاولة
إلطاز سراحه. ولذا أمر بإعدامه. وتم قطع رأسه في مدينة الروضة^(١). وقد
قلت حاشد ويكيل عدة عمليات عسكرية انتقامية ضد بعض مناطق الإمام.
مهجت اللحية. وبعض القرى التهامية. وأحرقتها وذلك قبل مجيء البعثة
الديمركية إلى اليمن لفترة وحيزة. ثم زحفت مرة أخرى إلى قرب اللحية. أثناء
وجود البعثة في المخاء. ويقال إن الإمام قد التزم بدفع خمس مئة ريال شهرياً
لأسرة أحمد الأحمر^(٢).

٣. الشيخ المكرمي يستقل بحكم نجران^(٣):

اشتهر الشيخ المكرمي في السنوات الأخيرة في أنحاء اليمن بشجاعته
وحزمه. وهو لا يستقي إلى أسرة حاكمة. وقد طاف في شبابه المبكر في أنحاء
الحريرة العربية. وزار الهند وإيران. وبعد عودته إلى اليمن عينه إمام صعدة
عاملاً على نجران. ولكنه سرعان ما استقل بها. وأصبح الآن يخافه جيرانه

(١)

(٢)

(٣) نظر

Nehru, C., BVA, S. 203.

Nehru, C., BVA, S. 204.

Nehru, C., RB, Bd. 1, S. 295, 297. U.BVA. S. 272-274, 267, 250

الفريون والبيدون، ويخشون دهاء وشجاعته. وقد توغل في بلاد حاشد وبكيل وفي مملكة الإمام، قبل سنوات قليلة، حتى وصل منطقة حراز واستطاع الأسلاء على أحد الحصون هناك. ولم يستطع الإمام استرجاع ذلك الحصن حتى الآن. وفي شتاء ١٧٦٢ - ١٧٦٣ م هاجم منطقة أبو عريش^(١)، والحق الهزيمة بحاكمها الشريف محمد، في معركة دارت في الغرب من عاصمته، كما سرى في الفقرة التالية، وفي نهاية عام ١٧٦٣ وبداية عام ١٧٦٤ م زحف الشيخ المكرمي بجيشه حتى وصل منطقة الأحساء^(٢). وهكذا تحرك بجيشه على امتداد الجزيرة العربية، من السواحل العربية وحتى الخليج الفارسي^(٣)، ماراً عبر العديد من المناطق الأجنبية، وهو أمر يبدو بالمقاييس الحربية الأوروبية غير ممكن، إلا أن الجيوش العربية لا تنقل نفسها باصطحاب المدافع ولا باصطحاب خيام كثيرة. بل تحمل معها كميات قليلة من المواد الغذائية. ويتحرك الجندي غير مثقل، إذ لا يحمل سوى سيفه، ويسير شبه عار^(٤).

والشيخ المكرمي ليس مشهوراً في بلاد العرب بقدراته وشجاعته كقائد عسكري فقط، بل هو مشهور أيضاً كشخصية دينية.

هـ. شريف أبو عريش والشيخ المكرمي^(٥):

كانت منطقة أبو عريش جزءاً من مملكة الإمام، إلى وقت قريب. وقد

(١) Niebuhr, C., BVA, S. 273.

(١)

(٢) انظر:

(٣) Niebuhr, C., BVA, S. 266-267.

(٤) نفضل الاحتفاظ بأسماء الأماكن على صورتها المتداولة بين الناس دون أي تغيير قد تتطلبه قواعد اللغة.

(٥٥) كان نيبور في هذا التاريخ قد غادر اليمن، ويبدو أنه قد تلقى هذه المعلومة وهو في طريق عودته إلى الدنمارك.

(٥٥٥) الكتابات العربية تسمى الخليج العربي عادة الخليج الفارسي وقد أوردنا التسمية نفسها كما وردت عند نيبور لأننا هنا ننقل نصاً حرفياً. أما السواحل العربية فيقصد بها سواحل البحر الأحمر الشرقية، ويسمى نيبور بهذه التسمية في كل كتاباته.

عمر الإمام، مد منوات، عاشلاً على هذه المنطقة، اسمه الشريف أحمد.
فستغل الشريف أحمد بحكم المنطقة، وقصنها عن مملكة الإمام. ولما توفي
تولى الحكم من بعده به محمد، الذي دافع عن استقلال أبو عريش في وجه
اطماع جيرانه. وقد حاول الإمام استرجاع المنطقة، وهاجمها عدة مرات بقوات
مكونة من أثناء حشد ويكيل، إلا أن هؤلاء لم يكونوا يقاتلون بعزيمة صادقة.
وفي شتاء ١٧٦٢ م - ١٧٦٣ م هاجم منطقة أبو عريش الشيخ المكرمي حاكم
نجران، وتصلى له الشريف محمد بن أحمد بقوة قوامها خمس مئة إلى ست مئة
مقاتل، معظمهم من حاشد ويكيل والجوف. ودارت معركة بين الجانبين،
خرج مدينة أبو عريش، العاصمة، واستطاع المكرمي أن يهزم الشريف
محمد، الذي انسحب وتحصن خلف أسوار المدينة. وضرب الشيخ المكرمي
الحصار على أبو عريش، إلا أنه سرعان ما انسحب باتجاه نجران، إذ وصلت
أخبار أن شيخ قبيلة فحطان قد هاجم نجران.

وكان نيبور قد سمع أثناء رحلته من جدة إلى اللحية أن الإمام قد أمر
بتحصين اللحية، عندما كان الشيخ المكرمي يشن هجومه على أبو عريش،
وذلك خوفاً من أن يزحف المكرمي إليها - أي إلى اللحية^(١).

و«حريق بيت الفقيه»^(٢):

وقع حريق في بيت الفقيه، أثناء وجود البعثة الدنماركية فيها. وقدم نيبور
وصفاً له على النحو التالي:

وفي يوم ١٧ أبريل ١٧٦٣ م شاهدت كيف يواجه اليمينيون المصائب
بشأت. ففي هذا اليوم اشتعلت النار في أحد البيوت، في الجهة الجنوبية من
المدينة، ولأن الرياح كانت تهب بقوة من الجهة الجنوبية الغربية، فقد امتدت

(١)

(٢) انظر:

Niebuhr, C., RB, Bd. 1, S. 295.

Niebuhr, C., RB Bd. 1, S. 354-355.

(١)

(٢)

النيران إلى جزء كبير من المدينة، واشتعلت البيوت سريعاً، إذ كانت محاطة بأغصان وفروع الأشجار الجافة، وأسطحها مغطاة بالأعشاب اليابسة. وأثناء ذلك كان العرب يتصرفون بهدوء وإتزان، فلم يسمع لهم صراخ ولا عويل. وإذا عبر لهم المرء عن حزنه، لما أصابهم، أجابوا: إنها إرادة الله. وكنا نسكن في منزل مبني بالحجارة، في أحد أطراف المدينة، لا تصل إليه النار. وكنا على ثقة من أنها لو حرقت كل الأكواخ المحيطة به فلن يصاب بأذى. صعدنا إلى سطح المنزل وشاهدنا الناس فوق أسطح جميع المنازل المبنية بالحجارة، يراقبون الحريق بهدوء. وقد جاء إلينا عالم فقير، اعتاد أن يزورنا، ووقف معنا، بعد أن استطاع أن ينقل بعض متاعه من بيته إلى مكان مأمون، وأشار بمرود عجيب إلى بيته، الذي كان قد بدأ يشتعل. إن ما يفقده العربي في مثل هذه الكوارث لا قيمة له، إذا قيس بما يمكن أن يفقده الأوروبي. فاليمني يحمل أدواته المنزلية على ظهره، ويتجه إلى جانب آخر من المدينة، أو إلى العراء. إنه لا يفقد عادة سوى كوخه، الذي يستطيع، بقليل من الجهد والمال، أن يبنيه من جديد. ولكن مع ذلك فإن ما يفقده يمثل، بالنسبة لرجل فقير، خسارة جسيمة^(١).

وعندما عادت البعثة في شهر أغسطس من العام نفسه، ١٧٦٣م، من صنعاء ومرت ببيت الفقيه، في طريقها إلى المخاء، تحدث نيسبور مرة أخرى عن حريق بيت الفقيه بالعبارات التالية:

ولأن الجزء الأكبر من بيت الفقيه كان قد التهمته النيران، في ١٧ يناير، فقد اعتقدنا أننا سنجدنا لا زالت مدينة مدمرة. ولكننا وجدنا أن معظم البيوت، أو بالأصح الأكواخ، قد أعيد بناؤها. وقد تم بناء منازل كثيرة بالحجارة، وذلك حتى لا تلتهمها النيران مستقبلاً^(٢).

(١)

(٢)







Bruner del

Kleidung der vornehmen Araber in Jemen



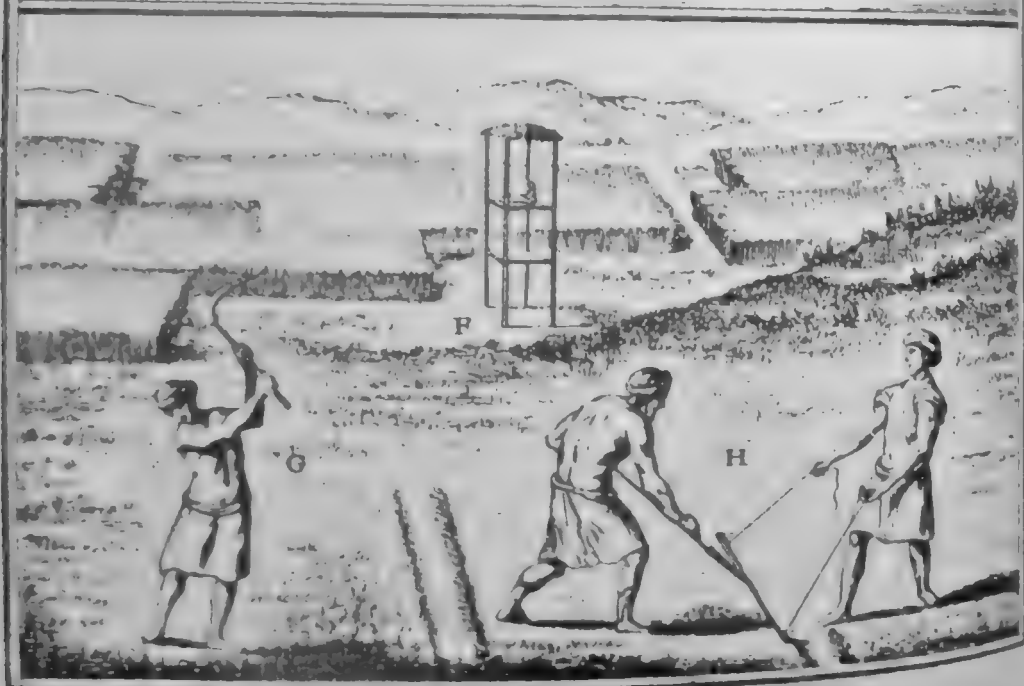
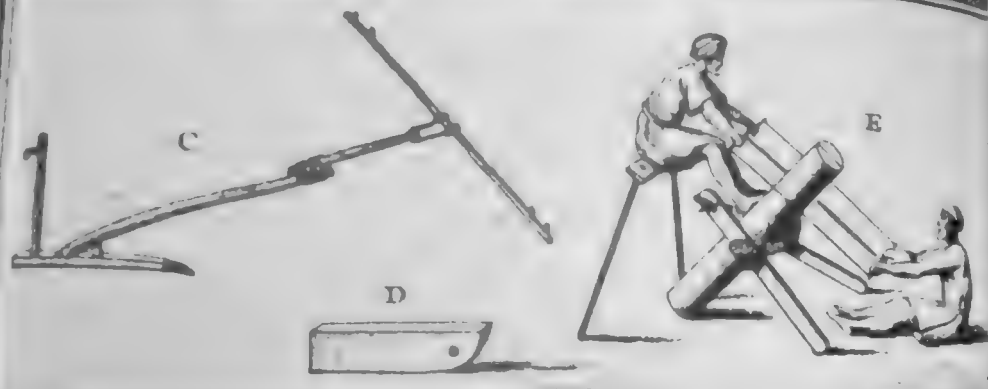
Sammlung d. d.

Abbildung einer Araberin auf dem Caffeegebürge



Source: Feind del

Abbildung einer Araberin in Tehâma



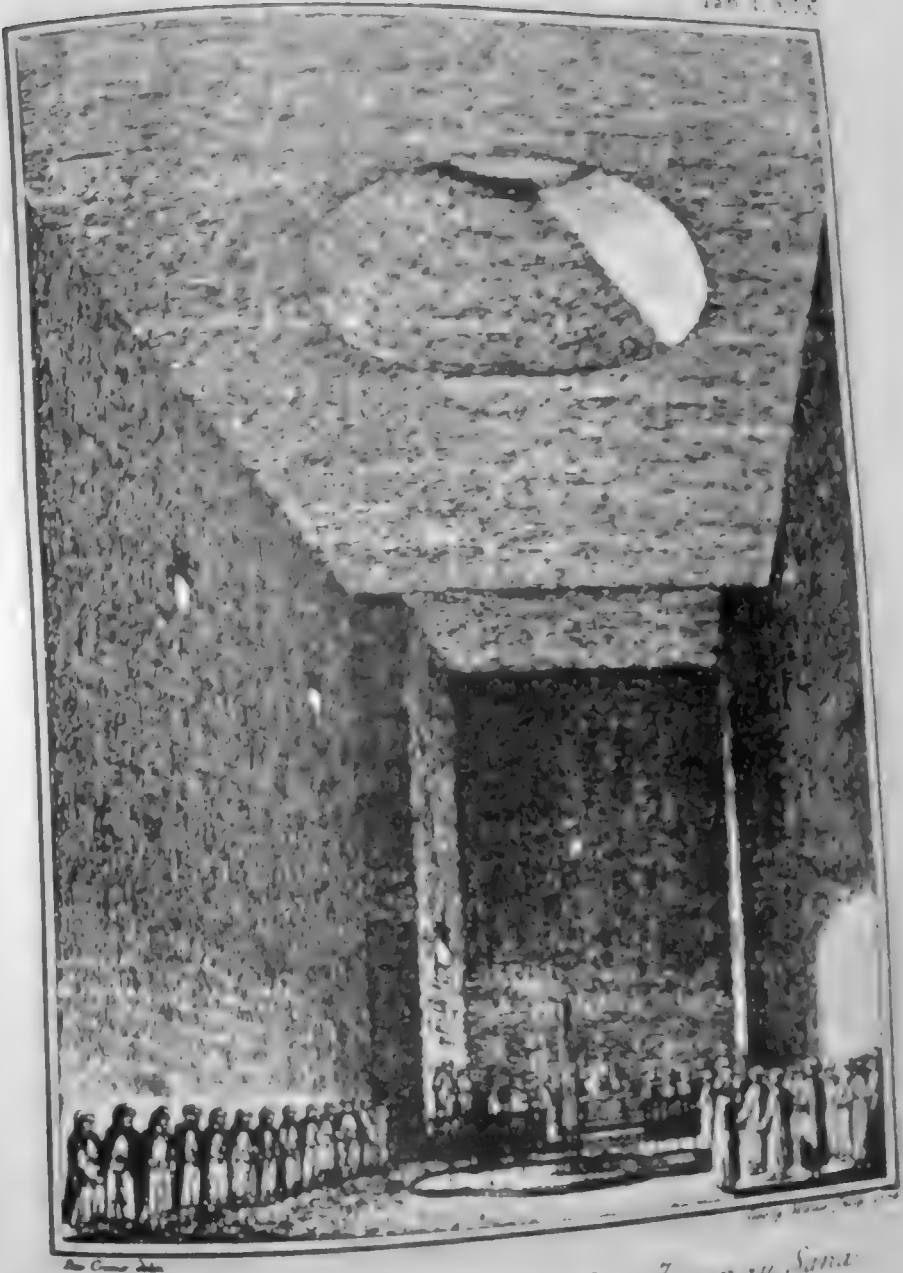


Bauerfreund del

Kleidung der Banianen zu Mochla



Die Kriegerkämpfe der Araber in Syrien



Vorstellung der Audienz bei dem Imam zu Sana

11



12



13



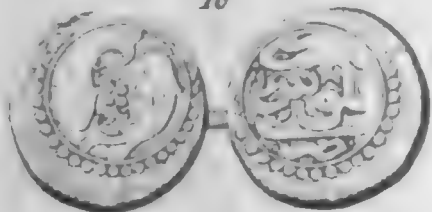
14



15



16



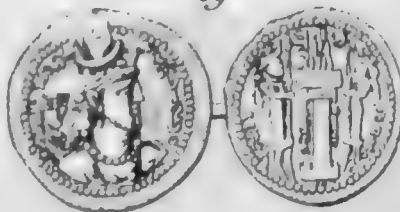
17



18



19

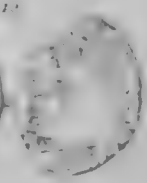
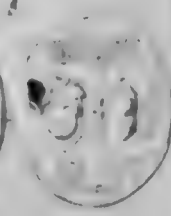
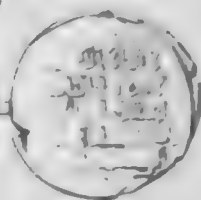
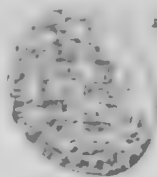
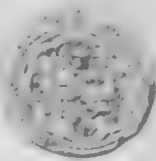
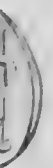


20

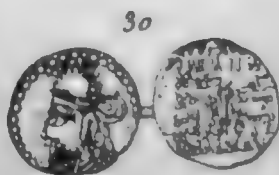
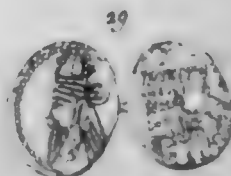
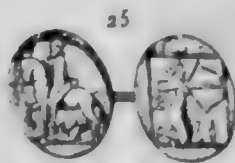


21





مکتبہ دارالکتب و رسائل دارالعلوم دیوبند
 کتابت و تصانیف
 ۷۷۷





Martin Sc.

Inscription auf einem Leichenstein zu Galefca

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَوَصَّيهِ
 وَاجْعَلْ لَهُمْ جَنَّةَ
 عِلِّيِّينَ
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَوَصَّيهِ وَاجْعَلْ لَهُمْ
 جَنَّةَ عِلِّيِّينَ

Marten Jr

Inschrift auf einem Leichenstein zu Beit-el-Fakih

卷之四

١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي

2012-2013
2012-2013

Indische in een Hoogmoed Thobad note by To de

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 بَدَأَ الْخَلْقَ وَإِلَيْهِ
 الْمَصِيرُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 جَعَلَ الْإِسْلَامَ
 دِينًا
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 جَعَلَ الْقُرْآنَ
 كِتَابًا
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 جَعَلَ مُحَمَّدًا
 نَبِيًّا
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 جَعَلَ الْمَدِينَةَ
 مَكَّةَ

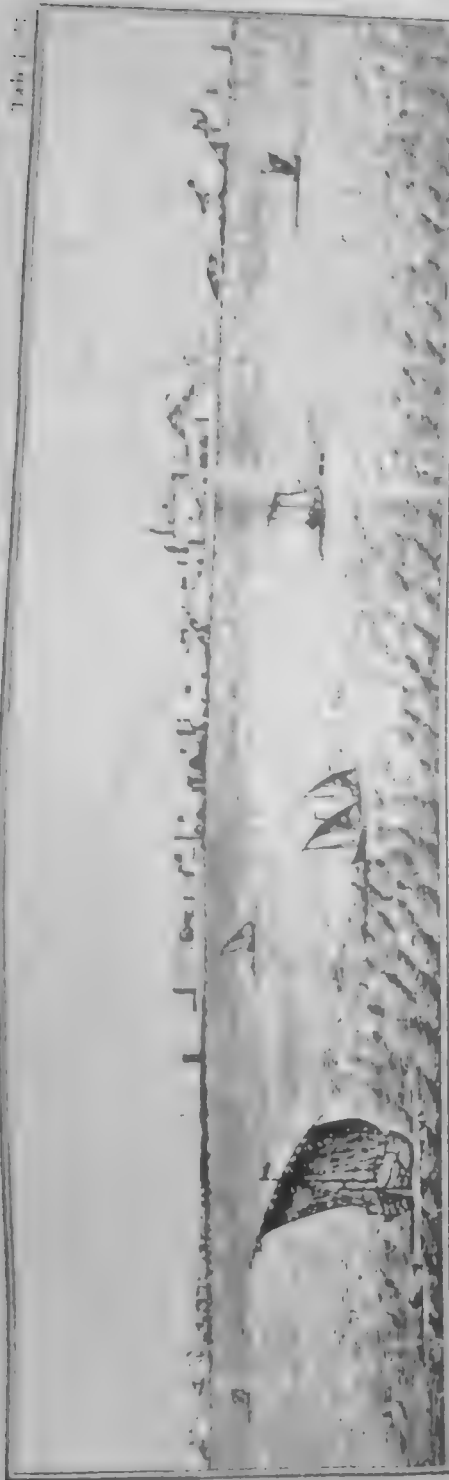
Marion S.

Inscript auf einem Leuchentuch zu Göttingen

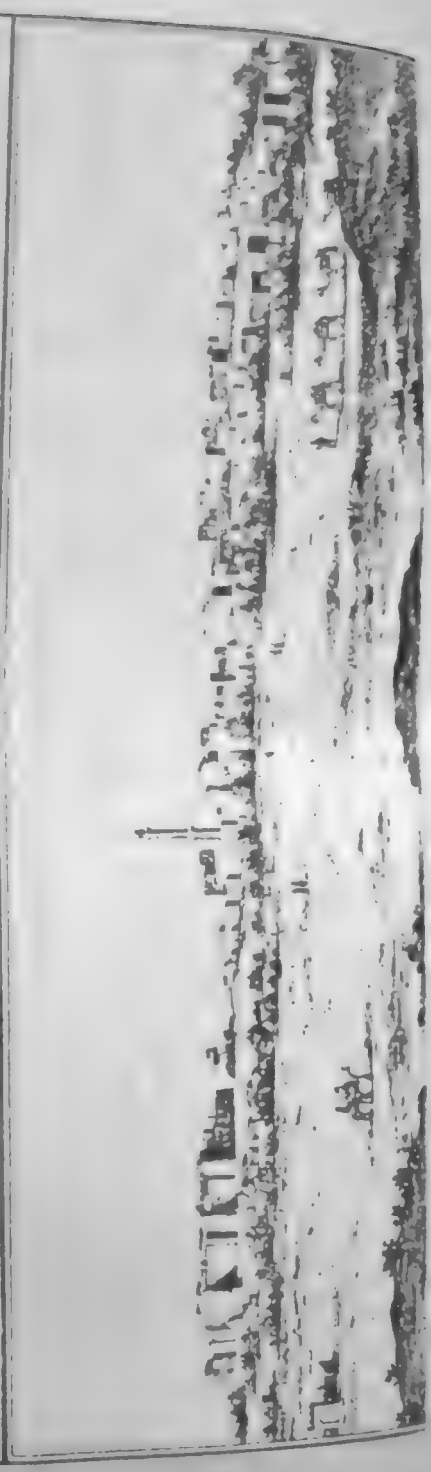
Tab. 1

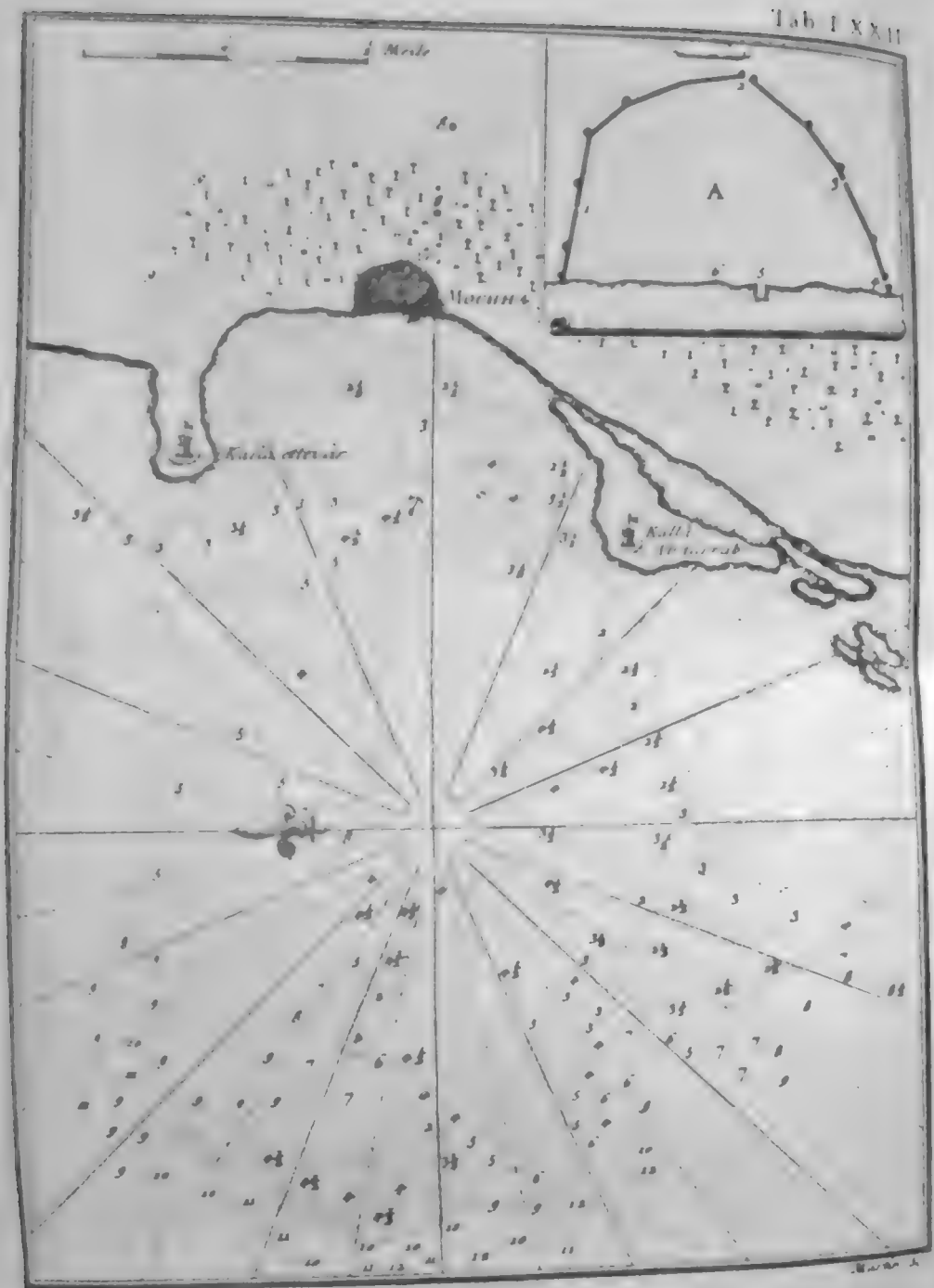


und die Inseln sind der vorerwähnten Figur nach dem Lichte



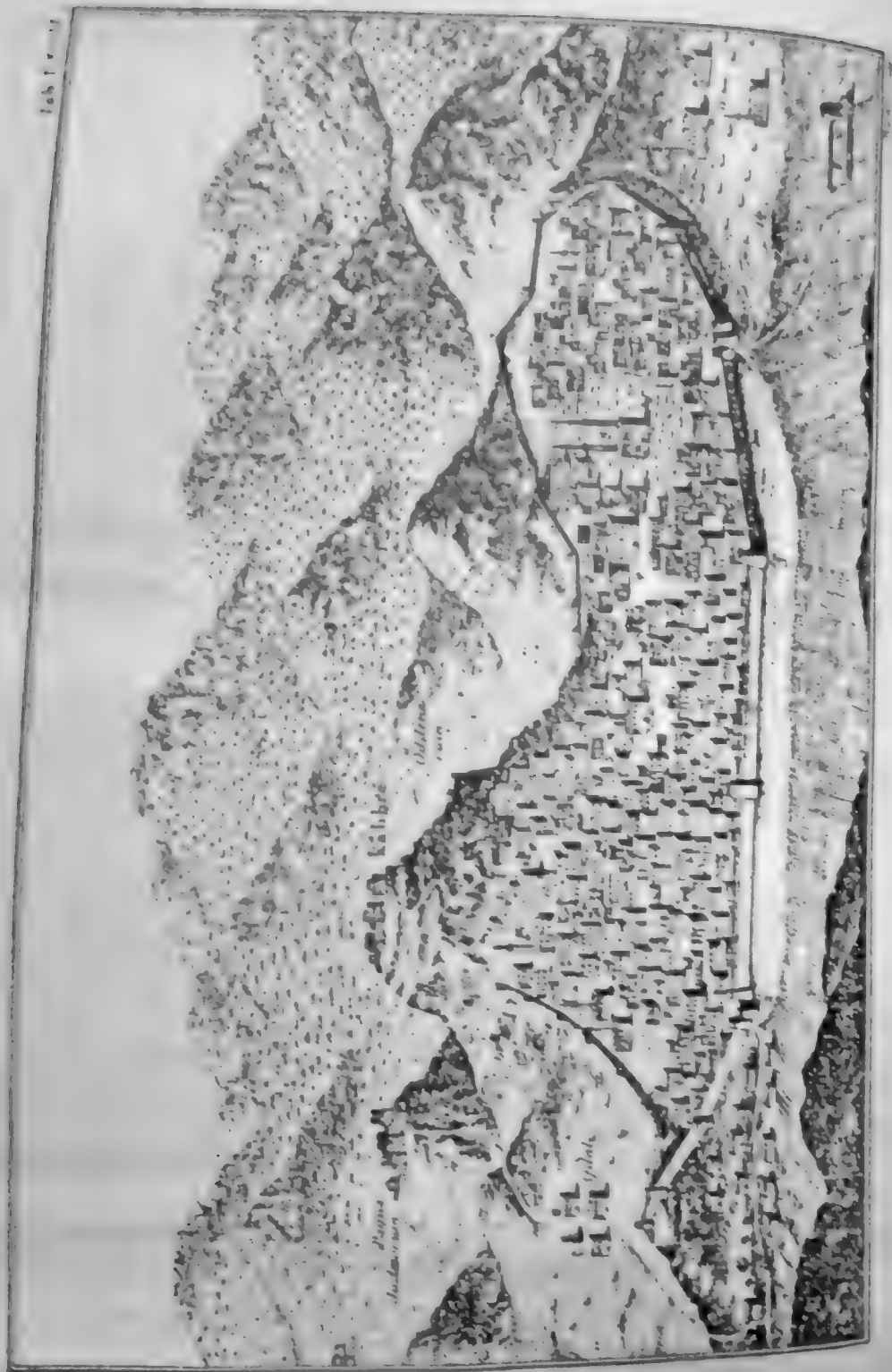
Prospekt der Stadt Lübeck vom See von

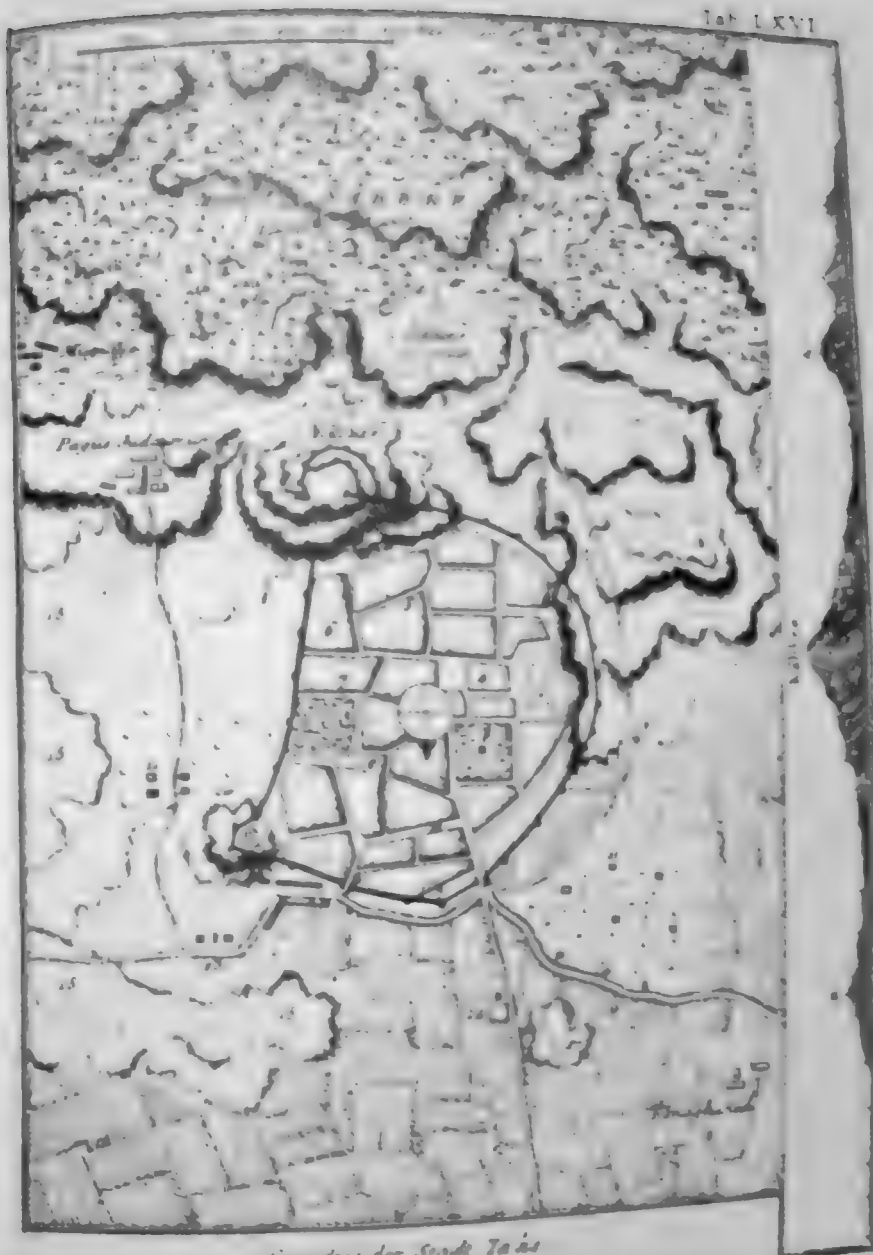




Lage der Stadt und des Hafens Mocha

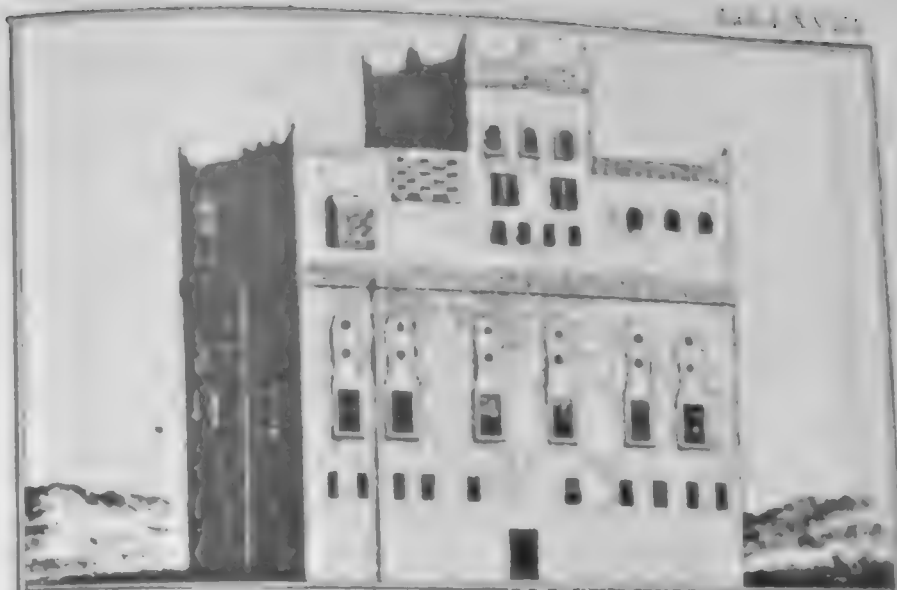








Grundriss der Stadt Saná



Prospect aus Himmels Höhe auf die Stadt



Prospect der Castels und vom Thale der Stadt Wien

المصادر والمراجع

أ. باللغة العربية:

- ١ - أباطة، فاروق عثمان:
- عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ٢ - الأكوع، إسماعيل علي:
- المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠ م.
- ٣ - براور، ك. خ. وكلاتيات، أ.:
- اليمن في أوائل القرن السابع عشر، لندن، ١٩٨٨ م.
- ٤ - البطريق، عبد الحميد:
- تاريخ أوروبا الحديث. من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، مطابع جامعة الرياض، ١٩٨٨ م.
- ٥ - الجرافي، عياد عبد الكريم:
- المقتطف من تاريخ اليمن، ط ٢، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ٦ - الحجري، محمد أحمد:
- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج ١ - ٢، تحقيق إسماعيل الأكوع، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٤ م.

- ٧- الحداد، محمد يحيى:
- تاريخ اليمن السياسي، ط ٣، دار الهنا، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- ٨- الحموي، ياقوت:
- معجم البلدان، ١- ٥، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤ م.
- ٩- الخزرجي، علي بن حسن:
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط ٢، تحقيق محمد بن علي الأكرع، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ١٠- زبارة، محمد بن محمد:
- نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف، مج ١- ٣، من مطبوعات مركز الدراسات والبحوث اليمني.
- ١١- الزركلي، خير الدين:
- الأعلام، مج ١- ٨، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ١٢- سالم، سيد مصطفى:
- الفتح العثماني الأول لليمن، ط ٣، مطبعة الجبلاوي، شبرا، ١٩٧٨ م.
- ١٣- سزكين، فؤاد:
- محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٤ م.
- ١٤- الشماحي، عبد الله عبد الوهاب:
- اليمن الإنسان والحضارة، مكان وتاريخ الطبع (?).
- ١٥- صبحي، حسن:
- التاريخ الأوروبي الحديث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢ م.
- ١٦- العمري، حسين عبد الله:
- مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، دمشق، ١٩٨٤ م.
- ١٧- الموا، عادل:
- التجربة الفلسفية، ط ٢، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٤ م.

- ٢ - ديور
قصة
العربي
٣ - فان
هولند
الطبي
٤ - كولك
فكرة
القاهر
٥ - مأكرو
اليمن
العمرة
٦ - هانس
من ك
بيروت
٧ - ويدجيه
المذا
بيروت
جده باللغة
- ١٨ - غالب، فاسم وآخرون:
اس الأمير وعصره، مكاد وتاريخ الطبع (٤)
١٩ - القرآن الكريم.
٢٠ - الكتاب المقدس.
٢١ - لقمان، حمزة علي:
تاريخ الحرر اليمنية، بيروت، ١٩٨٢ م.
٢٢ - الموسوعة العربية الميسرة، ط ٣، دار الشعب ومؤسسة فرانككين
للطبعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢ م.
٢٣ - النهروالي، قطب الدين:
أثرق البستاني في الفتح العثماني، ط ٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦ م.
الويس، حسين علي:
اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢ م.
٢٤ - الباني، عبد الكريم:
تمهيد في علم الاجتماع، ط ٤، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٤ م.
٢٥ - يحيى، جلال:
تاريخ العلاقات الدولية في العصور الحديثة، دار المعارف، القاهرة،
١٩٨٢ م.
٢٦ - اليمني، عمارة بن أبي الحسن:
تاريخ اليمن، تحقيق حسن سليمان محمود، مكتبة مصر، القاهرة،
١٩٥٧ م.

ب. مترجمة إلى اللغة العربية:

- ١ - توشار، جان وآخرون:
تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية، بيروت،
١٩٨٧ م.
٢ -
٣ -
٤ -

- ٢ - ديورانت، ول وايريل:
قصة الحضارة، ط ٣، ترجمة زكي نجيب محمود وغيره، جامعة الدول
العربية، القاهرة.
 - ٣ - فان دام، نيقولاس وآخرون:
هولندا والعالم العربي، ترجمة سعد جابر، لاهاي، هولندا، تاريخ ومكان
الطبع (؟).
 - ٤ - كولنجوود، ر. ج. :
فكرة التاريخ، ط ٢، ترجمة محمد بكير خليل، وزارة التربية والتعليم،
القاهرة، ١٩٦٨ م.
 - ٥ - ماكرو، إريك:
اليمن والغرب منذ عام ١٥٧١ م إلى عام ١٩٦٢ م، ترجمة حسين عبد الله
العمري، فكان الطبع (؟)، ١٩٧٨ م.
 - ٦ - هانس، ثوركلد:
من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة محمد أحمد الرعدي، دار العودة،
بيروت، ١٩٨٣ م.
 - ٧ - ويدجيري، البان ج. . :
المذاهب الكبرى في التاريخ، ط ٢، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الفهم،
بيروت، ١٩٧٩ م.
- جـ. باللغة الألمانية:

- ١ - Baumhauer, Otto (Hrsg.):
Arabien. Henry Goverts Verlag, Stuttgart, 1965.
- ٢ - Dawani, Tawfiq:
Jemen Zwischen Reisebeschreibung und Feldforschung
(Dessertation). Balhak Verlag, Berlin, 1987.
- ٣ - EW = Enzyklopadie der weltgeschichte. 2 Bände,
Hrsg Uwe K Paschke. Holle Verlag. Baden Baden, O. D..
- ٤ - Hansen, Thorkild:
Reise nach Arabien. Die Geschichte der Königlich dänischen

- IV
er.
- VA
fur
- der - 14
- jenen Expedition 1761-1767 Hoffmann und Campe Verl.,
Hamburg 1965
- KFW = Kleine Enzyklopädie Weltgeschichte 2 Bände
VLB Bibliographisches Institut Leipzig 1970 - 3
- LfW = Lexikon der Islamischen Welt 3 Bände
Hrsg. von K. Kreiser u. a. Verl. W. Kohlhammer Stuttgart 1974 - 7
- Lohmeier, Dieter (Hrsg.):
Schriften der Schleswig-Holsteinischen Landesbibliothek Band
1 Carsten Niebuhr und die Arabische Reise 1761-1767 Heide in
Holstein, 1986 - 5
- Michaelis, David Johann:
Fragen an eine Gesellschaft Gelehrter Männer die auf Befehl Ihro
Majestät des Königes von dänemark nach Arabien reisen.
Frankfurt am Main, 1762 - 6
- NUL = Das neue Universal-Lexikon 3 Bände Langen Verlag,
Köln 1979 - 9
- Niebuhr, B. G.:
Carsten Niebuhrs Leben, Kiel, 1817. - 10
- Niebuhr, Carsten:
BVA = Beschreibung von Arabien Aus eigenen Beobachtungen
und im Lande selbst gesammelte Nachrichten Kopenhagen 1772.
Nachdruck 1969 - 11
- EBD.:
RB = Reisebeschreibung nach Arabien und anderen Ländern.
Bd. 1, Kopenhagen, 1774. nachdruck Graz 1968
Bd. 2, Kopenhagen, 1778 nachdruck Graz 1968
Bd. 3, Hamburg, 1837 nachdruck Graz 1968 - 12
- Rittmann, Herbert (Hrsg.):
Deutsches Mundsammlerlexikon, München 1977 - 13
- Schlobies, Hans:
Die Wissenschaftliche Erschließung Sudarabien, in «Der Orient
in deutscher Forschung», Leipzig, 1964 - 14
- Schmidt, Walter:
Das Südwestliche Arabien, Frankfurt - M 1913 - 15
- Schweinfurth, G.:
Briefliche Mitteilungen von Prof. Schweinfurth an Prof. Ascheron
Über seine Reise in Sudarabien.
in: «Verhdl. d. Gesell. für Erdkunde Z. Berlin», Bd. XVI, 1899

- **Weber, Otto:** - 17
 Forschungsreisen nach Südarabien bis Auftreten Ed. Glaser,
 in: «Der Alt Orient», 8 Jg., Heft 4, Leipzig, 1904.
- **Welter, Mathias:** - 1A
 Geographie im Jemen, Bedeutungswandel einer Wissenschaft für
 ein Entwicklungsland (Dessertation), Bonn, 1988.
- **Weltgeschichte in Zehn Bänden, VEB Deutscher Verlag der** - 19
 Wissenschaften, Berlin, 1966.

الفهرس

الصفحة

الفصل الأول

٧	١ - مقدمة
١٧	الباب الأول: تمهيد
١٩	الفصل الأول: خلفية تاريخية:
١٩	١ - أوروبا الحديثة
٢٣	٢ - الدنمارك
٢٦	٣ - الاهتمام الأوروبي باليمن في العصر الحديث ..
٣١	الفصل الثاني: البعثة الدنماركية إلى اليمن وكارستن نيبور
٣١	١ - البعثة الدنماركية:
٣١	أ - فكرة البعثة
٣٣	ب - أهداف البعثة
٣٦	ج - تكوين البعثة
٣٧	د - خط الرحلة
٣٩	هـ - المصاحب التي واجهتها البعثة في اليمن ...
٤٥	و - الأهمية العلمية للرحلة وأهم إنجازاتها

٤٩	ز - لماذا أسرعت البعثة في مغادرة اليمن
٥٠	٢ - كارستن نيور:
٥٠	أ - شخصية نيور
٥٦	ب - حياة نيور اليومية وطريقة عمله
٦٣	ج - إنجازات نيور وقيمتها العلمية
٦٩	د - بعض انطباعات نيور عن اليمن
٨١	هـ - عودة نيور إلى أوروبا
٨٥	الباب الثاني: المادة التاريخية في كتابات نيور عن اليمن
٨٧	الفصل الأول: الحياة السياسية:
٨٨	١ - نظام الحكم والهيكل الإداري لدولة الإمام
٩٢	٢ - المناطق الإدارية التابعة لمملكة الإمام
١١٠	٣ - المناطق المستقلة عن مملكة الإمام
١١٩	٤ - الجيش:
١١٩	أ - جيش الإمام
١٢١	ب - جيش حاشد وبكيل
١٢٣	ج - التسليح
١٢٥	د - النظام الدفاعي
١٢٧	هـ - التدريب
١٢٨	و - المرتبات
١٢٨	٥ - القضاء
١٣١	٦ - الفساد الإداري
١٣٣	٧ - علاقة الإمام بالمشايخ
١٣٥	٨ - علاقة الإمام بالأقليات السكانية:

١٣٥	١- اليهود
١٣٦	ب- تهود
١٣٧	٩- تعامل الإمام مع الأحناف
١٤٢	١٠- معلومات عن أسر وشخصيات سياسية كبيرة
١٤٢	أ- الإمام المهدي وأسرته
١٤٤	ب- وزير الإمام
١٤٤	ج- عمل النخبة
١٤٥	د- أسرة نوادعي وأسرة إسحاق

الفصل الثاني: الحياة الاقتصادية:

١٤٧	١- الصناعة:
١٤٧	أ- صناعة الأوابي الفخارية
١٤٨	ب- صناعة الأقمشة
١٤٨	ج- صناعة النينة
١٤٩	د- صناعة الأسلحة
١٤٩	هـ- صناعة الحديد
١٤٩	و- صناعات أخرى
١٥١	٢- الزراعة:
١٥٢	أ- المحاصيل الزراعية
١٥٧	ب- المياه وأنظمة الري
١٦٠	ج- الأدوات الزراعية
١٦١	٣- الثروة الحيوانية
١٦٣	٤- الثروات الطبيعية
١٦٤	٥- التجارة:
١٦٧	أ- أهم الصادرات

١٦٨	ب - أهم الواردات
١٧٠	ج - الأسعار والأوزان
١٧٣	٦ - العملات :
١٧٤	أ - العملات الأجنبية
١٧٥	ب - العملات المحلية
١٧٧	٧ - الموانئ اليمنية وحركة السفن فيها
١٨٤	٨ - القوافل التجارية
١٨٥	٩ - إيرادات الإمام
١٩١	الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية :
١٩١	١ - تصنيف السكان :
١٩١	أ - المسلمون
١٩١	ب - اليهود
١٩٣	ج - الهنود
١٩٤	د - البدو
١٩٥	هـ - العبيد
١٩٦	٢ - معلومات عن الحياة اليومية :
١٩٦	أ - الطعام والشراب
١٩٧	ب - الملابس
١٩٩	ج - السكن
١٩٩	د - النوم
٢٠٠	هـ - التطبيب
٢٠٠	و - وسائل التكيف والاستمتاع
٢٠٢	ز - السفر

١ - نيو

٢ - ملا

٣ - ملا

٤ - ملا

٥ - بعض

٦ - منظر

٧ - منظر

٨ - ١٠

١١ - ١

عند

ب - نو

٣ - بعض نعدت وتفيد ٢٠٣

٤ - من حكيت مذهبي . مارموشاه و لاميرة حيمة ٢٠٦

٥ - نرفق تدبيرة ٢٠٧

٦ - لأولييه ٢٠٩

٧ - انعم وانعمه ٢١٥

٨ - انمو ٢١٦

٩ - انفوش ولأثر ٢١٧

الفصل الرابع : وصف المدن والطرق ٢١٩

١ - مدينة النحية ٢١٩

٢ - مدينة بيت نقيه ٢٢١

٣ - مدينة غنيفة ٢٢١

٤ - مدينة الحديدة ٢٢٢

٥ - مدينة زيد ٢٢٢

٦ - مدينة العدين ٢٢٤

٧ - مدينة حلة ٢٢٤

٨ - مدينة حيس ٢٢٥

٩ - مدينة محنا ٢٢٥

١٠ - مدينة أمربيت وسحر ابن عقلاق ٢٢٦

١١ - مدينة نقر ٢٢٧

١٢ - مدينة إب ٢٣٠

١٣ - مدينة بريم ٢٣٠

١٤ - مدينة دمار ٢٣٠

١٥ - مدينة صحاء ٢٣١

١٦ - وصف الطرق ٢٣٤

٢٣٥ الفصل الخامس: الأحداث التاريخية:
٢٣٥ ١ - العرض التاريخي العام .
٢٣٧ ٢ - روايات عن أحداث تاريخية معاصرة:
٢٣٧ ١ - قصف مدينة المخا من قبل الفرنسيين .
٢٣٩ ب - حرب تعز .
	ج - الإمام المهدي عباس والشيخ عبد الرب بن
٢٤١ أحمد
٢٤٦ د - الشيخ المكرمي يستقل بحكم نجران .
٢٤٧ هـ - شريف أبو عريش والشيخ المكرمي .
٢٤٨ و - حريق بيت الفقيه .
٢٥١ الملحق:
٢٥٣ ١ - نيور بملابس أعيان اليمن
٢٥٤ ٢ - ملابس نساء تهامة
٢٥٥ ٣ - ملابس نساء الجبال
٢٥٦ ٤ - ملابس الهنود البينيان
٢٥٧ ٥ - بعض الأدوات الزراعية
٢٥٨ ٦ - منظر لمراسم استقبال البعثة من قبل الإمام المهدي عباس .
٢٥٩ ٧ - منظر للتدريب العسكري أمام أسوار مدينة صنعاء .
	٨ - ١٠ - بعض العملات التي كان يجري التعامل بها في منطقة
٢٦٠ الشرق الأوسط
	١١ - أ - رسالة من الأمير فرحان إلى البعثة، أرفقها برأس غنم،
	عند وصول البعثة إلى اللحية
٢٦٣ ب - توجيه من الإمام المهدي عباس إلى العمال في طريق تهامة

٢٦٣ يأمرهم باستضافة البعثة على حساب بيت المال
٢٦٣ وجهها عملة يمنية تحمل اسم الإمام المهدي عباس
٢٦٥ و ٢٦٤ جـ - منقول من مشهد قبر في بيت الفقيه
٢٦٦ ١٢ - خط منقول من مشهد قبر في غليقة
٢٦٧ ١٣ - ١٤ - خط منقول من مسجد ثعبات، قرب مدينة تعز
٢٦٨ ١٥ - مخطط لمدينة اللحية وما جاورها
٢٦٩ ١٦ - رسمان لمدينتي اللحية وبيت الفقيه
٢٧٠ ١٧ - مخطط لمدينة بيت الفقيه
٢٧١ ١٨ - مخطط لمدينة المخا
٢٧٢ ١٩ - مخطط لمدينة تعز
٢٧٣ ٢٠ - رسم لمدينة تعز
 ٢١ - رسمان أحدهما لمتزل في حي بير العزب بصنعاء. والآخر
٢٧٤ لمدينة يريم
٢٧٥ ٢٢ - مخطط لمدينة صنعاء
٢٧٦ المصادر والمراجع
٢٨٢ الفهرس

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277



SIGNORUM Explicatio
URBS CAPITALIS
URBS COMMUNES
Ficus
Pagus
Alia
Harpa
Fluvius
Terra
Iuxta Auctoris
B. Boni i. e. filii
M. Mons

TABULA ITINERARIA
sistens illam partem
TERRÆ YEMEN
quam
Societas litteraria auspiciis et sumptibus
FRIDERICI V. ET CHRISTIANI VII.
Daniæ Regum
in orientem missa
peragravit
Ad observationes astronomicas et hodometricas
conformata; Auctore
C. Niebuhr.
MDCCCLXIII.